بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الشريعة
قسم أصول الدين

الإساءة إلى النبي محمد ﷺ ومنهج التصدِّي لها
دراسة تحليلية

Offending Prophet Mohammed (Beace be Upon Him) and its Confronting Approach : An Analytical Study.

إعداد الطالب

ثامر عبد المهدي محمود حتاملة

الفصل الدراسي الصيفي للعام الجامعي ١٤٣٢هـ-٢٠١١م

إشراف الدكتور

محمد زهير عبد الله المحمَّد - حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الشريعة
قسم أصول الدين

الإساءة إلى النبي محمد ﷺ ومنهج التصدِّي لها
دراسة تحليلية

Offending Prophet Mohammed (Beace be Upon Him) and its Confronting Approach : An Analytical Study.

إعداد:
ثامر عبد المهدي محمود حتاملة
الرقم الجامعي: ٢٠٠٨٢٦٠٠٠٨

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه في الحديث النبوي الشريف في كلية الشريعة- جامعة اليرموك للعام الدراسي ٢٠١١م

لجنة المناقشة:

د.محمد زهير عبد الله المحمد..... مشرفاً ورئيساً
أستاذ مشارك في الحديث الشريف وعلومه

أ.د.محمد علي العمري..... عضواً
أستاذ الحديث الشريف وعلومه جامعة اليرموك

أ.د عبد الله مرحول السوالمة..... عضواً
أستاذ الحديث الشريف وعلومه-جامعة اليرموك

د.محمد عبد الرحمن الطوالبة.....عضواً
استاذ مشارك في الحديث الشريف وعلومه

أ.د أمين محمد القضاة.....عضواً
أستاذ الحديث الشريف وعلومه- الجامعة الأردنية

تاريخ تقديم الأطروحة
٢٠١١/٧/٣م

الإهداء

إلى نبي ﷺ الأمة محمد

إلى أصحاب الفضل عليَّ بعد الله تعالى، ومن ربياني صغيرا ومهجة قلبي . . . والديَّ الكريمين

حفظهما الله تعالى

إلى إخوتي وأخواتي الذين كان لهم الفضل علي

إلى خطيبتي الغالية

إلى أساتذتي وشيوخي وأخصُّ منهم أساتذة الحديث النبوي الشريف في جامعة اليرموك

إلى الإخوة الأعزاء والأصدقاء المخلصين وأخص منهم شيخي رياض الشرعة

إليهم جميعا أهدي هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

لما كان من الأمانة رد الفضل لأهله قلَّ أو كثُر، فإني أتقدم بخالص الشكر والتقدير الى الدكتور محمد زهير المحمد صاحب الفكرة بالعنوان، والذي أشرف عليَّ فكان مثال الأخ الحنون والمعلم المشفق الصادق، الذي ما برح يدلني على الخير، فالله أسأل أن يمد في عمره ويحسن في عمله وخاتمته بجزيل منه وفضله

كما وأتقدم بالشكر والتقدير إلى أساتذتي الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة الدكتور محمد العمري –حفظه الله– الذي عرفته في قسم الحديث صاحب العلم والوقار، لم أتنفس أنفاسه مباشرة في العلم والدراسة؛ ولكني تنفست أنفاس علمه في كتبه وأبحاثه، والدكتور أمين القضاة– حفظه الله– الذي تعلمت منه الأدب الجمّ والتواضع مع أيٍّ كان، والذي كان مثال الأب الحنون والمعلم الرؤوف، والدكتور عبد الله السوالمة– حفظه الله– الذي تشرفت بالدراسة على يديه معظم مواد الدكتوراه، عرفته معلماً وأباً وموجهاً، والدكتور محمد الطوالبة– حفظه الله– الذي علمني الصبر والتحصيل والهمة في طلب العلم.

كما وأتقدم إلى أصحاب الفضيلة في كلية الشريعة، من عميد ورؤساء أقسام وإداريين إليهم كلهم أتقدم بخال الشكر والامتنان

الملخص باللغة العربية

(الإساءة إلى النبي محمدﷺ ومنهج التصدي لها – دراسة تحليلية)

أطروحة دكتوراه – جامعة اليرموك ٢٠١١م

إشراف الدكتور

محمد زهير المحمد– حفظه الله–

جاءت هذه الدراسة لتبيِّن الإساءة إلى النبي محمد ﷺ ومنهجها – ومنهج التصدي لها.

بيَّنت هذه الدراسة مكانة الأنبياء، وحكم التعدي عليهم وعلى نبينا محمد ﷺ بشكل خاص، كما وبيَّنت حقوقه على أمته كنصرته والدفاع عنه.

حصرت الدراسة أصناف المسيئين إلى النبي ﷺ في زمانه وزماننا ومنهجهم في الإساءة.

كما قامت الدراسة ببيان دوافع الإساءة إلى النبيﷺ كالحسد والخوف من انتشار الإسلام.

كان للإساءة إلى النبيﷺ آثار سيئة على المجتمع الإسلامي والمجتمعات الأخرى، كالأثر الاجتماعي الاقتصادي والأثر الاجتماعي والسياسي.

خلُصت الدراسة إلى تعدد أصناف المسيئين للنبيﷺ في كل زمان ومكان، من حيث الأساليب والوسائل وتشابهت في الدوافع.

كما وضحت الدراسة أصناف المدافعين عن النبي ﷺ وأساليبهم في الدفاع عن النبي ﷺ ، كدفاع الله عز وجل عنه بالوحي والمعجزات، ودفاعه ﷺ عن نفسه، ودفاع غيره عنه من المسلمين وغير المسلمين .

قدم الباحث منهجية للدفاع عن النبي ﷺ في الزمن الحاضر، وقام بتقديم مشاريع عملية تتبناها الدول والأفراد للدفاع عن النبي ﷺ .

استخدم الباحث المنهج الاستقرائي ثم والتحليلي والاستنباطي في بيان أصناف المسيئين ومنهجهم .

فهرس المحتويات

الموضوع		الصفحة
الإهداء		ب
الشكر والتقدير		ج
الملخص باللغة العربية		د
قائمة المحتويات		هـ
المقدمة وتتضمن: أهمية الموضوع، ومشكلة الدراسة، والأسئلة التي ستجيب عنها الدراسة، وأهداف الدراسة، والدراسات السابقة.		١
الفصل التمهيدي: مكانة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وحكم التعدي عليهم.		٩
المبحث الأول: تعريف الإساءة والألفاظ ذات الصلة.		١٠
	المطلب الأول: تعريف الإساءة	١٠
	المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة	١٢
المبحث الثاني: مكانة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحكم التعدي عليهم والانتقاص منهم.		١٨
	المطلب الأول: مكانة الأنبياء في الكتاب والسنة.	١٨
	المطلب الثاني: حكم الانتقاص منهم، والأدلة الشرعية الواردة في المسألة.	٢٠
المبحث الثالث : فضائل النبي محمد-ﷺ- وحقوقه على أمته .		٣٠
	المطلب الأول: فضائل النبي محمد-ﷺ- عند الله سبحانه وتعالى.	٣٠
	المطلب الثاني: حقوق النبي محمد-ﷺ-على أمته.	٣٤
الفصل الأول: منهج الإساءة إلى النبي ﷺ وموقفه منها.		٤٥
المبحث الأول: أصناف المسيئين إلى النبي ﷺ ، وموقف النبيﷺ منهم.		٤٥
	المطلب الأول: إساءة غير المسلمين للنبي ﷺ: (المشركون، اليهود، المستشرقون) وموقفهﷺ منهم.	٤٧

	الفرع الأول: المشركون.	٤٩
	الفرع الثاني: أهل الكتاب.	٦٩
	الفرع الثالث: المستشرقون.	٧٧
	المطلب الثاني: إساءة المنافقين للنبيﷺ.	٨٩
المبحث الثاني: دوافع الإساءة إلى النبي محمد ﷺ .		٩٦
	المطلب الأول: الحسد.	٩٦
	المطلب الثاني: الخوف من انتشار الإسلام وإرادة الهيمنة على البلاد الإسلامية.	١٠٠
	المطلب الثالث: إنكار نبوة النبي ﷺ وعدم تصديقها.	١٠٥
	المطلب الرابع: الجهل بالإسلام ونبيه ﷺ.	١٢٠
الفصل الثاني: أثر الإساءة إلى النبي محمد ﷺ .		١٢٤
المبحث الأول: أثر الإساءة إلى النبي محمدﷺ داخل المجتمع الإسلامي .		١٢٤
	المطلب الأول: إثارة الشبهات حول النبي ﷺ بين المسلمين.	١٢٥
	المطلب الثاني: التمسك بالإسلام وإظهار صورته الصحيحة.	١٣٠
	المطلب الثالث: أثر الإساءات السياسية.	١٣٦
	المطلب الرابع: الأثر الاجتماعي.	١٤٤
المبحث الثاني : أثر الإساءة إلى النبي ﷺ على المجتمعات الأخرى .		١٥٦
	المطلب الأول: تشويه صورة الإسلام والنبيﷺ .	١٥٦
	المطلب الثاني : الأثر الاقتصادي	١٦٣
الفصل الثالث :المدافعون عن النبي ﷺ، وأهدافهم.		١٦٦
المبحث الأول: دفاع الله عز وجل عن النبي محمد ﷺ في القرآن		١٦٦
	المطلب الأول: القرآن يعدُّ الرسول للدعوة ويؤيده.	١٦٨

	المطلب الثاني: القرآن يرد على الكفار ويسفه آراءهم.	١٧٤
المبحث الثاني: دفاع الصحابة عن النبيﷺ.		١٨٠
المبحث الثالث: دفاع غير المسلمين عن النبي ﷺ.		١٨٧
	١. دفاع بعض المشركين عن النبيﷺ .	١٨٧
	٢. دفاع بعض المستشرقين .	١٩١
المبحث الرابع: أهداف الدفاع عن النبي ﷺ.		١٩٥
	المطلب الأول :العمل على تطبيق الإسلام وإظهار صورته الصحيحة.	١٩٥
	المطلب الثاني: تعريف الناس بصورة النبي ﷺ الصحيحة وإزالة الشبهات حوله ﷺ.	١٩٩
الفصل الرابع: منهج الدفاع عن النبي ﷺ في العصر الحاضر		٢٠٦
المبحث الأول: ضوابط الدفاع عن النبيﷺ.		٢٠٦
المبحث الثاني: تبني الدول الإسلامية الدفاع عن النبيﷺ بشكل رسمي وفي أُطر رسمية.		٢١١
المبحث الثالث: الجهود غير الرسمية.		٢٢١
	المطلب الأول: المنظمات والهيئات.	٢٢٤
	المطلب الثاني: الشعوب والجماهير.	٢٢٦
المبحث الرابع: مشاريع عملية مقترحة لنصرة النبي ﷺ.		٢٣٠
	المطلب الأول: تبني منهج الحوار والمناظرة للدفاع عن النبيﷺ.	٢٣١
	المطلب الثاني: الجامعات والمراكز والمعاهد العلمية	٢٣٧
	المطلب الثالث: وقف النبيﷺ.	٢٤٩
	المطلب الرابع انشاء قنوات تلفازية بعدة لغات.	٢٥٢
الخاتمة وفيها أهم النتائج.		٢٥٥
قائمة المصادر والمراجع		٢٥٦
الملخص باللغة الانجليزية		٢٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد؛

قال تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (الأنعام: ١١٢).

الأنبياء –صلوات الله عليهم– أفضل خلق الله ﷻ، ولهذا أوجب الله ﷻ على كل مسلم محبتهم ونصرتهم، فالمسلم يتقرب إلى الله ﷻ بحبهم والدفاع عنهم، وقد رتبت الشريعة الإسلامية أجراً عظيماً ومرتبةً عاليةً لمن فعل ذلك.

وقد تعرض النبي ﷺ لهجمات شرسة وحملات معادية قديماً وحديثاً، ومن عدة أطراف: اليهود الذين حاربوا النبي ﷺ بشتى الوسائل، وكذلك المنافقون والمشركون الذين لم يتركوا وسيلة لمحاربته ﷺ إلا سلكوها ابتداءً من الإيذاء بالكلام واللمز، إلى محاولة الاغتيال، وما كانت هذه الحملات إلا للنيل من النبي ﷺ ومن الإسلام والطعن فيه، والوقوف أمام انتشاره بصورته الصحيحة المشرقة.وفي العصر الحاضر عادت هذه الحرب وهذه الحملات بشكل أوسع؛ وإنْ كان رسول الله ﷺ قد فارق الحياة؛ ولكن الحرب ما زالت على شخصه ﷺ وعلى آل بيته الكرام.

وفي ظل هذا المدّ الهائل من الحرب والمكائد؛ كان لزاماً على الأمة الإسلامية أن تدافع عن نبيها ﷺ بكل جهد ووسيلة، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ (الفتح :٨-٩).

والنصوص في نصرة النبي ﷺ وفي محبته كثيرة، فنصرة النبي ﷺ والمدافعة عنه واجبة على كل مسلم؛ كلٌ حسب طاقته، وما يطلب من المتخصصين في سنته أكبر مما يطلب من عوامّ الناس، من هنا جاءت هذه الدراسة، وفي هذا الوقت، وأمام هذه الحملات الحاقدة ضد الأنبياء بشكل عام، والنبي ﷺ بشكل خاص، وبعد القراءة والبحث خلصت الى تقديم هذه الدراسة لتكون جهداً مقدماً في نصرة النبي ﷺ، فأسأل الله تعالى أن يُيَسِر الأمر، ويسدِّد القلب والقلم، إنَّه نِعْم المولى ونِعْم النصير.

أهمية الموضوع:

١. الوقوف على دوافع الإساءة إلى النبي ﷺ ومنهجها، قديماً وحديثاً.
٢. إفادة الأمة الإسلامية بشكل عام، والمتخصصين والدعاة بشكل خاص بدراسة أكاديمية تخدم الموضوع، وبيان الوسائل والأساليب التي ينبغي أن تستعمل في الدفاع عن النبيﷺ، وتوظيف المادة العلمية في الواقع.
٣. بيان آثار الإساءة إلى النبي ﷺ على الإسلام والمسلمين والمجتمعات الأخرى.
٤. تقديم مقترحات ونماذج في نصرة النبي ﷺ ، حتى يقف كلٌّ مسلم على ثغرته، وبحسب طاقته، أفراداً ودُولاً .

مشكلة الدراسة وأسئلتها :

تتلخص مشكلة الدراسة في وجود دوافع وأساليب للإساءة إلى النبيﷺ قديماً وحديثاً، وقد اختلفت هذه الدوافع والأساليب من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى آخر، فظهرت أساليب ووسائل للدفاع عن النبيﷺ؛ أدّى بعضُها الغرض المطلوب ،وبعضها قصّر في تحقيق هدفه، مما جعل الحاجة تمس إلى دراسة أكاديمية تجمع شتات الموضوع وتقف على دوافع الإيذاء والهجمة قديماً وحديثاً ،ومن ثَمَّ تحللها وتنقدها، وتحاول تقديم اقتراحات ووسائل جديدة لنصرة النبيﷺ

خصوصاً في الزمان المعاصر؛ الذي ظهرت فيه حملة شعواء على النبيﷺ أوسع من الزمن الماضي، بلغ مداها أكبر مما كانت عليه في عصره ﷺ، وتعدُّ هذه الدراسة من باب الجهاد باللسان.

الأسئلة التي ستجيب عنها الدراسة :

ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

– ما دوافع الإساءة إلى النبي ﷺ ومنهجها، وما منهج التصدي لها قديماً وحديثاً ؟

ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

– ما دوافع الإساءة إلى النبي محمد ﷺ قديماً وحديثاً ؟

– ما منهج الإساءة إلى النبي محمد ﷺ قديماً وحديثاً ؟

– ما أثر هذه الحملات على المجتمع الإسلامي والمجتمعات الأخرى ؟

– ما الموقف الذي ينبغي اتخاذه للوقوف أمام هذا المد من الإساءة إلى النبيﷺ؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى ما يأتي :

١. بيان دوافع الإساءة إلى النبي ﷺ .

٢. بيان الأساليب التي اتبعها الذين يؤذون النبي ﷺ في حملاتهم وحربهم ضده.

٣. بيان مدى تأثير الشبهات حول النبي ﷺ قديماً وحديثاً .

٤. بيان الجهود في نصرة النبي ﷺ قديماً وحديثاً.

٥. تقديم منهج مقترح من خلال نماذج للدفاع عن النبيﷺ.

منهجية الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة إتباع مناهج معينة حتى يخلص الباحث إلى إعطاء تصور كامل حول الموضوع ،فلكلّ موضوع منهجه الذي ينبغي أن يتوافق مع طبيعته ومقاصده، وما يصبو إليه، وما يؤمل منه ، وعليه فإن طبيعة هذا البحث وأهدافه ومقاصده تحتم استخدام المناهج الآتية:

١- المنهج الاستقرائي: وذلك بجمع المادة من كتب السيرة والسنة النبوية والكتب التي تحدثت حول الموضوع.

٢- المنهج التحليلي: وذلك بتحليل الأسباب والوسائل التي دفعت القدماء والمُعاصرين من أعداء للرسولﷺ على شن حملتهم وإلصاق التهم بشخصيته ﷺ، لتظهر المقارنة بين وسائل الأعداء قديماً وحديثاً في محاولة النيل منه ﷺ، وأيضاً لتظهر المقارنة بين دفاع القدماء والمعاصرين في الذّب عنه ﷺ، ومحاولة الخروج بمنظومة متكاملة تبيّن الجهود المبذولة في الدفاع عن شخصيته ﷺ ضمن إطار المنهج العلمي المتكامل.

الدراسات السابقة :

بالرغم من البحث والتنقيب لم يقف الباحث على دراسة أكاديمية علمية متخصصة تُعنى بهذا الموضوع، وتعرض له ضمن إطار الفهم والدراسة التي بصدد القيام بها، ولكن من عهد قريب قامت الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها بعقد مؤتمر(نبي الرحمة محمدﷺ) والى الآن عقد ثلاث مرات، وقُدِّمت أبحاث منها ما ألتقي معه في رسالتي، وفي الأغلب هي أبحاث عن رحمة النبي ﷺ والإسلام، وأمور أخرى كحقوق الإنسان، وحقوق ذوي الاحتياجات الخاصة، وحقوق الحيوان، وأحكام الأسرة، وموقف المستشرقين من السنة، وغيرها من الموضوعات المختلفة.

وكذلك وجد الباحث بعض الكتابات غير الأكاديمية التي تناولت جزئيات عن هذا الموضوع؛ كأن تأخذ مسألة واحدة وتقتصر عليها ، كحكم سبّ النبي ﷺ ، ثمّ تبيِّنها من وجهة النظر الفقهية، أو تضع عنواناً ثمّ لا يُعطى هذا العنوان حقه من البحث والدراسة .

*** من هذه الدراسات:**

١- دفاع القرآن عن الرسول ﷺ في العهد المكي –عبد العزيز السيد الخرخيسي (رسالة ماجستير) ، ولم أستطع الوقوف عليها ، وحصلت على اسمها من شبكة الانترنت من خلال البحث في مركز الملك فيصل، ويظهر من خلال العنوان اقتصارها على القرآن دون السنة وفي العهد المكي فقط، وربما ألتقي معه في بعض الصور عند البحث عن إساءة أهل الشرك إلى النبيﷺ .

٢- الدفاع عن النبيﷺ بالبراهين الشرعية والعقلية –والتدليل بذلك على صدق نبوتهﷺ – محمد كندو، وهو عبارة عن بحث مقدم لمؤتمر نصرة النبي ﷺ المقام في الرياض، ويتكوَّن البحث من مبحثين؛ الأول: الدفاع عن النبي ﷺ بالبراهين الشرعية، وذكر فيه اثني عشر برهاناً : الدفاع عن النبي ﷺ ببرهان ثناء الله عليه، وببرهان نفي التهم عنه ، وبتحريم إيذائه، وببرهان فرض تعزيره وتوقيره ، وبفرض محبته، وببرهان فرض النصيحة له، وببرهان فرض الصلاة والسلام عليه ﷺ، وببرهان فرض الجهاد في سبيل الله ومنه الدفاع عنه، وببرهان تحدي معارضيه وعجزهم على مر العصور، من خلال عصمته وكف أذاهم عنهﷺ، وببرهان دفاعه عن نفسه وانتدابه من يدافع عنه من أصحابه، وببرهان إجماع الأمة على الدفاع عنه سلفاً وخلفاً ن الى أن يأتي أمر الله.

أما في البراهين العقلية فقد وضع ستة براهين :

الدفاع عن النبي ﷺ ببرهان تعظيم الله ونصرة دينه ﷺ.، وببرهان لازم الإيمان به وصدق نبوتهﷺ ، وببرهان ما له من الحقوق على أمتهﷺ ، وببرهان الانتصار للحق ورد الباطل، وببرهان الدفاع عن القيم العليا، وببرهان انه دفاع عن الأمة الإسلامية بأجمعها .

وفي الخاتمة خلص إلى إثبات صدق نبوته من خلال هذه البراهين، وهو صلب موضوع البحث .

ومن خلال ذلك نجد أن البحث اختص بسرد البراهين من الجهة الإسلامية الوعظية التي تخاطب المسلمين خصوصاً بشكل عام، فالبراهين الشرعية المذكورة كلها مستقاة من القرآن الكريم وآياته، وهي موجهة إلى المسلمين الذين يؤمنون بالقرآن، وهذه البراهين بالعموم تشبه المواعظ وتثبيت العقيدة في النفس للمسلمين، وربما ألتقي معه في بعض الجزئيات في حقوق النبي ﷺ على أمته وعِظَم شأنه ﷺ عند الله .

٣- (الحوار وأثره في الدفاع عن النبي ﷺ) الدكتور سليمان بن عبد الله ، رأى أن الدفاع عن الرسول ﷺ واجب شرعي، وفرض عين على كل مسلم. كما بيَّن بعضًا من أساليب الحوار في سنة النبيﷺ، كما تناول أثر الحوار في الدفاع عن النبي ﷺ، وسوف ألتقي معه في العنوان وبعض الأمثلة في أساليب الحوار، ولكن دون التوسع في ذلك كثيرا خارج الدفاع عن النبي ﷺ من خلال الحوار.

٤- (الضوابط الشرعية في الدفاع عن النبيﷺ) الشيخ أحمد ولد لمرابط الشيخ محمد الشنقيطي، مفتي عام موريتانيا، وهذا البحث لم استطع الحصول عليه، وإنما وجدت له ملخصا على الانترنت في بعض المواقع، حيث ورد في الملخص أنّه تحدث عن الأمور الممنوعة في الدفاع عن النبيﷺ، وذكر أنَّ السب والشتم والألفاظ البذيئة قد تأتي بنتائج عكسية، لهذا نهى الله –عزّوجلّ– عن سبِّ آلهة المشركين، وبيّن أنَّ أعمال العنف كالحرق

والتخريب، من الأمور التي يرفضها الإسلام، وأنّه يجب على المسلم إن يكون حكيماً، وأن يعمل على نصرة رسول اللهﷺ بتطبيق شرعه بامتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه، كما أنَّ إشاعة وترويج المعلومات الكاذبة، والتي يجهل مصدرها أمر يتنافى مع الأخلاق الإسلامية، وأنَّ القرآن قد حكم على من يأتي بالأخبار الكاذبة بالفسق، وأمر المؤمنين بالتبيُّن والتثبت في خبر من يقوم بذلك. وما ذكره الباحث من ضوابط سأستفيد منها في مبحث مخصص لهذا العنوان.

٥- (ضَوابِطُ شَّرعِيَةُ في الدِّفاعِ عَنِ النَبيِّﷺ) الباحث فتحي بن عبدالله الموصلي، وتحدث فيه عن: أنّ الدفاع عن النبي ﷺ يُناط بالاستطاعة الشرعية إذ لا واجب مع العجز، وأن النُّصرة تقع بطرق شرعية ووسائل مجدية موصلة إلى الأغراض الشرعية، وجميع أحكام النُّصرة مبناها على المصالح المحضة أو الراجحة، وأن لا يعتدي المدافع في دفعه، والنصرة لا تتحقق إلا ببذل الواجب والمستحب من الدين بحسب الإمكان. وما ذكره الباحث من ضوابط سأستفيد منها في مبحث مخصص لهذا العنوان.

٦- (صورة النبي ﷺ في الفكر الأوربي بين الإجحاف والإنصاف) للأستاذ الدكتور محمد زرمان، وتناول فيه التطور التاريخي لتشكل صورة النبيﷺ في الفكر الأوروبي، متناولاً صورة النبي ﷺ في الفكر الأوروبي من خلال محاولة تجلياتها ومظاهرها، وتطرق الباحث إلى العوامل الكامنة وراء تشكل صورة النبي ﷺ في الفكر الأوربي.

٧- كتاب (لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام ﷺ) ، باسم خفاجي، ويقع الكتاب في مئة وعشرين صفحة، من القطع الصغير، وينقسم إلى ستة فصول:

الفصل الأول: النبي في الفكر الغربي.

الفصل الثاني: الصورة الذهنية عن الإسلام و نبيهﷺ.

الفصل الثالث: الأصول الفكرية لموقف الغرب من النبيﷺ .

الفصل الرابع: تغيير نظرة الغرب للنبي ﷺ .

الفصل الخامس: مشروعات مقترحة.

الفصل السادس: خلاصة وتوصيات.

ومن خلال قراءة الكتاب وجد الباحث أن الكاتب أجاد و أفاد- جزاه الله كل خير- ولكنه في بعض الأحيان يخالف الواقع ويحكم بالعموم في بعض المسائل، فهو يرى أن الحضارة الغربية واحدة في الكيان الفكري من ناحية المنطلقات الأساسية وعلاقتها بالحضارات الأخرى، وعلاقة ذلك بموقف الغرب من النبي ﷺ ؛ أي أنه يرى أن كلهم يعادون النبيﷺ .

والكاتب يُخالف في ذلك، فالحضارة الغربية تنقسم إلى أقسام من حيث الديانات وتعاملها مع الإسلام والمسلمين، وكذا التطور الفكري والحوار في تلك الحضارة فسوف نقف على بعض المواقف المنصفة من الغرب والديانات الأخرى.

- ويرى المؤلف أنَّ الغرب يكاد يجمع على موقف واحد ضد نبي الإسلام ﷺ، فيقول:

(فمَن مِن الممكن أن يكون غير الغرب عدواً للنبيﷺ ؟)

وغيرها من الأمور التي يُوافق أو يُخالف عليها الكاتب والتي سوف نقف عليها في أثناء الدراسة - إن شاء الله -.

ومن خلال النظر في هذه البحوث نجدها تنوعت في الطرح، وبعضها أعاد ما ذكره سابقُه بأسلوب جديد، وسوف ألتقي معها في بعض مطالب هذه الدراسة، ثم أحاول تقديم دراسة أكاديمية معمَّقة(إن شاء الله تعالى) تكون عبارة عن دراسة جمعت ما يتعلق بالإساءة إلى النبيﷺ، ووسائل هذه الإساءة قديماً وحديثاً، والشبهات المثارة حول النبيﷺ، ثم تقديم منهج مقترح وأساليب ووسائل نظرية وعملية للدفاع عن النبي ﷺ للمسلمين أفراداً ودولاً تفي بالغرض والهدف المطلوب-إن شاء الله تعالى-.

الفصل التمهيدي : مكانة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وحكم التعدي عليهم.

يعدُّ السوء في عُرْف الناس كلّ ما يؤذي الإنسان من الأمور الدنيوية والأخرويَّة، ومن الأحوال النفسية والبدنية، ويعد من باب الابتلاء للمؤمنين والبلاء لغيرهم، ولقد كان من سنة الله – عزّ وجلّ- في هذه الحياة الدنيا ابتلاء المؤمنين كلٌّ على قَدْر مكانته وإيمانه،قال تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ (الملك: ٢)، فكان الأنبياء أشدّ الناس بلاءً من بين البشر، فلقد أوذي كل نبي من الأنبياء على مرِّ الأزمان، وهكذا صاحب كل دعوة يجد من يعاديه، ممن يتبع هواه من الجن والإنس، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (الأنعام: ١١٢)، وهكذا كان حال رسول الله ﷺ حين دعا الناس إلى عبادة الله عزّ وجلّ؛ فقد وجد ألواناً من العذاب من جهات شتى، من أقاربه تارة، ومن قريش تارة أخرى، وعندما هاجر وجد الشيء نفسه في المدينة، وهكذا إلى أن توفاه الله عز ّوجلّ، وبعد موته وُجد من يسيء إليه ﷺ من مبغضيه.

في هذا الفصل سنقف مع مكانة الأنبياء وحكم الإساءة إليهم، بعد بيان معنى الإساءة والألفاظ ذات الصلة في اللغة، ثم نختم بحقوق النبيﷺ؛ فنسأله عزّ وجلّ التوفيق والسداد.

المبحث الأول: تعريف الإساءة والألفاظ ذات الصلة:

المطلب الأول : تعريف الإساءة لغة.

الإساءة في اللغة تعني الإتيان بسيّءٍ، ويقال أساء فلان:أتى بسيّءٍ، ضد أحسن، وإذا لم يحسن عمله يوصف بذلك أيضاً، وكذلك إذا ألحق به ما يشينه ويضره. ويجوز عندهم في اللغة أن تقول : أساء لفلان، وإليه، وعليه، وبه[١].

وذكر صاحب الفروق اللغوية أنّه يوجد فرق بين الإساءة والسوء، وهو أنَّ الإساءة اسم للظلم، يُقال: أساء إليه إذا ظلمه، والسوء اسم الضرر والغم، يقال: ساءه يسوؤه إذا ضرّه وغمّه، وإن لم يكن ذلك ظلماً. كما بيّن الفرق بين الإساءة والمضرّة: أنّ الإساءة قبيحة، وقد تكون المضرّة حسنة إذا قصد بها وجه يحسن، نحو المضرّة بالضرب للتأديب، وبالكدّ للتعلم والتعليم. وذكر أيضاً الفرق بين الإساءة والنقمة، بأنَّ النقمة: قد تكون بحق جزاء على كفران النعمة. والإساءة: لا تكون إلا قبيحة، ولذا لا يصح وصفه تعالى بالمسيء[٢].

وقد ورد ذكر هذا المصطلح في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن ذلك ما يأتي:

أ. القرآن الكريم:

١. ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٦٦)،أي وإن من أهل الكتاب فريق معتدل ثابت على الحق، وكثير منهم ساءَ عملُه وقَبُح وضلَّ عن طريق الحق.

---

[١] الزبيدي،محمد بن محمد الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، دار الهداية، سوأ ،ج١، ص ٢٧٤. وابراهيم مصطفى وزملاؤه، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ج١، ص٤٦٠.

وابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة سوأ، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت، ج١، ص٩٥.

[٢] العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية ،ج١، ص ٤٣ .

٢. ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (فصلت: ٤٦)،أي من أطاع الله –عزّ وجلّ– ورسوله وعمل صالحاً فلنفسه ثواب عمله، ومن أساء فعصى الله ورسوله فعلى نفسه وِزْرُ عمله وسوء صنيعه.

٣. ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ (النساء: ١٤٨)، أي لا يحب الله –عزّ وجلّ– أن يجهر أحدٌ بقول السوء والفحش من الكلام والفعل، لكن يباح للمظلوم أن يذكر ظالمه بما فيه من السوء؛ ليبين مظلمته.

٤. ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (الممتحنة: ٢)، أي إن يَظْفر بكم هؤلاء الذين تسرُّون إليهم بالمودة يمدُّوا ألسنتهم ويتكلموا بكم بالسبِّ والشتم.

وغيرها من الآيات التي تزيد على مئة آية استخدمت هذا المصطلح وتصريفاته.

ب. في السنة النبوية:

في صلح الحديبية في رد عروة بن مسعود على المغيرة بقوله: (وهل غسلت سوَْأتَك إلا أمس)[١]، والسَوْأة في الأصل الفرج، ثم نقل إلى كل ما يستحيا منه إذا ظهر من قول أو فعل، وهذا القول إشارة إلى غدر كان المغيرة فعله مع قوم صحبوه في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم[٢].

---

(١) ابن حنبل، أحمد الشيباني، المسند، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د. ط، د. ت، ج٤، ص٣٢٣، حديث ١٨٩٣٠، والحديث أصله في البخاري ومسلم إلا هذه اللفظة، وقد حسنها الشيخ شعيب، وهي مما انفرد بها محمد بن إسحاق في هذا الحديث عن غيره من الرواة و اللفظ في باقي الروايات (أسعى في غدرتك)، يقصد السوأة، وابن إسحاق مدلس وقد صرح بالسماع في الرواية، ولعله روى الحديث بالمعنى، واللفظ يحتمل عند العرب، فهي: حسنة–والله أعلم–.

(٢) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦، ج٢، ص٨١٨.

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة.

الفرع الأول: الإيذاء:

الأذَى كلُّ ما تأذيت به، والأذاة هي المكروه اليسير، والأذيّ: شديد الأذى[1].

وقد استخدم هذا المصطلح في القرآن الكريم بعدة تصريفات؛ منها:

١. قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ ﴾ (الأحزاب: ٦٩) أي آذوه بقولهم: ما يمنعه أن يغتسل معنا[2].

وهنا يحذر الله –عز وجل– المؤمنين أن يؤذوا نبيه صلى الله عليه وسلم كالذين آذوا موسى عليه الصلاة والسلام من قبل.

٢. قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ (التوبة: ٦١)، أي من المنافقين من يؤذي النبي ﷺ بقوله : هو يستمع لكل شيء ويصدقه[3].

٣. قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (الأحزاب: ٥٧)، والذين يؤذون الله في الآية معناه: فعل المعاصي وارتكابهم ما حرم عليهم، وقيل هم أصحاب التصاوير لأنَّهم يرمون تكوين مثل خلق الله وأذية النبي ﷺ الطعن فيه[4].

٤. وغيرها من الآيات، وقد استخدم هذا المصطلح "الإيذاء" في حق من يؤذون النبي ﷺ في القرآن الكريم قرابة ثمان مرات.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة أذي، ج١٤، ص ٢٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،تحقيق:أحمد شاكر،مؤسسة الرسالة–دمشق،ط١ ٢٠٠٠م، ج٢٠، ص٣٣٢.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج١٤، ص٣٢٤.

(٤) الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص٣٢٢٠، وابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م، ج٦، ص٢٣٢.

وقد ورد مصطلح الأذى في الحديث النبوي الشريف في أحاديث عدة ؛ منها:

١. في حديث العقيقة: (أميطوا عنه الأذى)[١]، يريد الشعر والنجاسة وما يخرج على رأس الصبي حين يولد.

٢. في حديث إماطة الأذى عن الطريق: قوله ﷺ: (يميط الأذى عن الطريق صدقة)[٢]، وهو كل ما يؤذي فيها كالشوك والحجر والنجاسة ونحوها[٣].

من هنا نرى أن الإيذاء يشمل الأذى بالقول والأذى بالفعل، وهو القيام بما يُستَكْره من القول والفعل.

ومن هنا نَخْلص إلى: أنّ الأذى هو كل ما يُستكْره ويقبُح من القول والفعل وقد يكون يسيراً أو كثيراً.

الفرع الثاني: الاستهزاء:

هَزَأَ: الهُزء والهُزُؤُ، هَزَأَ به ومنه أي سَخِرَ منه، ورجل هُزَءَأة بالتحريك، يَهْزأُ بالناس ويسخر منهم[٤].

وقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم في مواضع عدة ، منها:

١. قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة: ١٥)، أي يمهلهم ويخبرهم أنه فاعلٌ بهم يوم القيامة ما يريد على طغيانهم.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب العقيقة، باب إماطة الأذى عن الصبي، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، حديث ٥١٥٤.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، ، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ الركاب، حديث٢٨٢٧.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١، ص٤٧.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة هزأ، ج١، ص١٨٣. والرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د.ط، ١٤١٥هـ-١٩٩٥، ص٧٠٥.

٢. قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ (التوبة: ٦٥)، أي أبالله وآياته ورسوله تستهزؤن وتضحكون بكلامكم ومزاحكم.

٣. قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ (الحجر: ٩٥)، أي إنَّا توكلنا بك وكفيناك الساخرين المنتقصين المستهزئين بك من قريش.

وغيرها من الآيات التي تحدثت عن حال المستهزئين بالأنبياء ومآلهم وجزائهم، وأما عن ورود هذا اللفظ في حديث النبي ﷺ فلم أقف على شيء من ذلك بعد البحث والتقصي، فالله تعالى أعلم.

وخلاصة القول في الاستهزاء إنّه السخرية وتنقُّص الآخرين بالقول.

الفرع الثالث: السب : السَّبُّ القَطْعُ سَبَّه سَبّاً قَطَعه، والتَّسابُّ التَّقاطُعُ والسَّبُّ الشَّتْم وهو مصدر سَبَّه يَسُبُّه سَبّاً شَتَمَه.[١]

وقد ورد مصلح سب في القرآن الكريم في موضعين في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ (الأنعام: ١٠٨).

أي : ولا تسبُّوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد، فيسبَّ المشركون اللهَ جهلا منهم بربهم، واعتداءً بغير علم.

أما في السنة النبوية فقد ورد في عدة أحاديث؛ منها :

قوله ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[٢]

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، مادة سبب، ج١، ص٤٥٥.

[٢] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أي يحبط عمله وهو لا يعلم، حديث ٤٨.

قال ابن الأثير : (السب :الشتم ،قيل :هذا محمول على من سب أو قاتل مسلماً من غير تأويل، وقيل هو على جهة التغليظ)[1] . وفي حديث آخر قوله ﷺ : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)[2].

وقد ورد هذا المصلح في أحاديث عدة في السنة النبوية، وعند النظر في المصطلحات السابقة نجدها تلتقي في الشتم وتنقُّص الإنسان والإساءة إليه، قال محمد بن عبد الملك : (تَلَبَه وسبَّه وتنقّصَه وعابَه واسمعه ووقَمَه وقذَعه وقَرَفَه وجَبَهَه ومزَّقَه ولحَاه ومَصَغَ عِرْضَه، كلُّ هذا يعتبر من الإساءة)[3].

من هنا نرى مدى ترادف هذه الكلمات ومعانيها وإن اختلفت مبانيها إلا أنه لها المعنى نفسه في إيصال الأذى والإساءة للمقابل، وفي مقابلها رد الظلم والنصرة كما سنرى.

* وفي مقابل تلك الألفاظ يرد لفظ النُّصرة، الذي يعني في اللغة: إعانة المظلوم؛ نَصَره على عدوِّه[4].

وقد استخدم مصطلح النصرة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها:

١. قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ (التوبة: ٤٠).

٢. قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ (محمد: ٧).

٣. قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ (النصر: ١).

---

[1] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ،ج١،ص٧٤٤.

[2] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب (وما يهلكنا إلا الدهر)، حديث ٤٨٢٦.

[3] الجيَّاني، محمد بن عبد الملك ، الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة ، تحقيق :محمد حسن عواد ، دار الجيل- بيروت، ط١ ،١٤١١هـ،ج١،ص١١٨.

[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة نصر، ج٥، ٢١٠، الرازي، مختار الصحاح، ص٦٨٨.

وورد في الحديث النبوي في عدة مواضع منها:

- قوله ﷺ : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)[1].

- قوله ﷺ : (كل مسلم على مسلم محرم؛ أخوان نصيران)[2].

من هنا نرى أن النصرة تكون من المرء للإنسان المظلوم، وهي إعانته ورد الظلم عنه، وقد ورد هذا الأمر في القرآن الكريم وأوجبه الله عز وجل في حق نصرة نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ (محمد: ٧).

ونُصرة الأخ المسلم واجبة من خلال الحديث الأول: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) فمن باب أولى وأوجب نصرة النبي ﷺ كلٌ على حسب حاله .

خلاصة المبحث:

رأينا أن الإيذاء والاستهزاء والإساءة هي مصطلحات تتقارب في معناها، من حيث عدم الإحسان، وفعل ما يضر، وما يكرهه الإنسان من قول أو فعل، والتحقير والإهانة والسخرية، وقد كان المشركون وغيرهم في عهد النبي ﷺ ، وفي هذا العصر، يتناولون شخصية النبي ﷺ بالإساءة والإيذاء والاستهزاء بصور عدة منها: الإيذاء الجسدي، والسبّ، والاستهزاء، وغيرها من الأمور، وكل صورة من هذه الصور لها مقابل من صور النصرة، ففي زمنه ﷺ كان هناك رفع

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب اعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، حديث ٢٣١١، مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، حديث ٢٥٨٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت،د.ط ،د.ت.

(٢) النسائي، أحمد بن شعيب، المجتبى من السنن، كتاب الزكاة، باب من سأل بوجه الله، حديث ٢٥٦٨، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ،ابن حنبل، المسند، حديث ٢٠٠٢٥، وهو من رواية حكيم بن معاوية بن حَيدَة عن أبيه، وحكيم قال فيه ابن حجر : (صدوق)، خرَّج له البخاري في موضعين وروى له الأربعة، وثّقه العجلي، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، ابن حجر: أحمد بن علي، تقريب التهذيب، بيت الأفكار الدولية، لبنان، د.ط،٢٠٠٥م، ص١٦١، والكتاب مجموع معه:(الكاشف، مراتب المدلسين، مراسيل أبي زرعة، علل ابن رجب،الكواكب النيرات)، والحديث حسن-والله أعلم- .

الظلم عنه ﷺ ونصرته من حيث رفع الإيذاء الجسدي، أم في زماننا فقد توقفت هذه الصورة بموتهﷺ.

أما نصرته من حيث رد الكلام عنه والاستهزاء به يمتد من زمانه ﷺ إلى زماننا لأنّه أمر معنوي، وله صور شتى، وهذا ما سيتضح معنا– إن شاء الله تعالى– في ثنايا البحث.

المبحث الثاني: مكانة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وحكم التعدي عليهم والانتقاص منهم.

المطلب الأول: مكانة الأنبياء في الكتاب والسنة.

النبي هو إنسان اختاره الله -عز وجل- لحمل الرسالة، والنبوة هبة ربانية ليست مكتسبة بالعمل والجدّ والإكثار من الطاعات، وإنّما هي بمحض فضل الهي، ولا يقدر عليها إلا ذو العزم من الرجال كما قال تعالى مخاطباً خاتم الأنبياء والمرسلين: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل: ٥)[1].

والنبوة لا تكون بالوراثة، ولا تكون بطريق الغلبة والاستعلاء، إنما هي اختيار يختار الله عز وجل لها أفضل عباده، وصفوة خلقه، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (الحج: ٧٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣٣-٣٤).

فقد كان الناس على الهدى وعلى دين الحق، ولكنهم اختلفوا وتنازعوا وافسدوا في الأرض، وحادُوا عن الطريق القويم، فبعث الله خيرة عباده، اصطفاهم رسلاً إلى الناس مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٥).

---

(١) ابن تيمية، تقي الدين حمد بن عبد الحليم، النبوة والنبوات، دار ابن الجوزي، القاهرة، تحقيق: د. محمد يسري، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٦٠٦، الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، رابطة العالم الإسلامي، ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص١٣.

كما جعل الله –عز وجل– كلَّ رسولٍ منهم منقذاً من ظلمات الجهل والضلالة، يبين لقومه خيري الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: ٢١٣).

فهم أفضل خلق الله –سبحانه وتعالى– أرسلهم إلى الإنس والجن، منهم من أُرسل إلى قومه، ومنهم من أُرسل إلى أمة، ومنهم من أرسل إلى الخلق أجمعين، ولهذا يتفاضل الأنبياء عند ربهم– صلوات الله عليهم أجمعين– قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾(البقرة: ٢٥٣) وفي حديث الإسراء بيان لدرجات الأنبياء وتفاضلهم حين رأى النبي ﷺ الأنبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند ربهم.

وكما ورد عن رسول الله ﷺ عندما تحدث عن فضل أبي بكر وعمر من حديث أنس – رضي الله عنهم أجمعين– قالﷺ : (هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين)[1]، وفيه إشارة إلى علو شأن الأنبياء ورفعة مكانتهم بين خلق الله أجمعين.

فالبشر بحاجة إلى معرفة ربهم، ومعرفة طريق الهداية، لانتشار الأخلاق القويمة، والشرائع العادلة، والعقل وحده لا يستقل بمعرفة هذه الأمور وتفصيلاتها، وكذلك العلم المادي التجريبي، فكانت حكمة الله سبحانه وتعالى إرسال الرسل مبشرين ومنذرين، ليخرجوا الناس من الظلمات إلى

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر، ، حديث ٣٦٦٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه) قلت: والحديث حسن من هذه الرواية، أما الحديث المروي عن علي بن أبي طالب فالحديث ضعيف بسبب الوليد بن محمد الموقري فقد تركه العلماء، قال ابن حجر فيه: (متروك)، احمد بن علي، تقريب التهذيب ، بيت الأفكار الدولية، د.ط، ٢٠٠٥م،ص٦٥٣، والكتاب مجموع معه عدة كتب، و قال الذهبي في الكاشف : (متروك)، وقد صحح الألباني الروايتين.

النور، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فالله –عزّ وجلّ– يريد الناس أن يتوبوا وأن يرجعوا إلى ربهم قال تعالى :﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (لنساء: ٢٧)، و قال النبيﷺ في معنى ذلك : (وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ)[1] ، ولهذا بعث الأنبياء ليدلوا الناس إلى الخير ويخرجوهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: حكم الانتقاص من الأنبياء– صلوات الله عليهم أجمعين–.

بعث الله –عزّ وجلّ– الأنبياء رسلاً مبشرين ومنذرين، فمن الناس من قَبِل هؤلاء الرسل وصدَّق بهم، ومنهم من كفر وعاندهم، بل ومنهم من حاربهم، فلقد أخبر الله –عز وجل– في كتابة الحكيم عن الرسل وما لاقوه من أقوامهم، وقصَّ ذلك على نبيه محمد ﷺ ما يثبِّت به فؤاده أمام ما يلاقيه من الإيذاء والإساءة، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (هود: ١٢٠).

وكُذِّب بعض الرسل قبل النبي ﷺ كما كُذِّب هو ﷺ من قِبَل قومه قال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ (فاطر: ٤)، واستهزئ برسل من قبله ﷺ كما استهزئ به ﷺ ، قال تعالى مسلياً نبيه ﷺ فيما لقيه من قومه : ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ (الأنبياء: ٤١).

فسنّة الله –سبحانه وتعالى– في خلقه وأنبيائه أن يُكذَّبوا ويُؤْذَوْا من قِبَل أقوامهم، وأن يصابوا بأشد البلاء، وكان أشدّهم بلاءً الأنبياء أولي العزم من الرسل، ولهذا أمر الله –عزَّ وجلَّ–

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب قولهﷺ : (لا شخص أغْيَر من الله)، حديث ٦٩٨٠، مسلم، صحيح مسلم، كتاب اللعان، حديث ١٤٩٩.

نبيَّه بالصَّبر كما صبر أُولوا العزمِ، قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ (الأحقاف: ٣٥)، وقد قال النبي ﷺ محدثاً عن حال الأنبياء في البلاء وشدته عليهم: (أشدُّ النَّاس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[1].

والناس في إيذاء الأنبياء والرسل على درجات فمنهم:

*الذي يكتفي بالإعراض عنهم.

*ومنهم من يدعو الناس إلى تكذيبهم.

*ومنهم من لا يكتفي بالتكذيب والإعراض بل يؤذيهم جسديا.

*ومنهم مع تكذيبه يؤذيهم معنويا فيسبهم وينتقص منهم.

*ومنهم من يؤمن بهم لكنه عند غضبه منهم أو ردة فعل منه على غيره ينتقص منهم.

والانتقاص منهم يكون أيضا على درجات، من حيث الحكم والإثم، وسأبين ذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول: إيذاء الوجهاء ليس كإيذاء غيرهم:

اعتاد الناس على أنّ إيذاء الوجهاء ليس كإيذاء عامة الناس، وفي الشريعة الإسلامية اعتبرت مقامات الناس وحالهم بين أقوامهم، وذلك من قوله ﷺ : (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا

---

[1] الترمذي، الجامع، كتاب الزهد، باب الصبر على البلاء، حديث ٢٣٩٨، وقال الترمذي : (هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن أبي هريرة، وأخت حذيفة بن اليمان)، ابن حنبل، المسند، حديث فاطمة بنت اليمان، حديث ٢٧١٢٤، والحديث بوَّب فيه البخاري، كتاب المرض، باب أشد الناس بلاءً الأنبياء، ج٥، ص٣١٣٨، وقال الهيثمي: (رواه أحمد والطبراني وإسناد احمد حسن)، مجمع الزوائد،حديث٣٧٤٠،ج٣،ص١٣، والحديث حسن–والله أعلم– ، والحديث صححه الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته،المكتب الإسلامي– بيروت،ط٣ ١٤٠٨هـ،١٩٨٨م،ج١ ، ص٢٣١،حديث٩٩٦.

الحدود)[1]. قال ابن الأثير: (هم الذين لا يُعرفُون بالشر، فيزلُّ أحدُهم الزلَّة)[2]، وقال الطحاوي: (هم أهل الصلاح لا مَنْ سواهم)[3]، وقوله ﷺ في سعد (قوموا إلى سيدكم)[4]

ولهذا قال أهل العلم إن ذوي الهيئات هم الوجهاء من الناس، فصاحب الجاه في قومه، وصاحب الكلمة لا يعامل كغيره، فالإسلام يحفظ له كرامته وكلمته بين الناس، حتى يبقى شريفاً تُسمع كلمته عند الحاجة، وخير دليل ما قاله النبي ﷺ في حفظ جاه وكرامة أبي سفيان– رضي الله عنه– في فتح مكة: (من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن)[5]، فقد قال العلماء: كل هذا في حفظ مكانة الناس فيما بينهم[6].

فالإساءة إلى الوجيه ليست كالإساءة إلى غيره، وكذلك الإساءة إلى نبي من الأنبياء ليست كالإساءة إلى غيره، وقد رتبت الشريعة الإسلامية عقاباً عظيماً على كل من آذى نبياً، وخاصة سيدنا ﷺ قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة: ٦١)، وقال

---

(1) أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، كتاب الحدود، باب في الحد يشفع، حديث ٤٣٧٥ ، ج٢، ص٥٣٨، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد محي الدين، د. ط، د. ت، المسند، حديث ٢٥٥١٣ ،ج٦، ص١٨١،قال الشيخ شعيب : (حديث جيد بطرقه وشواهده وهذا إسناد قد اختلف فيه على أبي بكر)، والحديث ضعيف–والله أعلم– فإسناده قد اختلف فيه على محمد بن أبي بكر بين الوصل والإرسال، والراجح هو الإرسال؛ وقد قوّاه الطحاوي في (شرح مشكل الآثار) وجمع طرقه، وبيّن إسناده، والاختلاف فيه على محمد بن أبي بكر ومَن رواه معه، شرح مشكل الآثار،ج٦،ص١٥٠.

(2) ابن الأثير ، النهاية، مادة هيأ، ج٢،ص٩٢٠.

(3) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد، شرح مشكل الآثار، تحقيق :شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة–دمشق، ١٩٩٤م،حديث٢٣٧٨،ج٦،ص١٥٠.

(4) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب نقض العهد، حديث ٢٨٧٨، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، ج٢، ص١٣٨٨–١٧٦٨.

(5) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، حديث ١٧٨٠.

(6) النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، ج١٢، ص١٢٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ٦٣).

قال ابن تيمية: "فعلم أن إيذاء رسول الله ﷺ محادة الله ولرسوله، لأنّ ذكر الإيذاء هو الذي اقتضى ذكر المحادَّة، فيجب أن يكون داخلاً فيه، ودل ذلك على أن الإيذاء والمحادة كفر، لأنّه اخبر أنّ له نار جهنم خالداً فيها، ولم يقل: "هي جزاؤه" وبين الكلاميين فرق، بل المحادَّة هي المحادَّة والمشاقة، وذلك كفر ومحاربة، فهو أغلظ من مجرد الكفر، فيكون المؤذي لرسوله ﷺ كافراً، عدواً لله ولرسوله، محارباً لله ولرسوله" [1].

بل إن الله عز وجل أمر المؤمنين بمقاطعة المحادِّين لله ولرسوله ﷺ المعادين لهم، فقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ ﴾ (المجادلة: ٢٢)، فعلم أنهم ليسو مؤمنين.

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الحشر: ٤).

فجعل الله عز وجل سبب استحقاقهم العذاب في الدنيا وعذاب النار في الآخرة مشاقة الله ورسوله، والمؤذي للنبي ﷺ مُشاقّ لله ورسوله.

وقال تعالى مخاطباً كل من يستهزئ برسوله: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ (التوبة: ٦٤-٦٦).

---

[1] ابن تيمية،أحمد بن عبد الحليم، الصارم المسلول، دار لبن رجب،القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٢٩.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رجل لفي غزوة تبوك في مجلس: (ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء ارغب بطوناً، ولا اكذب السناً، ولا اجبن عند اللقاء). فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، فقال عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–: (أنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله يقول: (أبالله وآياته كنتم تستهزؤون) [1].

وقد دل القرآن الكريم على أن من لمزه فقد آذاه، فاللمز: العيب والطعن، خاصة في الوجه، أي أمامه[2].

والهُمَزُ يعيبك في الغيب[3]، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ (التوبة: ٥٨)، وقال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾، وقال تعالى:﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾ (التوبة: ٦١).

وذلك يدل على أن كل من لمزه ﷺ أو آذاه كان من المنافقين الذين يسيئون إلى النبيﷺ، لأن "الذين" و"من" اسمان موصولان وهما من صيغ العموم، والآية نزلت بسبب لمز قوم وإيذاء آخرين للنبي ﷺ فحكمها كحكم الآيات السابقة التي نزلت في حكم من أذاه.

قد يقول أحدهم: إنَّ هذه الآية نزلت فقط في حكم نفاق أولئك الأشخاص الذين قالوه في حياته بأعيانهم. والجواب: لو لم تكن الدلالة مطردة في حق كل من صدر منه ذلك القول لم يكن

---

(١) الطبري، جامع البيان، ج١٤، ص٣٣٢، ابن كثير،السيرة النبوية، ج٢، ص٤٨٣، وذكر الطبراني: "أن الذي قال هذا الكلام:(إنا كنا نخوض ونلعب) هو وديعة بن ثابت بن عوف، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ–١٩٨٣م، ج٣، ص١٦٦، حديث ٣٠١٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٣٩٧،مادة لمز.

٣ ابن منظور ، لسان العرب، مادة همز ،ج٥ ،ص٤٢٥.

في الآية زجر لغيرهم أن يقول مثل هذا القول والتعريف به، ولكن في الآية تعظيم لذلك القول بعينه، وكذلك فان هذا القول مناسب للنفاق.

فإنَّ لَمْزَ النبي ﷺ وأذاه لا يفعله من يعتقد أنّه رسول الله حقاً، وأنه أولى به من نفسه، وأنّه لا يقول إلا الحق ولا يحكم إلا بالعدل، وأن طاعته لله تعالى، وأنّه يجب على جميع الخلق تعزيزه وتوقيره فحيث وُجد عكس هذا الأمر كان دليلاً على النفاق.

الفرع الثاني: حكم من سبَّ النبي ﷺ أو سبَّ نبياً من الأنبياء:

أجمع أهل العلم على كفر من كذب الرسل أو سبهم، أو استخفَّ بهم، أو استهزأ بهم، أو بسنة رسولنا، وأنَّ من سبَّ الرسول ﷺ يُقتل، وكذلك يلحق به من سبَّ بقية الرسل والأنبياء أو لعنهم، أو عابهم، أو قذفهم، أو استخف بهم، وبحقهم، أو الحق بهم نقصاً، أو غض من مرتبتهم أو نسب إليهم ما لا يليق بمنصبهم على طريق الذم، وكلُّ ذلك حكمه القتل[1].

وأدلتهم من الكتاب والسنة ما يأتي:

أ. القرآن الكريم:

١. قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة: ٦١)، فهم يسبُّون النبي ﷺ ويتهكَّمون به ﷺ ،فتوعدهم الله –عزّ وجلّ– بالعذاب الأليم.

---

[1] ابن عابدين، محمد بن أمين، رد المحتار على الرد المختار، ج٣، ص٣٩٠، ابن حزم، علي بن أحمد، المحلى، ج١٣، ص٢٣٤، عياض، القاضي اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص٧٧١، وما بعدها بتصرف، ابن قدامة، عبد الله بن احمد المقدسي، المغني، ج١٠، ص ١٠٣.

٢. قولـــه تعـــالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ٦٣)، أي من يحادد الله –عزّ وجلّ – ورسولَه ﷺ ويعلن الشقاق والإيذاء لهم فإنَّ له نار جهنم خالداً فيها جزاء صنيعه.

٣. قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ (التوبة: ٦٤-٦٦)، أي بسبب استهزائهم وسخريتهم بالله –عزّ وجلّ– آياته التي أنزلها والاستهزاء بنبيه ﷺ والسخرية به فهم قد كفروا بهذه الأمور.

٤. قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الحشر: ٤)، أي بسبب مفارقتهم أمر الله –عزّ وجلّ– وأمر رسولهﷺ والاستهزاء به حق عليهم العقاب الشديد.

٥. قولـه تعـالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وغيرها من الآيات التي استدل بها العلماء[١].

---

[١] انظر: ابن تيمية، الصارم المسلول، ص٢٩، السبكي ، تقي الدين علي بن عبد الكافي، السيف المسلول على من سب الرسول،تحقيق :سليم الهلالي، دار ابن حزم،ط١ ،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص١٠٥.

ب . الأدلة من السنة:

١. قول النبي ﷺ عندما خطب في قضية الإفك واستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول فقال: (من يعذُرني من رجل بلغني أذاه في أهلي) فقال سعد بن معاذ سيد الأوس: أنا يا رسول الله أعذرك منه، إنْ كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك) [١].

فقول سعد بن معاذ–رضي الله عنه– هذا دليل على أنَّ قتل مؤذيه كان معلوماً عندهم، وأقرَّه النبي ﷺ ولم ينكره، ولا قال له: إنّه لا يجوز قتله، والمُستعذَر منه ابن أُبيّ بن سلول، وكان ظاهره الإسلام، ولم يكن قصد سعد قتله لنفاق، وإنما كان لأذاه لرسول الله ﷺ.

٢. حديث مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه : أن النبي ﷺ يوم فتح مكة أمَّن الناسَ، إلا أربعة نفر وامرأتين، وسمَّاهم، ومنهم: عبدالله بن أبي سَرْح.

قال سعد : (وأما ابن أبي سَرْح، فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم اقبل على أصحابه فقال: (ما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله)، فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك؟ قال: (إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين) [٢].

---

[١] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، سورة النور، حديث ٤٤٧٣، مسلم، كتاب التوبة، باب قصة الإفك وتوبة القاذف، حديث ٢٧٧٠.

[٢] أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب قتل الأمير ولا يعرض عليه الإسلام، حديث ٢٦٨٣ ، النسائي، المجتبى من السنن، كتاب تحريم الدم، باب حكم المرتد، حديث ٤٠٦٧ ، ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، المصنف، مكتبة الرشد، ط١ ،١٤٠٩هـ ،حديث ٣٦٩١٣ ،قال الهيثمي : (رواه أبو داود وغيره باختصار، ورواه أبو يعلى والبزار ورجالهما رجال ثقات)مجمع الزوائد،ج٦،ص١٦٨–١٦٩ ، قلت: الحديث صحيح –والله أعلم–.

ومنهم عبد الله بن هلال بن خطل وقينتا ابنِ خطل وهما فرتنا وأرنب، فهو كان يقول الشعر يهجو النبي ﷺ ويأمرهما تغنيان به، فقتل سعيدُ بنُ حريث ابنَ خطل وهو متعلق بأستار الكعبة.

وابن أبي سرْح كان مسلماً فارتد وكان يكتب الوحي فلذلك غلظ عليه رسول الله ﷺ أكثر مما غلظ على غيره من المشركين[١].

وفي استتابة السابّ المسلم (لأنه ارتد) خلاف بين الفقهاء: قال الحنفية[٢] والحنابلة[٣] وابن تيمية[٤]: (إن ساب النبي ﷺ يعتبر مرتداً، كأي مرتد لأنه بدل دينه، فيستتاب وتقبل توبته.

أما المالكية فقد صرحوا بأن ساب النبي ﷺ لا يستتاب إلا أن يكون كافراً فيسلم[٥].

أما الشافعية فيرون أن سب النبي ﷺ ردة وزيادة، وحجتهم أنّ السابّ كفر أولاً، فهو مرتد، وأنه سب النبي ﷺ فاجتمعت على قتله علتان كل منهما توجب قتله)[٦].

الفرع الثالث: حكم السابّ غير المسلم:

للعلماء أقوال عدة في حكم السابّ للنبي ﷺ إذا كان غير مسلم، على النحو الآتي:

---

(١) الخطابي، أحمد بن محمد، معالم السنن،حلب المطبعة العلمية، ط١، ١٩٣٢م، ج٢، ص٢٨٧.

(٢) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود،دار عالم الكتب،الرياض، ٢٠٠٣م، ج٣، ص٣٩٠.

(٣) ابن قدامة، المغني، ج١٠، ص١٠٣.

(٤) ابن تيمية، الصارم المسلول، ص٢٥٨ وما بعدها بتصرف.

(٥) ابن رشد، محمد بن احمد القرطبي، البيان والتحصيل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ج١٦، ص٣٣٨.

(٦) للتوسع ينظر: الصارم المسلول ،ص٢٠٢ وما بعدها، السبكي، السيف المسلول، ص١٠٩ وما بعدها.

عند المالكية: يقتل وجوباً بهذا السب إنْ لم يسلم، فإن أسلم إسلاماً كاملاً غير فارٍّ به من القتل لم يقتل لقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٨).

وعند الشافعية: إن اشترط عليهم انتقاض العهد بمثل ذلك، انتقض عهد الساب، ويخير الإمام فيه بين القتل والاسترقاق، والمن والفداء إن لم يسأل الذمي تجديد العقد.

وعند الحنابلة فإنه يقتل، وفي رواية إلا أن يتوب بالإسلام فلا يقتل، ولا فرق بين النبيﷺ وغيره من سائر الأنبياء والرسل[1].

خاتمة المبحث:

مرَّ أنَّ الأنبياء هم صفوة الخلق، اصطفاهم الله لحمل رسالته إلى الخلق، وهم خير البشر، من اعتدى عليهم بسبٍّ أو استهزاءٍ أو إيذاءٍ جسدي كان أو معنوي له أحكام خاصة من الكفر والردة والقتل، وحكم المسلم في ذلك كغيره، بل هو أشد كما رأينا عند الشافعية(لأنه اجتمع عليه علتان كلٌّ منهما توجب قتله) نسأل الله حسن الختام.

---

(١) انظر: ابن تيمية، الصارم المسلول، ص٢٦٢، السبكي، السيف المسلول، ١٨٥ وما بعدها،.

المبحث الثالث: فضائل النبي ﷺ وحقوقه على أمته.

المطلب الأول: فضائل النبي ﷺ في القرآن والسنة.

إنّ الجهل بمكانته وفضائله عليه الصلاة والسلام تؤدي إلى الإساءة إليه عند بعض الناس، بل إنّ التعريف بمكانته وفضائله قد يمنع بعض الناس الذين أساؤوا إليه أو يوقف من ينوون الإساءة إليه ﷺ ، وسأتحدث هنا عن بعض فضائله مما ورد في القرآن والسنة، وإلا فالإحاطة بها ليست من مقاصد الرسالة.

أولاً : توقيره ﷺ.

لقد عهد الله –عز وجل– إلى المسلمين توقير الرسول ﷺ وتعظيمه، وجعل هذا واجباً مفروضاً عليهم، فقال تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفتح: ٩)، قال العلماء: إنَّ التعزير والتوقير في الآية يعود الضمير فيها إلى النبي ﷺ، ومعناها: تعظيمه ﷺ ونصره وإجلاله[١]، فالرسول ﷺ هو سيد البشر بقوله ﷺ : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر[٢]، وخاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ، فهو آخر الأنبياء في البعثة، وأفضلهم في المنزلة والرتبة.

ثانياً: تفضيله على الأنبياء والرسل وجعله ﷺ خاتمهم.

الناظر إلى القرآن الكريم والمستقرئ لنداء الله عز وجل للأنبياء يجده عز وجل ينادي كل نبي باسمه، إلا سيدنا محمد ﷺ يناديه بـ(أيها النبي، الرسول، عبدنا، مبشراً، نذيراً،سراجاً منيراً .. وغيرها من ألفاظ المديح) ومما يدل على أن محمداً ﷺ سيد الرسل وأفضل الأنبياء والمرسلين أنه لم يبعث نبيٌ قط إلا وقد أخذ الله تعالى عليه العهد والميثاق إنْ أدرك محمداً ﷺ في حياته ليؤمنن به

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان، ج٢٢، ص١٠٨، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٣٦.

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة بني إسرائيل ﷺ ، حديث ٣٦١٥، وقال أبو عيسى:(هذا حديث حسن صحيح).

وليكونن من أنصاره وأتباعه، فهذا من أعظم الشواهد على جليل قدره ﷺ، وعظيم فضله، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

ثالثاً: شهرة نسبه بين قومه واشتهاره بالصدق والأمانة.

وقد وردت آيات كثيرة تبين قدر النبي ﷺ ورفعة مكانته عند ربه، وبين البشر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

قال السمرقندي[١]: وقرأ بعضهم: (من أنفَسِكم)، بفتح الفاء، وقراءة الجمهور بالضم[٢].

فالقراءة بالضمِّ تعني أنّ الله تعالى أعلم الأمة أنه بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، يعرفونه ويعرفون نسبه، ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب.

والقراءة بالفتح تعني أنَّه أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم، وهذه نهاية المدح، ثم وصفه بأوصاف حميدة، وأثنى عليه بمحامد كثيرة، من حرصه على هدايتهم، ورشدهم، وإسلامهم، ورأفته ورحمته بهم ﷺ.

قال بعض العلماء: أعطاه اسمين من أسمائه، رؤوف رحيم[٣].

---

(١) هو الإمام الفقيه الزاهد، نصر بن محمد السمرقندي الحنفي صاحب كتاب (تنبيه الغافلين) توفي ٣٧٥هـ، الذهبي سير أعلام النبلاء، ج١٦، ٣٢٢.

(٢) وهي قراءة شاذة مروية عن فاطمة وعائشة وهي قراءة ابن محيصن، الدمياطي، أحمد بن محمد، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٣٠٨.

(٣) القاضي عياض، الشفا ، ص٥٦.

وروى علي بن أبي طالب–رضي الله عنه– (من أنفَسَكم) قال: (نسباً وصهراً وحسباً، ليس في آبائي من لدن آدم سِفاح، كلنا نكاح)[1].

وقال جعفر الصادق: (علم الله عجز خلقه عن طاعته، فعرفهم ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته، فأقام بينهم مخلوقاً من جنسهم في الصورة، وألبسه من نعته الرأفة والرحمة، وأخرجه إلى الخلق سفيراً صادقاً، وجعل طاعته ﷺ طاعة لله، وموافقته ﷺ موافقة لله، فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ (النساء: ٨٠)[2].

وهو ﷺ رحمة للعالمين جميعا، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

رابعاً: خليل رب العالمين وأول شافع ومشفع.

أرسله الله عز وجل للناس كافة، قال صاحب تفسير الظلال في تفضيله ﷺ ليكون رسولاً خاتماً إلى العالمين وللإنس والجن أجمعين: (والتفضيل هنا قد يتعلق بالمحيط المقدر للرسول، والذي تشمله دعوته ونشاطه، كأن يكون رسول قبيلة، أو رسول أمة، أو رسول جيل، أو رسول الأمم كافة في جميع الأجيال، كذلك يتعلق بالمزايا التي يوهبها لشخصه أو لأمته، كما يتعلق بطبيعة الرسالة ذاتها، ومدى شمولها لجوانب الحياة الإنسانية والكونية)[3].

وسيدنا محمد ﷺ في القمة العالية بين الرسل، وخليل رب العالمين، أرسله الله عز وجل برسالة شاملة تمتد من بعثته ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، حديث٤٧٢٨ ، دار الحرمين، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ، ابن أبي شيبة، المصنف، حديث ٣١٦٤١، (والحديث حسنه الألباني ، صحيح الجامع ،حديث ٣٢٢٣).

(٢) عياض، الشفا، ص٥٩.

(٣) انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط١٥، ١٤٠٨هـ–١٩٨٩م، ج١، ص٢٨٢.

وهو ﷺ سيد ولد آدم، وهو من بيده لواء الحمد يوم القيامة، وهو أول شافع ومشفع، وهو الذي يشفع للخلق بابتداء الحساب يوم القيامة، فعن أَبُي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)[1].

خامساً: اختصاصه بأمور لم تكن لغيره من الأنبياء.

وقد خصَّه الله عز وجل بست لم يعطها أحد من الأنبياء قبله، ففي الحديث عن أبي هريرة– رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: (فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون)[2]. واللفظ لمسلم.

فهو يخبر ﷺ بأن الله فضَّله على غيره بست، أوتي جوامع الكلم، وذلك بأن يجمع في القول الوجيز المعاني الكثيرة.

ونُصر بالرعب؛ وذلك بما يلقيه الله عز وجل في قلوب أعدائه من الخوف من رسولهﷺ وأتباعه كما في حمراء الأسد وفي تبوك.

وأُحلت له الغنائم، وكانت غنائم من قبلنا من الرسل وأتباعهم تجمع ثم تنزل نار من السماء لتحرقها.

وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً ولأمته، فحيثما أدركت الصلاة رجلاً من هذه الأمة الصلاة فبإمكانه أن يتوضأ، فان لم يجد ماءً يتيمم ثم يصلي في أي مكان.

---

(١) مسلم،صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل النبيﷺ على جميع الخلائق، الترمذي، الجامع، كتاب المناقب، باب في فضل النبي، حديث ٣٦١٥، وقال :حديث حسن صحيح، ابن ماجه، محمد بن يزيد، كتاب الزهد، باب شفاعة النبيﷺ، حديث ٤٢٠٨، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، حديث٤٢٧، مسلم، صحيح مسلم،كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث ٥٣٢ .

وأُرسل إلى الناس كافة، من كان في وقت بعثته ﷺ، من العرب المشركين ومن أتباع الديانات الأخرى، إلى أن تقوم الساعة، به ختم الله النبيين والمرسلين، فلا يبعث بعده نبي ولا رسول، بموته انقطع الوحي إلى البشر من السماء[1].

واختم هنا بنقل كلام صاحب كتاب (المائة الأوائل في تاريخ البشرية) وهو كتاب ألفه صاحبه وهو غير مسلم في ترتيب مائة شخصية أثرت في البشرية، فبدأ كتابه بذكر سيدنا محمد ﷺ فيقول:(إنَّ اختيار المؤلف لمحمد ﷺ ليكون في رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، إن هذا الاختيار أدهش كثير من القراء إلى حد انه قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقاد المؤلف أن محمداً ﷺ كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وابرز في كلا المستويين الديني والدنيوي.

لقد أسس محمد ﷺ ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العاملين السياسيين العظام، ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً فإنَّ تأثيره لا يزال عارماً قوياً[2]).

وفضائله ﷺ أكثر من أن تحصى، جمعنا الله به على حوضه آمنين مطمئنين.

المطلب الثاني: حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته.

من نعم الله تعالى أنْ أرسل إلينا خير رسله قال تعالى:﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (آل عمران: ١٦٤)، فأرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وجعل محبة الله

---

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج، ص٤٣٧، النووي، المنهاج، ج٥، ص٥، الأشقر، عمر سليمان، الرسل والرسالات، دار النفائس، عمان، ط١٤، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م، ص٢١٦.

(٢) هارت، مايكل، المائة الأوائل في تاريخ البشرية، ترجمة خالد أسعد، احمد سبانو، دار قتيبة، ط٧، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٢١.

-عزَّ وجلَّ- محبَّة نبيِّه وإتّباعه، وجعل حقَّه ﷺ آكد من حق النفس والمال والولد فقال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ (الأحزاب: ٦).

وأوجب الله -عزَّ وجلَّ- علينا طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، وجعل لله حقوقاً على عباده لا يشاركه فيها أحد، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب. وجعل لنبيهﷺ حقوقاً على أمته لا يساويه فيها أحد من الخلق.

وحقوقه ﷺ كثيرة منها: الإيمان به ﷺ ، واتّباعه وتوقيره، واحترامه ﷺ من غير غلو ولا إفراط، كما قال النبي ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله)[1].

وقد ذكر الله -عز وجل- في كتابه عدة حقوق لنبيه ﷺ على أمته، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ (الفتح: ٨-٩)، والتعزير: النصرة والإجلال والتوقير والتعظيم.

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ (التغابن: ٨)، فالإيمان به من حقوقه ﷺ .

وهذه نبذةٌ تفضي إلى متسعٍ من الكلام، وفي بسطها خروج عن الغرض الرئيس، فنأتي على إيجازها من غير إخلال -إن شاء الله تعالى.

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت، حديث ٣٢٦١، ابن حنبل، المسند، حديث ١٥٤، الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، السنن، كتاب الرقاق، باب قوله ﷺ : "لا تطروني"، حديث ٢٧٨٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

أولاً: الإيمان به ﷺ.

أوجب الله عز وجل في كثير من الآيات في كتابه الكريم الإيمان بنبيه ﷺ وبجميع أنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (الحديد: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴾ (الفتح: ١٣).

وغيرها من الآيات التي توجب على كل من لقيه أو سمعه أو سمع به من بعثته ﷺ إلى يوم القيامة أن يؤمن به ﷺ ، فالفوز والمغفرة والهداية والنجاة من العذاب الأليم والسعير المقيم هو بالإيمان بالله ورسله، وإتباع طريقهم، وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ .

وقد بعث الله سبحانه وتعالى نبيَّه محمداً ﷺ إلى النَّاس كافّة، والى العالمين نذيراً وبشيراً، ليقروا بتوحيد الله سبحانه وتعالى، ويؤمنون برسوله ﷺ ، ويشهدوا شهادة الحق لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وفرض عليهم فرائض، منها طاعة رسوله، وأتباعه، فالمؤمن هو من نطق بالشهادتين بلسانه، موقناً من قلبه، وعاملاً بالفرائض التي أوجبها الله عليه[١].

ومما تعلمناه ويتعلمه كل مسلم من لدن النبي ﷺ إلى يوم الدين؛ حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: (بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان)[٢].

---

(١) الآجري، محمد بن الحسين، الشريعة،تحقيق :محمد بن الحسن،دار الكتب العلمية–بيروت،ط١ ١٤١٦هـ–١٩٩٥م، ج٢، ص٢٤،

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإيمان بالنبي ﷺ، حديث٨، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام ودعائمه العظام، حديث١٦.

فالمراد من هذا الحديث أنَّ الإسلام مبني على هذه الأركان والدعائم لبنيانه، فلا يقوم الإسلام إلا بهذه من غير إنقاص ولا تقصير، والإيمان به ﷺ من هذه الدعائم والأركان، فهو خاتم النبيين وصفوة المرسلين، وحبيب رب العالمين، فلا يذوق طعم الإيمان إلا من آمن به ﷺ ، ولا يقبل دين من لا يؤمن به ﷺ ، ففي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه عن- النبي ﷺ قال: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً)[1]، فالرضا بمحمد ﷺ يقتضي الإيمان بجميع ما جاء به من عند الله عز وجل وقبول ذلك بالتسليم والانشراح[2].

وكذا أوجب الله عز وجل على أهل الكتاب الإيمان به ﷺ ، وأظهر صفاتَه التي ذكرت في التوراة والإنجيل فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ (المائدة: ١٥)، فقطع الله -عزّ وجلّ- حجج أهل الكتابين بما أخبر من صفته في كتبهم، وأنَّ الذي جاء به محمد ﷺ هو النور، وهو الحق الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور، وأنه يهديهم إلى صراط مستقيم[3].

فالإيمان به ﷺ حق وواجب على كل من سمع به ﷺ فدعوته عالمية، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء ١٠٧).

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من رضي بالله رباً..، حديث٣٤، الترمذي، السنن، كتاب الإيمان، باب، حديث ٢٦٢٢، والترمذي ترك الباب دون تسمية.

(٢) انظر: ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي، جامع العلوم والحكم، تحقيق شعيب الارنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط١٠، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص١١.

(٣) الأصبهاني، إسماعيل بن محمد، الحجة في بيان المحجة، دار الراية، الرياض، د. ط، ١٤١٩هـ-١٩٩٠م، ج١، ص٢٩٦.

وهذا أول حقوقه وأهمها، فمن لم يؤمن به ﷺ فهو أول من يؤذيه، فكأنه يكذبه بما جاء به ﷺ من عند ربه، وهو من أكبر الإيذاء.

ثانياً: وجوب طاعته والاستجابة لأمره ونهيه والتسليم له ﷺ.

جعل الله –عزوجل– طاعة نبيه من طاعته، وجعل طريق محبته من خلال اتباع نبيهﷺ؛ فقال تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٠)، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾(النساء: ٨٠).

وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (الحشر: ٧).

فالناظر إلى هذه الآيات الكريمة يرى أن الله عز وجل أوجب طاعة نبيه ﷺ، وجعلها سبحانه وتعالى من طاعته، فطاعة رسوله هي طاعة لله عز وجل، وشريعته ﷺ ناسخة لما قبله، فمن أدركه أو سمع به لزمه أن يؤمن به ويتبعه، ووعد على ذلك بجزيل الثواب، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب، وأوجب امتثال أمره، واجتناب نهيه، كما قال أهل العلم: طاعة الرسول ﷺ في التزام سنته، والتسليم لما جاء به[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصي أميري فقد عصاني)[2].

---

(١) انظر: عياض، الشفا، ص٤٧٦.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل وراء الأمير، حديث ٢٧٩٧،مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة ولي الأمر حديث١٨٣٥.

فالشريعة الإسلامية لا تتقسم ؛ أي لا يصح فيها أن يؤخذ منها جزء ويترك جزء، فيجب على كل المسلمين الإيمان بالله وبرسوله ﷺ وأنه لا ينطق عن الهوى، إنما هو وحي يوحى إليه من عند ربه، ثم الإيمان بكل ما جاء به ﷺ من غير حرج وضيق والتسليم به.

وقد حكى الله -عز وجل- عن تمني الكفار وهم في جهنم أن لو آمنوا بالنبي ﷺ وأطاعوه، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ (الأحزاب: ٦٦).

فمن أطاع النبي ﷺ في أمور دينه ودنياه فاز فوزاً عظيماً ودخل الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (كل أمتي لا يدخلون الجنة إلا من أبى)، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)[1]. ومن عصى النبي ﷺ وأمره ونهيه فقد أبى دخول الجنة وألزم نفسه طريق أهل النار أعاذنا الله منها ومن طريقها.

ثالثاً: لزوم محبته ﷺ.

لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الكل المحبة لعدم طلب الدليل، فتنوع المدعون في الحضور والكلام دون الفعل، فقيل لهم: لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١)

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤).

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بنسب النبي ﷺ ، حديث٦٨٥١.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (أي إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا، أي فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله)[١].

فكفى بهذا حصناً، وتنبيهاً ودلالة، وحجة على الأشياء وعلى إلزام محبتهﷺ ، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقها له ﷺ، إذ قرَّع الله تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وواعدهم بقوله: (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله[٢].

وعن انس –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [٣].

وعن عبد الله بن هشام –رضي الله عنه– قال :كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك) . فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي ﷺ :(الآن يا عمر)[٤]، ولا يخفى أن هذه المحبة كانت حاصلة عند عمر –رضي الله عنه– ولكن النبيﷺ أراد أن يبين لأمته عظيم محبته، فعمر –رضي الله عنه– أجاب مباشرة بحب النبي ﷺ أكثر من نفسه.

فمحبته ﷺ من محبة النفس، فهو حريص على المؤمنين رؤوف بهم، جاء لإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهو السراج المنير الذي أضاء الله به ظلام الدنيا وأزاح به ظلم الأديان،

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٣٤٢.

(٢) انظر: عياض، الشفا، ٤٩٢.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ ، حديث١٤، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة النبي ﷺ، حديث٤٤.

(٤) البخاري، الجامع الصحيح، كتابه الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، حديث٦٢٥٧، ابن حنبل، حديث ١٨٩٨١، وعند مسلم وأصحاب السنن قوله: (لن يؤمن من أحدكم...) الحديث فقط دون القصة، مسلم، سبق تخريجه، عند النسائي عن انس.

فالنفس أمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي، وهو ﷺ يأمر بالإيمان والإسلام للفوز برضا الله عز وجل والنجاة من النار.

فمن أحبه كان معه بالجنة، وما ذاك إلا للإيمان به وطاعته ثم محبتهﷺ ، فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: متى الساعة يا رسول؟ قال: (ما أعددت لها)؟ قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: (أنت مع من أحببت)[1].

وقد جسَّد الصحابةُ مثال الحب واقعاً في حياتهم، فقد روى أصحاب السِيَر في غزوة أُحد (أنّ امرأة من الأنصار قُتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا: خيراً، وهو بحمد الله كما تحبين. قالت: أَرُوْنِيْه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل) [2].

وعن زيد بن اسلم قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس الناس فرأى مصباحاً في بيت، وإذا بعجوز تنفش صوفاً وتقول:

على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار

قد كنت قواماً بكاً بالأسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار؟

(تعني النبي ﷺ) فجلس عمر رضي الله عنه يبكي[3].

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، حديث٣٤٨٥، مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب المرء مع من أحب، حديث٢٦٣٩.

(٢) ابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، مكتبة المنار، القاهرة، ط١، ص١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ج٣، ص٦٤ .جلل صغيرة.

(٣) ابن المبارك، عبد الله بن المبارك، الزهد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص٣٦٣.

فهكذا كان حب الصحابة رضوان الله عليهم لنبينا ﷺ وقد ذكر الحافظ ابن حجر: "علامة حبه ﷺ أن يعرض على المرء أن لو خُيِّر بين غرض من أغراضه أو فَقْدِ رؤية النبي ﷺ أن لو كانت ممكنة فإن كان فقدهما أن لو كانت ممكنة اشد عليه من فقد شيء من أغراضه، فقد اتصف بالأحبية المذكورة، ومن لا فلا، وليس ذلك محصوراً في الوجود والفقد، بل يأتي مثله في نصرة سنته ﷺ، والذب عن شريعتهﷺ ، وقمع مخالفيها "[١].

وأقوى من ذلك وأصدق لمحبته: الاقتداء به، واستعمال سنته وإتباع أقواله وأفعاله، وإيثار ما شرعه، وتعظيمه وتوقيرهﷺ ، والتأدب بآدابه ﷺ .

وفي الجملة فإن حب النبي ﷺ هو الداعي والجالب لإتّباعه، والذب عنه وعن سنته ﷺ، وحب الله سبحانه وتعالى هو حب لنبيه ﷺ ، فالمسلم المؤمن يحب الله عز وجل ويجب ما يحبه ربه، والنبي ﷺ هو حبيب الله سبحانه وتعالى، وحبيب المؤمنين ومن يحبه ويتبعه يحشر معه ﷺ ، يوم القيامة إن شاء الله، فلكل حب دليل، ودليل محبة النبي ﷺ هي طاعة ربه سبحانه وتعالى وطاعة نبيه ﷺ ، ودوام ذكره والشوق إليه، وإيثار حبه، والخوف من مخالفته[٢].

رابعاً: وجوب تعزيره ﷺ وتوقيره ونصرته.

يُعَدُّ إجلال النبي ﷺ واحترامه ونصرته من أقوى الأدلة على حبه ﷺ، فربما يدفع المسلم حياته لنصرة النبيﷺ، وعند ذلك يثبت المؤمن الصادق من غيره ،فقد جسد الصحابة ذلك واقعا في

---

[١] انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص٥٩.

[٢] انظر: عياض، الشفاء، ص٥٠٦، النووي، المنهاج، ج٢، ص١٣-١٦، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، مكتبة الإيمان، المنصورة، د. ط، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ج٢، ص ٢٩٥،و ج٣ ،ص٥ وما بعدها، وقد انتقد ابن حجر صاحب (المفهم شرح مسلم) متابعاً القاضي عياض، اشتراطه المحبة لصحة الإيمان الفتح ج١، ص٥٩، والناظر إلى كلام القاضي لا يجده يشترط، بل في كلام القاضي بعد أن ذكر صفة محبته ﷺ غير ذلك قال: ٠ومن خالفها... فهو ناقص الإيمان، ولا يخرج عن اسمها)، ثم ذكر حديث شارب الخمر الذي أُقيم عليه الحد، ونهى النبي ﷺ بقوله: (أنه يحب الله ورسوله)، ص٥٠٠.

أكثر من صورة [1]، وإجلال النبي ﷺ ونصرته ؛هي نصرة لدين الله عز وجل، ولهذا أوجبه الله عز وجل على كل مسلم قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ (الفتح: ٨-٩).

والتعزير: النصرة؛ وذلك بقمع كل ما يسئ إلى النبي ﷺ أو يؤذيه أو يضره، أما التعزير بالمعنى المعروف عند الفقهاء وغيرهم: فهو نصرة من وجه آخر، وهي بقمع المخطئ عما يضره.

فالأول: نصرة الرسول ﷺ بالقضاء على كل ما يضره، والثاني: نصرة للمخطئ بقمعه وتأديبه للبعد عما يضره[2].

قال ابن جرير: (عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: يعزِّروه: يعني الإجلال، ويوقروه: يعني التعظيم ،وقال قتادة: يعزروه: ينصروه، ويوقروه: يعظموه ...) ،ثم قال ابن جرير: (ومعنى التعزير في هذا الموضوع: التقوية بالنصرة والمعونة فأما التوقير: فهو التعظيم والإجلال والتفخيم)[3].

والحقيقة أنّ كل ما من شأنه نصرة الرسول ﷺ فهو داخل في التعزير، وكل ما من شأنه تعظيم الرسول ﷺ فهو داخل في التوقير والله أعلم.

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه أحاديث عدة في باب توقيره وترك إكثار السؤال عليه، قال النووي في المقصود بها: (مقصود أحاديث الباب أنه نهاهم عن إكثار السؤال، والابتداء بالسؤال عما لا يقع وكون ذلك لمعان، وذكر منها: أنهم ربما أحفوه بالمسألة والحفوة: المشقة

---

(١) سوف يمر معنا (دفاع الصحابة عن النبيﷺ في الفصل الثالث).

(٢) الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الراغب، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص٥٦٤، مادة عزر.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج٢٦، ص٧٤-٧٥.

والأذى، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (الأحزاب: ٤٥٧)[١].

فعلى كل مسلم احترام النبي ﷺ وتعظيمه ونصرة سنته ﷺ ، فالآية خاطبت عموم المسلمين في كل زمان ومكان، إنسهم وجِنِّهم، وقد خاطب الله عز وجل الناس في آيات كثيرة بوجوب التأدب مع النبي ﷺ ، من ناحية الخطاب والمناداة والتلطف معه، وعدم رفع الصوت عند مناداته، وعدم أذيته، فمن فعل ذلك فقد أذى النبي ﷺ وأساء إليه.

وفي خاتمة المطلب نذكر أنّه قد أطال بعض العلماء في ذكر حقوقه ﷺ وما يتصل بها، وصنفت فيها المصنفات قديماً وحديثاً، ذكرنا هنا أهم الحقوق له ﷺ على أمته[٢]، وأتباعه –جمعنا الله به على حوضه.

---

(١) النووي، المنهاج، كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم، ج١٥، ص١١٠.

(٢) للاستزادة انظر: عياض، الشفا، ص٤٧١–٦٠٣، النووي، المنهاج، ص١٥، ص١١٠، ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص٥٩ وما بعدها، الفوزان، صالح بن فوزان وآخرون، حقوق النبي بين الإجلال والإخلال، مجلة البيان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، ص٥٩–٧٣، غشيان، ثامر بن ناصر، رسالة خاتم النبيين وطرق اثباتها، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، ص٤١٣–٤٦٨، www.saaid.net www.nosra.islammem

الفصل الأول: منهج الإساءة إلى النبي ﷺ ، وموقفه منها

المبحث الأول: أصناف المسيئين إلى النبي ﷺ وموقف النبي منهم.

بعث الله عز وجل نبيه ﷺ إلى الناس أجمعين، ختم به الأنبياء والمرسلين، بشيراً ونذيراً للعالمين، سراجاً منيراً يدعو الإنس والجن لعبادة رب العباد، ودار في زمانه صراعٌ بين الحق والباطل، من حيث: بعثته ﷺ وشخصه، والأمور التي دعا الناس إليها، فصدَّق به جَمْعٌ وكذَّب به آخرون.

انقسم جمع المخالفين إلى قسمين:

أ. قسمٌ في بداية الدعوة، وهم غير المسلمين، امتد خلفهم يتبع سلفهم إلى يوم القيامة، وهم: (أهل الكتاب والمشركون).

ب. وقسمٌ من داخل الدولة الإسلامية، وهم (المنافقون)، وهؤلاء ظهروا بعد قيام دولة الإسلام في المدينة المنورة.

فقام كل قسم بإيذاء النبي ﷺ بشتى أنواع الأذى، وإن كانوا يلتقون في بعض ممارساتهم في الدوافع والأهداف مع اختلاف مبادئهم ودياناتهم واعتقاداتهم.

ولقد سجل القرآن الكريم حال النبي ﷺ وما يلاقيه من هذين القسمين في زمانه ﷺ ، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (الحجر: ٩٧)، وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ (المزمل: ١٠-١١)، وكان القرآن الكريم يثبِّت النبي ﷺ على ما يلاقيه من الأذى والاستهزاء والتكذيب بشتى ألوانه، ويقصُّ عليه حال الأنبياء من قبله مع أقوامهم قال تعالى:﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (الزخرف: ٥-٧)، وقال

تعـــالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأنعام: ٣٤)، وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ (الذاريات: ٥٢-٥٤).

فالقرآن الكريم حين يشير إلى هذه الحقائق ويثبِّت النبي ﷺ ويبيِّن حالَ النّاس مع هذا النّبي ومن قبله، ويبيّن مدى الأذى الذي يلاقيه من يحمل قيادة الأمم ؛ في الوقت ذاته يبين أن القيادة الروحية وقيادة الأمم ليست بالسهلة ولا اليسيرة، حتى ولو كان القائد من عند الله -عزَّ وجلَّ-، ومؤيداً بروح الله[1].

إنَّ نشر الإسلام وانتشار نوره لا يأتي إلا بتوفيق الله عز وجل، ثم بالصبر على المكاره والأذى، وبالجَلَد والمعاناة، فالله عز وجل هو الذي يقول لنبيه: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (الأحقاف: ٣٥) وهو الذي يقول: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأنعام: ٣٤)، وقال: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (يوسف: ١١٠)، وهو عز وجل الذي قطع على نفسه عهداً حيث قال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (غافر: ٥١).

ولا ريب في أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- القويّ الحكيم قادرٌ على أن ينصر رسله منذ اللحظات الأولى التي اختارهم فيها أنبياء، وبعثهم مرسلين إلى الناس، ولكن حكمته هي التي اقتضت تأخير هذا النصر، ليميز الخبيث من الطيب، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

---

[1] انظر: قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص٩٥٩.

المطلب الأول: إساءة غير المسلمين للنبي ﷺ : (المشركون، أهل الكتاب، المستشرقون) وموقفهﷺ منهم.

دعا النبيﷺ الناسَ إلى عبادة الله سبحانه وتعالى: مِن إيمانٍ بالله وحده، والإيمان بالبعث والحساب، وممارسة الحياة على أساس القيم الروحية والخلقية والاجتماعية التي تحقق السعادة والحياة الأفضل، وهذا أحدث ما كان ينتظر (من سنن الله) إلى انقسام الناس إلى فريقين :

فريق يؤمن بالنبي ﷺ وبربه وبما جاء به ويقوم بنصرته ﷺ، وفريق يعارض النبي ﷺ وينكر ما جاء به ويعادله ويقوم بإيذائه.

ولقد كان المنكرون للنبي ﷺ كثرة كاثرة في أول الأمر، وبخاصة في العهد المكي، لكنهم لم يلبثوا أن أخذوا في التناقص حتى وفاة النبي ﷺ، وهذا هو أمر الله سبحانه وتعالى وسنته قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ (غافر: ٥١).

ولقد أخبر الله –جلّ وعزّ– عن أشد المعادين للمؤمنين وهم اليهود والمشركون، كما أخبر عمَّن هم اقل عداوة من أولئك وهم النصارى. فقال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾(المائدة: ٨٢ - ٨٤).

ولقد استخدم الفريقان وسائل عدة لوقوف كل واحد منها أمام الآخر وانتصاره، ويمكننا أن نقسم هذه الوسائل إلى ثلاثة أقسام:

١. **القسم الأول:** يدور حول الوسائل التي استثمرها المشركون في رفض دعوة النبي ﷺ والإساءة إليه بشتى الصور، والعمل على القضاء على هذا الدين وعلى هذا النبي ﷺ، وهذه

الوسائل قد استثمرت في العهد المكي، ونقلت لنا السور المكية والأحاديث وكتب السِيَر صوراً كثيرة- منها ما مر معنا سابقاً- وعن كيفية استثمارها.

٢. **القسم الثاني:** وهذا القسم يدور حول الوسائل التي استثمرها المشركون وأهل الكتاب على حد سواء، استثمروها في العهد المدني محاولين بها المحاولات الأولى نفسها، وزادوا عليها التشكيك في أمر محمد ﷺ - كما مر معنا-، وهو تشكيك قام به أهل الكتاب باعتبارهم أهل الكتاب الأُوَل الذين يعرفون من أمر الرسل والأنبياء أكثر مما يعرف العرب الأميون الذين لا كتاب لهم.

٣. **القسم الثالث:** قسم يدور حول الوسائل التي اعتمد عليها النبي ﷺ بتوجيه من الله عزوجل، ثم من عظمة شخصيته ﷺ وجمال أخلاقه في التعامل مع هذه الإساءات.

وقبل الحديث عن الوسائل نذكر أهمية القسم الثالث الذي ذكرناه آنفاً، فأهميته تنبع من أمرين :

الأول: أن هذه الوسائل هي التي حققت أهدافها، فنحن نعلم جميعاً أن محمداً ﷺ هو الذي انتصر، وأن الإسلام قد ساد مكة والمدينة، ثم الجزيرة العربية ثم بلاداً أخرى عديدة، خارج أرض الجزيرة كما قال النبي ﷺ : (ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر) [١] ، ولقد هزم النبي ﷺ المشركين وأهل الكتاب ، ومن المهم أن نقف عند وسائل النبي ﷺ ومواقفه في التعامل مع هذه الوسائل المضادة للاستفادة منها في زماننا لصد الهجمة ضده ﷺ، فها هو

---

[١] أحمد، المسند، حديث ١٦٩٩٨ . قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح، (مجمع الزوائد)،حديث ٩٨٠٧، وقال الشيخ شعيب في تعليقه على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه الحاكم، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب الفتن والملاحم، حديث ٨٣٢٦، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الإسلام قد انتشر برحمة الله وتوفيقه ،ثم بحِنْكَة نبيهﷺ وجمال أخلاقه، وحمل صحابته ومن عدهم رايته.

الثاني: إن هذه الوسائل قد حققت غاياتها لأنها أُديرت في هذا الصراع بتوجيه من الله –عزوجل– ومن القرآن الكريم، وعظيم أخلاق النبي ﷺ، والمسلمون إنما تتبع عقيدتهم وحبهم للنبي ﷺ من هذا القرآن والوحي، وإتباعاً لتوجيه القرآن في محبته وأتباعهﷺ، والناظر إلى هذه الوسائل وكيفية التعامل معها؛ ثم ما تبعها من فتح، يرى مدى فاعلية كل وسيلة، فالعدو يتنوع في وسائله وحربه من زمان إلى آخر، ومن قدرة إلى أخرى بحسب العدو وإمكاناته، فمن هنا نرى أهمية هذا القسم.

وفي هذا المقام سوف نقف حول الوسائل، والأساليب المستخدمة ، ضد النبي ﷺ ثم التعليق عليها بموقف النبيﷺ وكيفية تعامله معها.

الفرع الأول: إساءة المشركين للنبي ﷺ.

بدأ الصراع ضد النبي ﷺ لفظياً أول الأمر، ثم أخذ يزداد حدةً وانفعالاً إلى أن كانت الغزوات والحروب آخر الأمر.

فقد بدأ الصراع والإساءة : كيف يكون محمد ﷺ رسول الله حقاً، وأن الله قد اختاره وهو اليتيم الراعي الأجير، ليكون رسوله إلى الناس، ولقد كذبوه في أول الأمر وآذوه، ولكن إصراره في موقفه هذا دفعهم إلى أن يأتوا بالتكذيب في صورة ساخرة، ليتخذوا من الاستهزاء به والسخرية منه أداة للهوان والإذلال فينصرف الناس عنه[1].

---

[1] انظر: السويكيت، محنة المسلمين في العهد المكي، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص١٩٧.

فلقد وجهت لنبينا ﷺ إساءات عديدة، وسوف نرى كيف أوذي النبي ﷺ في سبيل الله –عز وجل– لإيصال كلمة الحق فقد قال: (لقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد، وأخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون، من بين يوم وليلة، ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيءٌ يواريه إبط بلال) [١]، فهذه تسلية لدعاة الحق الذين يؤذوْن في سبيل الله عز وجل بأن يصبروا ويتحملوا، ونعلم أنّ الابتلاء سنَّة من الله تبارك وتعالى، فكان النبيﷺ القدوة في كل شيء حتى في مواطن الابتلاء، وحق له أن يكون من أولي العزم من الرسل.

وقد سلك المشركون منذ ظهور الإسلام سُبلاً شتى لإيذاء النبي ﷺ والصد عن الإسلام، ومحاولة إيقاف هذه الدعوة ومحاولة وَأْدِها في مهدها بعد ظهورها في مكة، وذلك بإيذاء صاحب الرسالة ﷺ، وكان من صور إيذائهم: منع الناس من الإيمان به، والتحذير منه تارة، والاستهزاء به تارة أخرى، وسبِّه ﷺ، والكلام في عقله، ومنه ما كان يتمثل في الدعايات الكلامية الموجهة إلى شخصية الرسول ﷺ والى التهجم على الوحي بقسميه (القرآن والسنة).

فلقد وجه كفار قريش اتهامات باطلة إلى النبي ﷺ حيث وصفوه بالجنون والسحر، وإنشاء الشعر، ومحاولة تشويه صورته ودعوته بالحرب النفسية والإعلامية،وفي هذا المقام نتكلم حول أساليب المشركين في الإساءة إلى النبيﷺ.

أولاً: الحرب النفسية.

ونقصد بالحرب النفسية: (هي الوسائل والأساليب المستخدمة لإضعاف معنويات الخصم وذلك ضمن خطط مدروسة مسبقاً)[٢].

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] كحيل، عبد الوهاب، الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول في مكة،عالم الكتب، بيروت،ط١٩٨٦،١م، ص١٥.

فمن صور الإساءة من خلال الحرب النفسية ما فعله الوليد بن مغيرة، حيث اجتمع مع نَفَرٍ من قومه، وكان ذا سنٍّ فيهم، وقد حضر موسم الحج، فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل لنا رأياً نقول به، قال: بل أنتم فقولوا اسمع، فقالوا: نقول كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، فقالوا: نقول مجنون، فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالطه وسوسته، فقالوا: نقول شاعر، فقال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: نقول ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس، قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق[1]، وإن فرعه لجناة[2]، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف أنه باطل، وإن اقرب القول لأن تقولوا: ساحر، فقولوا: ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته[3].

فيتضح من هذه القصة أن الحرب النفسية والإعلامية المضادة للنبي ﷺ لم تكن توجه اعتباطاً، وإنما كانت تُعدُّ بإحكامٍ ودقة بين زعماء المشركين، وحسب قواعد معينة هي أساس القواعد المعمول بها في تخطيط الحرب النفسية في العصر الحديث، كاختيار الوقت المناسب، فهم يختارون وقت تجمع الناس في موسم الحج، و يجتمعون للاتفاق وعدم التناقض، وغير ذلك من هذه الأسس حتى تكون حملتُهم منظمةً لها تأثير على وفود الحجيج، فتؤتي ثمارها المرجوة منها،

---

(١) العذق: النخلة،(ابن الأثير،النهاية، ج٢، ص١٧٥، مادة عذق).

(٢) الجناة: ما يُجنى من الثمر،(ابن الأثير،النهاية، ج١، ص٣٠٣، مادة جني).

(٣) انظر: ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٥٠-١٥١، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢٧٠-ص٢٧١،ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣،ص٦٣-٦٤، والحديث على شهرته بين أهل السيرة إلا أن إسناده معضل.

ومع اختيارهم للزمان المناسب، فقد اختاروا أيضاً مكاناً مناسباً حتى تصل جميع الوفود القادمة إلى مكة[1].

ويتضح من هذه القصة عظمة النبي ﷺ وصدقه، وقوة تأثير القرآن وإعجازه في التأثير على الآخرين، وأن الإساءة إلى النبيﷺ كانت موجهة إلى تكذيبه بطريقة غير مباشرة ؛ ألا وهي نسبته إلى السحر فهم وإن كانوا لم يكذبوه مباشرة لعدم قدرتهم على ذلك لجؤوا إلى وصفه بأنه مسحور وهذا نوع من الإساءة، فالوليد بن المغيرة كبير قريش، ومن أكبر سادتهم، ومع ما يحصل عادةً للكبراء من التكبر والتعاظم فإنه قد تأثر بالقرآن ورقَّ له، واعترف بعظمته، ووصف ذلك بالوصف البليغ[2].

ثانياً: المفاوضات مع عمه أبي طالب ومعهﷺ.

حاولت قريش في بداية الأمر استمالة النبيﷺ من خلال المفاوضات، واستمالة أبي طالب ومحاولة منع عمه أبي طالب من نصرته، وذلك حتى يكفَّهُ عن الدعوة، أو يجرده من جواره- أي حمايته-، فقد ذهبت مجموعة من أشرافهم إلى عمه أبي طالب، وقالوا له: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفَّه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردهم رداًّ جميلاً، فانصرفوا عنه[3].

ومضى رسول الله ﷺ يظهر دين الله سبحانه وتعالى، ويدعو إليه، فغضبت منه قريش، وحض بعضهم بعضاً، ومشوا إلى عمه مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة

---

(1) انظر: كحيل، الحرب النفسية، ص١٠٣.

(2) انظر: الحميدي، عبد العزيز، التاريخ الإسلامي- مواقف وعبر، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ج١، ص١٢٣.

(3) انظر:ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ١٠٠، البيهقي، دلائل النبوة، ج٢، ص٢٠٧، الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٣، ص٣٢٦، وقد ذكر ابن إسحاق القصة دون إسناد.

فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وأقسموا بأنهم لن يصبروا على أفعاله حتى يكفه عنهم أو ينازلوه وإياه في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين، عند هذا عظُم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم ترض نفسه بتسليم رسول الله ﷺ لطالبيه ولا خذلانه، ولذا أبلغ الرسول بالذي قالوه، وطلب منه أن لا يحمله من الأمر مالا يطيق، وبعد أن ظن الرسول أن عمه قد ضعف عن نصرته قال له: "يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته"[1] ثم بكى رسول الله ﷺ وقام من عند عمه فلما ولَّى ناداه عمه فقال: أقبل يا ابن أخي فلما أقبل قال له : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيءٍ أبداً، وظل أبو طالب طِوال حياته ينهى الناس عن إيذاء الرسولﷺ، ويحميه ويمتنع عن الدخول في الإسلام[2].

وفي رواية أن النبيﷺ حَلَّقَ ببَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: (هَلْ تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ، قَالَ : مَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تَسْتَشْعِلُوا لِي مِنْهَا شُعْلَةً)[3].

ثالثاً: الاتهامات الباطلة والتكذيب.

كان أسلوب التكذيب من أساليب المشركين المستخدمة دائماً في الحرب ضدهﷺ، وكان التكذيب موجّهاً من جهتين:

---

(1) انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ١٠١، السهيلي، الروض الأنف ،ج٢، ص٦، ابن كثير، السيرة النبوية ،ج١، ص٤٧٤، والحديث ضعيف لجهالة شيخ يعقوب بن عتبة الذي روى عنه ابن إسحاق.

(2) قلعة جي، محمد رواس، قراءة للسيرة النبوية، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٤٤-٤٨، بتصرف.

(3) البزار، المسند، حديث ٢١٧٠ ، أبو يعلى، أحمد بن علي، المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون، دمشق، ط١، ١٩٨٤م، حديث٦٨٠٤، وقال المحقق: إسناده قوي، الحاكم، المستدرك، حديث٦٤٦٧ ،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، حديث ٩٨٠٩، والحديث حسن بطرقه.

الجهة الأولى: الأقارب كأبي لهب وغيره من أقاربه من بني هاشم، ويعد هذا التكذيب من أشد أنواع الإرهاق وضرب المعنويات في الحرب النفسية، خاصة من أقرب الناس للداعي، فعندما يكون الوالد أو العم أو الجد أو غيرهم من أقرب الناس يكذبون الشخص يكون وقعه على النفس أقوى من تكذيب البعيد.

الجهة الثانية: الأباعد؛ من قومه من قريش وأهل مكة .

لقد حاول المشركون تكذيب النبي ﷺ لمجرد العناد والكفر، فهم يعلمون أنه الصادق الأمين، ولقد كانوا يحاولون الإشاعة بأنه كذاب، كتكذيب أبي لهب للنبي ﷺ وإساءته له ﷺ، منه ما رواه ربيعة الدؤلي–وقيل الديلي– (وكان جاهلياً فأسلم) قال: (رأيت رسول الله ﷺ بَصَر عيني بسوق ذي المجاز يقول: يا أيها الناس: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ويدخل فِجَاجَها والناسُ متقصِّفون[1] عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً، وهو لا يسكت يقول: يا أيها الناس، قولوا لا اله إلا الله تفلحوا، إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيئ[2] الوجه ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة، قلت: من هذا الذي يكذبه، قالوا: عمه أبو لهب) وفي رواية (إني لمع أبي رجل شاب انظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول وضيئ ذو جمة[3] ، ورسول الله ﷺ يقف على القبيلة ويقول: (يا بني فلان، إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به).

---

(١) متقصِّفون: مزدحمون عليه، (ابن الأثير، النهاية،ج٢، ص٤٦٣، مادة قصف).

(٢) وضيء: حسن الوجه، (ابن الأثير، النهاية، ج٢، ص٨٥٦، مادة وضأ).

(٣) أجمة: شعر الرأس الذي سقط بين المنكبين، (ابن الأثير، النهاية، ص٢٩٣، مادة جَمَمَ).

فإذا فرغ رسول الله ﷺ قال الآخر من خلفه: يا بني فلان: إن هذا يريد منكم أن تخلوا اللات والعزى، وحلفائكم بني مالك بن أُقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه، فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمه أبو لهب)[1].

ونقف هنا مع موقف النبي ﷺ في مواجهة هذه الحرب النفسية والإعلامية:

فعندما نتصور هذا الموقف المؤثر، وكيف أن النبيﷺ كان يدعو الناس، ومِن خلفه عمه يكذبه، ومع ذلك فالنبي ﷺ يتبع طريقة في التعامل مع هذا المسيء ألا وهي عدم الاهتمام بكلامه، وعدم السكوت عن قول الحق، وإن اتبعه سفيه مثل هذا، وهذا تعليم لنا بأن لا نسكت ونحن ندعو إلى الله عز وجل، لأن الدعوة أهم من أن يُنال أحدنا أو شتم في سبيل إيصال كلامه الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ.

***وفي موقف آخر:**

روى ابن عباس –رضي الله عنهما– قال:" قدم ضمادُ الأزدي مكة، فرأى رسول الله ﷺ وغلمان يتبعونه فقال: يا محمد إني أعالج من الجنون فقال رسول الله ﷺ: (إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهده الله فل مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)، قال: فقال رد على هذه الكلمات، قال: ثم قال لقد سمعت الشعر والعيافة والكهانة فما سمعت مثل هذه الكلمات، لقد بلغت قاموس البحر[2] وإني اشهد أن لا اله إلا الله واشهد أن محمداً عبده ورسوله فأسلم، فقال له رسول الله ﷺ حين أسم: (عليك وعلى قومك) قال: فقال: نعم علي وعلى قومي، قال فمرت سرية من أصحاب النبي ﷺ بعد

---

(١) ابن حنبل، المسند، حديث ١٦٠٦٨، ٦١٧، ج٢، ص٢١٦، الطبراني، المعجم الكبير، حديث ٤٥٨٩، والحديث حسن بطرقه.

(٢) قاموس البحر: وسطه ومعظمه (ابن الاثير، النهاية، ج٤،ص١٧٢).

ذلك بقومه فأصاب بعضهم منهم شيئاً إداوة[1] أو غيرها فقالوا هذه من قوم ضماد فقال أميرهم ردوها، قال: فردوها"[2].

***موقفه ﷺ وتوجيهه :**

في هذه القصة تعامل عجيب من نبينا ﷺ يتهمه الناس بالجنون، ويريد هذا الرجل أن يداويه، فلا يلتفت النبي ﷺ إلى قوله، ولا يدافع عن التهمة، بل يتكلم بكلام الدعوة إلى الله عزوجل، فهو يريد هداية هذا الرجل، وقد تأثر هذا الرجل بالفعل لأنه أراد الهداية، فهداه الله عزوجل، وهذا تعليم لنا بأن نضع هدف الهداية نَصْب أعيننا، ولا نلتفت إلى أمورٍ أخرى، لأن هداية رجل على يد داعية خير له من حُمْر النِّعم.

وفي الحديث وفاء للعهد، فقد علم صاحب السرية بالتي بعثها النبي ﷺ أن هؤلاء قوم ضماد، فأمر برد الإداوة لهم، لأن بينهم وبين نبينا عهد، فلا يجوز أن ننقضه، فالوفاء بالعهد من صفات المسلمين.

رابعاً: الحرب الإعلامية (من خلال الهجاء) والاستهزاء.

قال الرازي: (الهجاء ضد المدح) [3]، ورد في كتب السِيَر أن قريشاً وغيرهم كانوا يؤذون النبيﷺ بالهجاء، وهم بذلك كانوا يحاربون الله ورسوله حرباً إعلامية قاسية بأسلوب من أساليب العرب فيها إيذاء للإسلام والمسلمين، لذلك فقد أمر النبي ﷺ بقتل من أصرَّ على ذلك إلا من تاب منهم وآمن، ومن الذين تابوا واسلموا: انس بن زنيم الكناني، وأبو سفيان بن الحارث، وقينة من القينتين اللتين كانتا تغنيان بهجاء النبي ﷺ عند ابن خطل، أما بن خطل وأبو عفك اليهودي،

---

(1) الإداوة: تقرأ بالكسر إناء صغير من جلد يتخذ للماء (لسان العرب ٢٤/١٤).

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة حديث ٨٦٨، ابن حبل، المسند ،حديث ٢٧٤٩.

(3) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان للنشر، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص٢٨٨.

والعصماء بنت مروان، وكعب بن الأشرف وغيرهم فقد أمر النبي ﷺ بقتلهم بسبب حربهم الإعلامية والهجاء، وكرههم للإسلام والمسلمين، إضافة إلى مساعدتهم في الحرب ضد الإسلام والمسلمين[1].

عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– أن رسول اللهﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المِغْفَر فلما نزعه جاء رجل فقال: يا رسول الله إن ابن خطل معلق بأستار الكعبة.قال: "اقتلوه"[2].

ذكر ابن سعد سرية سالم بن عمير إلى أبي عفك اليهودي في شوال على رأس عشرين شهراً من مُهاجر رسول الله ﷺ وكان أبو عفك من بني عمرو بن عوف شيخاً كبيراً قد بلغ عشرين ومائة سنة وكان يهودياً وكان يحرض على رسول الله ﷺ ويقول الشعر فقال سالم بن عمير وهو أحد البكائين وقد شهد بدراً عليَّ نذرٌ أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه فأمهل يطلب له غرة حتى كانت ليلة صائفة فنام أبو عفك بالفناء وعلم به سالم بن عمير فأقبل فوضع السيف على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش السيف في الفراش وصاح عدو الله فثاب إليه ناس ممن هم على قوله فأدخلوه منزله وقبروه[3].

وذكر أيضاً سرية عمير بن عدي بن خرشة الخطمي إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد لخمس ليال بقين من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجر رسول الله وكانت عصماء عند يزيد بن زيد بن حصن الخطمي وكانت تعيب الإسلام وتؤذي النبي وتحرض عليه وتقول الشعر فجاءها عمير بن عدي في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها منهم من ترضعه في صدرها فجسها بيده وكان ضرير البصر ونحى الصبي عنها ووضع

---

(١) انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٣١٨، وج٥، ص٦٥– ص٧٠.

(٢) البخاري ،الجامع الصحيح، أبواب الإحصار وجزاء الصيد، باب دخول الحرم ومكة بغير إحرام حديث ١٧٤٩، وحديث٢٨٧٩، و ٤٠٣٥، مسلم ،صحيح مسلم، كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام حديث ١٣٥٧.

(٣) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت ج٢، ص٢٨، ابن سيد الناس،محمد بن عبد الله بن يحي، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار الجيل، بيروت،ط٢، ١٩٧٤م، ج١، ص٣٨٣.

سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ثم صلى الصبح مع النبي ﷺ بالمدينة فقال له رسول الله أقتلت ابنة مروان قال نعم فهل علي في ذلك من شيء فقال لا ينتطح فيها عنزان فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله ﷺ وسماه رسول الله "عميرا البصير"[1].

وعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: (من لكعب بن الأشرف فإنه آذى الله ورسوله ﷺ فقال محمد بن مسلمة أنا فأتاه فقال أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين فقال ارهنوني نساءكم كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهن أبناءنا فيسب احدهم فيقال رهن بوَسَقٍ أو وسقين هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللامة– قال سفيان يعني السلاح– فوعده أن يأتيه فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه[2].

***موقفه ﷺ في مسألة الهجاء:**

اهتم نبيناً ﷺ بهذه المسألة، وكان يعلم أن الهجاء ضد قريش أشد عليهم من رشق النبال، فقد أخرج مسلم، من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (اهجوا قريشاً فإنه اشد عليها من رشق بالنبل، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجهم فهجاهم، فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان وقال: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدْلَع لسانه فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينَّهم بلساني فري الأديم، فقال رسول الله ﷺ: (لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتى يلخص لك نسبي) فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسِلنَّك منهم كما تُسَل الشعرة من العجين، قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول حسان: (إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله)، وقالت: سمعت رسول الله يقول: (هجاهم حسان فشفى واشتفى).

---

(١) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧.

(٢) سبق تخريجه.

قال حسان بن ثابت –رضي الله عنه–:

هجـــوت محمـــداً فأجبـــت عنـــه وعنـــــد الله فـــــي ذاك الجـــــزاء
هجـــوت محمـــداً بـــراً تقيـــاً رســـــول الله شـــــيمته الوفـــــاء
فـــإن أبـــي ووالـــده وعرضـــي لعـــرض محمـــدٍ مـــنكم وقـــاء
تكلـــت بنيتـــي إن لـــم تروهـــا تثيـــر النقـــع مـــن كتفـــي كـــداء
يبـــارين الأعنـــة مصـــعدات علـــى أكتافهـــا الأســـل الظمـــاء
تظـــل جيادنـــا متمطـــراتٍ تلطمهـــن بـــالخمر النســـاء
فـــإن اعتمرنـــا وكـــان الفـــتح وانكشـــــــف الغطـــــــاء
وإلا فاصـــبروا لضـــرب يـــوم يعـــز الله فيـــه مـــن يشـــاء
وقـــال الله قـــد أرســـلت عبـــداً يقـــول الحـــق لـــيس بـــه جفـــاء
وقـــال الله قـــد يســـرت جنـــداً هـــم الأنصـــار عرضـــتها اللقـــاء
لنـــا فـــي كـــل يـــوم مـــن معـــد ســـباب أو قتـــال أو هجـــاء
فمـــن يهجـــو رســـول الله مـــنكم ويمدحـــه وينصـــره ســـواء
وجبريـــل رســـول الله فينـــا وروح القـــدس لـــيس لـــه كفـــاء

انتهى كلام مسلم[1].

ففي الحديث أجاز النبي ﷺ الهجاء خاصة الهجاء للانتصار من الكفار، والتحريض على قتالهم، أو نحو ذلك، فالهجاء إذا كان من باب القتال باللسان يكون كالقتال باليد.

وفي الحديث استحباب الدعاء لمن قال شعراً من هذا النوع، فعلينا جميعاً أن ندافع عن الإسلام والمسلمين بكل وسيلة متاحة لنا.

---

[1] مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه حديث ٢٤٩٠.

***أما الإستهزاء والسخرية:**

أخرج الطبراني من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ (الحجر: ٩٥) قال: المستهزئون الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب أبو زمعة من بني أسد بن عبد العزى، والحارث بن عيطل السهمي، والعاصي بن وائل السهمي، فأتاه جبريل عليه السلام فشكاهم إليه رسول الله ﷺ، فأراه أبا عمرو الوليد بن المغيرة، فأومأ جبريل إلى أبجله[١]، فقال: ما صنعت شيئاً فقال: كفيتكه، فأراه الحارث بن عيطل السهمي، فأومأ إلى بطنه، فقال: ما صنعت شيئاً فقال: كفيتكه، فأراه العاص بن وائل السهمي، فأومأ إلى أخمصه فقال: ما صنعت شيئاً فقال كفيتكه، فأما الوليد بن المغيرة فمر رجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فأصاب أبجله فقطعها، وأما الأسود بن المطلب فعمي فمنهم من يقول عمي كذا، ومنهم من يقول نزل تحت شجرة فجعل يقول يا بني لا تدفعوا عني قد هلكت اطعن بشوك في عيني فجعلوا يقولون ما نرى شيئاً، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه، أما الأسود بن عبد يغوث فخرج من رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها، وأما العاص فبينما هو كذلك يوماً حتى دخل في رجله شبرقة[٢] حتى امتلأت منها فمات[٣].

---

(١) الأبجل: عرق في باطن الذراع، وهو من الفرس والبعير بمنزلة الأكحل من الإنسان، وقيل هو عرق غليظ في الرجل فيما بين العصب والعظم (ابن الاثير، النهاية،ج١،ص١٠٤، مادة بجل).

(٢) الشبرق: نبت حجازي يؤكل وله شوك وإذا يبس سمى الضريع (ابن الاثير،النهاية ،ج١،ص٨٤٠،مادة شبرق)

(٣) الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ،حديث ٤٩٨٦، البيهقي، أحمد بن حسين بن علي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م، حديث ١٧٥٠٩، وقال الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن عبد الحليم النيسابوري ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات"، مجمع الزوائد، حديث١١١١٣، قلت: هناك متابع ثقة ثبت وهو الحسين بن منصور، ابن حجر، التقريب،ص١٥٢، والحديث حسن بطرقه.

وقد ارشد الله سبحانه وتعالى النبي ﷺ لطريقة في التعامل مع المستهزئين بعد قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ (الحجر:٩٥) حيث قال له: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ (الحجر :٩٧-٩٩).

قال الطبري: (يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم إياك واستهزائهم بك، وبما جئتهم به، وأن ذلك يحرجك يقول ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله والثناء عليه والصلاة، يكفيك الله من ذلك ما أهمك، وهذا نحو الخبر الذي روي عن رسول اللهﷺ (أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)). [١].

وقد أرشده الله سبحانه وتعالى لطريقة أخرى في التعامل مع هؤلاء المستهزئين؛ قال القرطبي: (قال الله سبحانه وتعالى مؤنساً لنبيه ﷺ ومعزياً: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الأنعام :١٠-١١) ،أي قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين المستسخرين: سافروا في الأرض فانظروا واستخبروا، لتعرفوا ما حل بالكفرة قبلكم من العقاب وأليم العذاب، وهذا السفر مندوب إليه إذ كان على سبيل الاعتبار بآثار من خلا من الأمم وأهل الديار)[٢].

وهذه الأساليب علينا نحن الدعاة أن نعمل بها ففيها الخير الكثير، فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بالذين استهزؤوا بنبينا ﷺ في حياته، والله عز وجل كفيل أيضاً بمن يستهزئ به بعد مماته، وعلينا نحن أيضاً أن نبقى على طريق الحق لعل الله أن يتكفل بأعدائنا.

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج١٤، ص٧٣.

[٢] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، ص٣٩٤.

إذن صحيح أن النفس البشرية والصدر يضيق مما يلاقيه الداعية من استهزاء وكلام فيه سخرية به، إلا أنه على الدعاة الاستمرار وعدم اليأس، والتوجه إلى الله بالشكر والثناء والصلاة فالله سبحانه يكفيهم همهم.

خامساً: الحصار الاقتصادي والاجتماعي.

ازداد إيذاء المشركين من قريش، أمام صبر الرسول ﷺ والمسلمين على الأذى وإصرارهم على الدعوة إلى الله، وإزاء انتشار الإسلام في القبائل، وبلوغ الأذى قمته في الحصار المادي والمعنوي، الذي ضربته قريش ظلماً وعدواناً على النبي ﷺ وأصحابه، ومن عطف عليهم من قرابتهم، قال الزهري: "ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا، حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، واجتمعت قريش في مكرها، أن يقتلوا رسول ﷺ علانية، فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، ويمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيمانًا ويقينًا، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله ﷺ، فأجمعوا أمرهم ألا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول ﷺ للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودًا ومواثيق، لا يتقبلوا من بني هاشم أبدًا صلحًا، ولا يأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل"[1].

سادساً: محاولة فصله عن المجتمع بالنميمة والإفساد بينهﷺ وبين الناس وسبِّه.

فقد كانت أم جميل زوجة أبي لهب تسعى بالإفساد بينه وبين الناس بالنميمة، وتضع الشوك في طريقه، والقَذَر على باب بيته، فلا عجب أن ينزل فيهم قول الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ

---

[1] انظر: البيهقي، دلائل النبوة ج٢، ٨٠-٨٥، ابن كثير، السيرة النبوية ج٢، ٤٣، السهيلي، الروض الأنف ج٢، ص١٠١.

﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾ (المسد: ١-٥)، فحين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فِهْر من حجارة، فلما وقفت عليهما قالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربته بهذا الفِهْر فاه، ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: (لقد أخذ الله بصرها عني)، وكانت تنشد:

مُذمَّمٌ أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا

وكان رسول الله ﷺ يفرح لأن المشركين يسبون مُذمَّماً، يقول: (إلا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مُذمَّماً، ويلعنون مُذمَّمَاً، وأنا محمد)[١].

فهذا غيض من فيض مما لاقاه رسول الله ﷺ من أذية المشركين، وقد ختم المشركون أذاهم لرسول الله ﷺ بمحاولة قتله في أواخر المرحلة المكية، وكان رسول الله ﷺ يذكر ما لاقاه من أذى قريش قبل أن ينال الأذى أحداً من أتباعه، يقول: (لقد أُخِفْتُ في الله عز وجل وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال)[٢].

سابعاً: الإيذاء الجسدي ومحاولة القتل.

كان أذى قريش للنبيﷺ في بداية الأمر لا يعدو عن كونه أذى معنوياً نفسياً لم يتجسَّد بالإيذاء الجسدي، فقد كان عمه أبو طالب يوفر له الحماية خاصة بعد استلامه زمام زعامة بني هاشم بعد وفاة عبد المطلب، فقريش كانت تؤذي النبيﷺ بالكلام والأذى المعنوي، أما بعد وفاة أبي طالب أصبح الأذى الجسدي هو الغالب، فقد انتهزت قريش الفرصة فألحقت بالنبيﷺ صنوف

---

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ، حديث ٣٣٤٠.

(٢) الترمذي، صفة القيامة والرقاق، باب حديث٢٤٧٢، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب.

الأذى التي لم تكن تحلم به في حياة أبي طالب، وبعد وفاة أبي طالب خرج النبيﷺ يبحث عن مكان يؤوي دعوته، ولقد جسد النبيﷺ هذه الصورة بقوله: (ما نالت مني قريش ما نالت حتى مات أبو طالب)، وبعد عام الحزن أخذ بنو هاشم يتخلون عن حماية النبيﷺ، فربما أدركوا مدى الأذى الذي لحقهم من المقاطعة، ولموت عمه أبو طالب الذي كان العامل الأكبر في توفير الحماية الرسمية له ﷺ ، وتتجلى كل هذه الصور في رحلته ﷺ إلى الطائف وبحثه عن ملجأ وما لقيه في الطائف من أذى.

لقد أوذي النبي ﷺ في جسده وضرب في مواقف من قريش، ولا يخفى علينا مدى إيذاء أبي جهل للنبي ﷺ النفسي والجسدي، فهو كان من أكبر المسيئين للنبي ﷺ من قومه، ولقد حارب النبي ﷺ والإسلام والمسلمين بكل ما أوتي من قوة، فها هو يسيء إلى النبي ﷺ ويزعم أنه سَيَطَأ عنق الرسول ﷺ، فقد روى أبو هريرة– رضي الله عنه– قال: (قال أبو جهل: هل يعفّر[1] محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللّات والعزّى لأن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لاعفّرنَّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ رقبته، قال: فجأهم منه إلا وهو ينكصُ[2] على عقبيه ويتقي بيديه، فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهَوْلاً وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً)[3].

ومنه إيذاء عقبة بن أبي معيط للنبي ﷺ، فعن عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه– قال: (بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابه جلوس ، وقد نُحرت جزُورٌ بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جَزُور بني فلان فيأخذه، فظل في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث

---

(١) يعفِّر: كناية عن الصلاة،(ابن الأثير ، النهاية، ج٢، ص٢٢٦، مادة عفر).

(٢) ينكص: يرجع ويمشي إلى الوراء، (ابن الأثير، النهاية، ج٢، ص٧٩٥، مادة نكص).

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة المنافقين، باب قوله (إن الإنسان ليطغى)، حديث ٢٧٩٧، البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص٤٣٨.

شقي القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم انظر – لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ – وهو ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل، سأل ثلاثاً، ثم قال: (اللهم عليك بقريش) ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: (اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبه[١]، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي مُعيط –وذكر السابع ولم أحفظه– فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب[٢]، قليب بدر)[٣]، وأما السابع ففي رواية البخاري (عمارة بن الوليد).

***موقفه**ﷺ :

قال ابن حجر: "في الحديث تعظيم الدعاء بمكة على الكفار، وإنما إستحقوا الدعاء حينئذ لما أقدموا عليه من الاستخفاف به حال عبادة ربه، وفيه جواز الدعاء على الظالم، لكن قال بعضهم محله ما إذا كان كافراً، فأما المسلم فيستحب الاستغفار له والدعاء بالتوبة، ولو قيل لا دلالة فيه على الدعاء على الكافر لما كان بعيداً لاحتمال أن يكون أطلع ﷺ على المذكورين لا يؤمنون، والأَوْلى أن يدعى لكل حتى بالهداية"[٤].

---

(١) في صحيح مسلم: الوليد بن عقبة، وصوابه ما أثبتُّه، انظر: فتح الباري، ج٧، ص١٦٥.

(٢) القليب: البئر التي لم تُطو،(ابن الأثير، النهاية، ج٢، ص٤٨٢).

(٣) البخاري،الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى، حديث ٥٢٠، مسلم،صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسِيَر، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، حديث ١٧٩٤.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص٣٥٢.

***وضع التراب على رأسه:**

فعن عروة بن الزبير قال:" لما نثر ذلك السفيه التراب على رأس رسول الله ﷺ دخل الرسول بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: يا بنية لا تبكي فإن الله مانع أباك، قال: ويقول رسول الله ﷺ: "ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب"[1].

***موقفه ﷺ :**

عدم اليأس، يوضع التراب على رأسه فيعلم أن ذلك امتحان من الله عز وجل وأن الله سيمنعه من هؤلاء الكفار، ويرفع النبي ﷺ من معنويات ابنته التي تأثرت جداً من هذا الموقف، وأخبرها بيقين الداعية الصابر المتوكل على الله عز وجل بأنه لا محالة أن الله سينصره، وهكذا يجب أن يكون الداعية مهما تعرض له من إساءات.

***اجتماع قريش لضرب جسده الطاهرﷺ:**

عن أسماء بنت أبي أنهم قالوا لها: ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ، فقالت: كان المشركون قعدوا في المسجد يتذاكرون رسول الله ﷺ وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ، فقالوا إليه- وكانوا إذا سألوه عن شيء صدقهم- فقالوا: ألست تقول كذا وكذا: بلى فتشبثوا به بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر فقيل له: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وإنَّ له لغدائر، فدخل المسجد وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات

---

[1] الطبري، تاريخ الملوك والأمم،ج١، ص٥٥٣، والحديث يرتقي إلى درجة الحسن بمجموع طرقه.

من ربكم قالت: فلهو عن رسول الله ﷺ، وأقبلوا على أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا ويقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام[1].

زاد ابن حبان: "ثم انصرفوا عن النبي ﷺ، فقام رسول الله ﷺ، فلما قضى صلاته مر بهم وهم جلوس في ظل الكعبة، فقال: يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده، ما أرسلت إليكم إلا بالذبح وأشار إلى حلقه، فقال أبو جهل: يا محمد ما كنت جهولاً، فقال رسول الله ﷺ: أنت منهم[2].

***موقفهﷺ :**

لجأ النبي ﷺ إلى الله سبحانه وتعالى بالصلاة والدعاء ومن ثم هدد المُصِرِّين على عداء الله ورسوله، فعلينا إذا أصابنا من أعدائنا شيئاً أن نلجأ إلى الله عز وجل فهو نِعم المولى ونِعم النصير، ولا بأس بأن نهدد أعداء الله ورسوله بما نستطيع فعله.

***محاولة القتل:**

حاول أهل مكة في ليلة الهجرة قتل النبي ﷺ والحادثة معروفة ومشهورة وهي أن اجتماعهم انتهى باتفاقهم على قتل النبي ﷺ وتفريق دمه بين القبائل[3]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال :٣٠).

---

(١) الحميدي، عبد الله بن الزبير الحميدي، مسند الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة، حديث ٣٢٤، وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو وعند البخاري في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، حديث ٣٤٧٥، ابن حنبل ،المسند،حديث ٦٩٠٨، وفيه أن عقبة بن أبي معيط خنق النبي ﷺ خنقاً شديداً.

(٢) ابن حبان، صحيح بن حبان، حديث ٦٥٦٩.

(٣) أخرج القصة الطبري في تفسيره ج٦،ص٢٢٥، والحديث إسناده ضعيف إلا أن للقصة شاهد من حديث عائشة أم المؤمنين، وعائشة بنت قدامة رضي الله عنها، وعلي، وسراقة –رضي الله عنهم– أخرجها ابن سعد قال: "أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قال: وحدثني بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين بن أبي غطفان عن بن عباس قال: وحدثني قدامة بن موسى عن عائشة بنت قدامة قال: وحدثني عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن ابيه عن عبيد الله بن ابي رافع عن قال:وحدثني معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم عن سراقة بن جعشم. دخل حديث

***موقفه ﷺ :**

رغم العداوة ورغم الإيذاء والاستهزاء، ورغم الحصار والتجويع ورغم الإخراج من الموطن وأكل الحق من مال وبيوت وغيرها من المظالم، يقف النبي ﷺ أمام أهل مكة بل أمام العالم أجمع وعبر التاريخ معلماً للبشرية عناوين العفو والمسامحة والصفح حيث أمن الناس إلا من أصر على حرب الله ورسوله فقد قال ﷺ: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن)[1].

***محاولة أبيّ بن خلف وابن قميئة قتل النبي ﷺ في أحد:**

كان أبي بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد إن عندي العود أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك، وفي غزوة أحد قال: أين محمد لا نجوت إن نجا، فقال النبي ﷺ: دعوه، فلما دنا تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصِمَّة قال: يقول بعض الناس فيما ذكر لي: فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر إذا إنتفض بها ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً، وقد خدشه النبي ﷺ خدشاً غير كبير فاحتقن الدم قال: قتلني والله محمد قالوا: ذهب فؤادك والله إن بك بأس، قال: إنه قد كان بمكة قال لي: أنا أقتلك فوالله لو بصق عليّ لقتلني، فمات عدو الله"[2].

بعضهم في حديث بعض، قالوا:لما رأى المشركون أصحاب رسول ﷺ قد حملوا الذراري والأطفال إلى الأوس والخزرج عرفوا أنها منعة وقوم أهل حلقة وبأس فخافوا خروج رسول الله ﷺ فاجتمعوا في دار الندوة..." ،الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٢٧.

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، حديث ١٧٨٠، أبو داود، السنن، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما جاء في خبر مكة حديث ٣٠٢٢ وفيه ومن دخل المسجد فهو آمن.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٢،ص٦٧. وذكرها ابن إسحاق، السيرة، ج١،ص٣٠١، وابن كثير، السيرة النبوية ج٣،ص٦٩. وإسناده ضعيف مرسل.

وأما ابن قميئة، فقد روي عن السدي قال: أتى ابن قميئة الحارثي- أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته، وشجه في وجهه فأثقله، وتفرق عنه أصحابه، ودخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً"[1].

الفرع الثاني: إساءة اليهود للنبيﷺ.

لقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها دولة الإسلام، وكادوا للإسلام وأهله منذ اليوم الذي أصبحت فيه الدولة المسلمة، وقد ذكر الله -عزّ وجلّ- في القرآن الكريم تقريرات وإشارات كثيرة كافية لتصوير هذه الحرب الشعواء ضد الإسلام ونبيه ﷺ، وامتدت هذه الحرب أربعة عشر قرناً، وما تزال هذه الحرب إلى يومنا هذا، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ (البقرة: ١٢٠).

وعندما قدم النبي ﷺ إلى المدينة المنورة عقد مع اليهود معاهدة تعايش، ودعاهم إلى الإسلام الذي يصدق ما بين أيديهم من التوراة. قال ابن إسحاق: "وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادَعَ[2] فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم"[3]. ثم ذكر بنوداً تخص التعامل مع اليهود والتعايش معهم: "وانه لمن تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم...، وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية،ج٣،ص٢٨ ابن كثير،المرجع السابق، ج٣، ص٦٧، والقصة ذكرها أصحاب السير في أحداث غزوة أحد.

(٢) وادَع: سالم وهادن (ابن الأثير،النهاية،ج٢،ص٨٣٥، مادة ودع).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٩٤، العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص٢٠٤.

نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حاربهم أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم"[١].

ولكن الناظر إلى نقضهم للعهود يجد مدى تجذّر هذا الحقد والعداوة في صدور هؤلاء، فكما كانوا في مكة يساندون مشركي مكة ويمدونهم بالأسئلة المحرجة التي ليس لها جواب، لا في الكتب السابقة ولا في الكتب اللاحقة، وذلك لتعميق الفجوة بينهم وبين الرسول ﷺ -ومن هذه الأسئلة: عن الروح-[٢] ، فنجدهم في المدينة المنورة نقضوا العهد والميثاق أكثر من مرة، وكانت لهم إساءات كثيرة للنبي ﷺ ولدعوته، ونأخذ للتوضيح أمثلة على ذلك كما يأتي.

أولاً: نقض العهد.

ومن ذلك نقض بني النضير عهودهم التي تُحتِّم عليهم ألا يؤوا عدواً للمسلمين، ولم يكتفوا بهذا النقض فقط ؛ بل أرشدوا الأعداء إلى مواطن الضعف في المدينة[٣].

قال موسى بن عقبة: (كانت بنو النضير قد دسوا إلى قريش وحضُّوهم على قتال رسول الله ﷺ ودلوهم على العورة)[٤].

ثانياً: الحرب الإعلامية (الهجاء بالشعر) .

كما رأينا خيانتهم من حيث الجماعة كبني النضير وحقدهم، نذكر حرباً إعلامية كانت في عهده ﷺ من قبل كعب بن الأشرف (الشاعر)، فعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ (من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى اللهَ ورسولَه) فقام محمد بن مسلمة فقال:

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٩٤، العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج١، ص٢٧٥.

(٢) انظر: شبير، محمد بن عثمان، صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية، دار النفائس، عمان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٤م، ص١٦.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٩٩.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٣٣٢.

(يا رسول الله أتحب أن اقتله؟ قال: نعم، قال: فأذن لي يا رسول الله أن أقول شيئاً، قال: قل، فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألناه صدقة وقد عنانا[1]، وإني قد أتيتك استسلفك، قال: وأيضاً والله لتملنه...) [2].

وسبب قتله كما سبق ذكره: هو إيذاؤه للنبي ﷺ بهجائه له بالشعر، وكذلك للمسلمين.

فعن كعب بن مالك- رضي الله عنه- قال: إن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان رسول الله ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط ، منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة رسول الله ﷺ، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان، ومنهم اليهود، وأهل الحلقة والحصون، وهم حلفاء للحيَّين الأوس والخزرج، فأراد رسول الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك، والرجل يكون مسلماً وأخوه مشرك.

وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أشد الأذى، فأمر الله عز وجل رسوله الصبر على ذلك، والعفو عنهم، ففيهم أنزل الله جل ثناؤه: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (آل عمران: ١٨٦)، وفيهم نزل: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (البقرة: ١٠٩).

---

(١) أتعبنا وأرهقنا ،(ابن الأثير، النهاية ،ج٢،ص٢٦٧، مادة عنا).

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، حديث ٤٠٣٧، مسلم، صحيح، كتاب الجهاد والسير، باب قتل كعب بن الأشرف، حديث ١٨٠١، البيهقي، دلائل النبوة، ج٣، ص١٩٥-١٩٦، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٨-٩.

فلما أبى كعب بن الاشرف أن ينزع عن أذى رسول الله ﷺ، وأذى المسلمين، وأمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه، فبعث إليه سعد..)[1] وذكر نحواً من حديث جابر– رضي الله عنهم.

وفي هذا الموقف مدح كعب بن مالك (شاعر المسلمين) الصحابة بفعلهم فقال:

فعـــود مـــنهم كعـــب صـــريحاً ... فـــذلت بعـــد معركـــة النضـــير
علـــى الكفـــين وقـــد علتـــه ... بأيـــــدينا مشـــــهرة ذكـــــور
بـــأمر محمـــد إذ دس لـــيلاً ... إلـــى كعـــب أخـــا كعـــب يســـير
فمَـــــاكَرَه فأنزلـــــه بمَكْـــــر ... ومحمـــود اخـــو ثقـــة جســـور

وقال:

لله در عصـــــابة لاقيـــــتهم ... يـا بـن الحقيـق وأنـت يـا بـن الاشـرف
يســرُّون بــالبِيض الخفــاف إلــيكم ... مرحــاً كأســدٍ فــي عــرين مغــرف
حتــى أتــوكم فــي محــل بلادكــم ... فســـقوكم حتفـــاً بـــيض ذفـــف
مستنصـــرين لنصـــر ديـــن نبـــيهم ... مستصـــغرين لكـــل أمـــر مجحـــف[2].

وهكذا طويت صفحة من صفحات الغدر وإيذاء النبي ﷺ ممثلة في هذا اليهودي الذي كان يؤذي النبي ﷺ بالحرب الإعلامية والشعر وهجائه، حتى شكى منه النبي ﷺ.

---

(1) أبـو داود، السـنن، كتـاب الإمـارة والخـراج والفـيء، بـاب كيـف كـان إخـراج اليهـود، حـديث ٣٠٠٠، ج٢، ص١٦٩،(قال الألباني: صحيح الإسناد)، الهيثمي، نور الدين على بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب المغازي والسير، باب قتل كعب بن الأشرف، حديث ١٠٣٣١، ج٦، ص٢٩١، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤١٢هـ، ثم قال: وفيه ابن اسحق ، وهو مدلس وقد صرَّح بالسماع في روايته وبقية رجاله رجال الصحيح، والحديث سكت عنه أبو داود وهو عنده مما يصلح للاحتجاج.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص١٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٨.

ثالثاً: الإساءة المادية.

حاول اليهود الإساءة إلى النبيﷺ بكل وسيلة يستطيعونها، وكان من أساليبهم الإساءة المادية بشتى وسائلها، ومن ذلك السحر، فقد أخرج البخاري من حديث عائشة –رضي الله عنها– قالت: (سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهْوَ عِنْدِي لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا ثمَّ قَالَ : يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ أَتَانِي رَجُلاَنِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ فَقَالَ مَطْبُوبٌ قَالَ مَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ قَالَ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ قَالَ وَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ ، أَوْ كَأَنَّ رُؤُوسَ نَخْلِهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أَسْتَخْرِجُهُ قَالَ قَدْ عَافَانِي اللَّهُ فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ) [1].

موقفه ﷺ :

استخدم النبي ﷺ أنفع وأنجع الأدوية في مقاومة السحر ألا وهو الدواء الإلهي من ذكر ودعاء وتوجه إلى الله عز وجل، ثم إن النبيﷺ لم يقتله حتى لا يثير بقتله فتنة، ولم يكنﷺ ينتقم لنفسه، أو لئلا ينفر الناس من الدخول في الإسلام وهو من جنس ما راعاه النبي ﷺ من منع قتل المنافقين حيث قال: لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

---

[1] البخاري، الصحيح، كتاب الطب، باب إذا السحر،حديث ٥٤٣٣، مسلم،كتاب السلام، باب السحر، وفيه جب طلعة ذكر بدل جف، وفيه قالت عائشة رضي الله عنها أفلا أحرقته، بدل أفأخرجته، قال لا أما أنا عافاني الله وكرهت أن أثير على الناس شراً فأمرت بها فدفنت حديث ١٢١٨٩ وابن ماجه، في الطب، باب السحر حديث ٣٥٤٥، وأحمد ،المسند،حديث ٢٤٦٩٤، .

قال ابن قدامة: "لم يقتل لبيد لأنه مشترك لأن الشرك أعظم من سحره ولا يقتل به، والأخبار وردت في ساحر المسلمين لأنه يكفر بسحره وهذا كافر أصلي"[1].

ومن الإساءة المادية محاولات اغتيال النبي ﷺ:

حاول اليهودُ قتلَهﷺ في عدة مواقف، منها عندما اتفق يهود بني النضير على أن يلقوا عليه ﷺ صخرة من فوق البيت فأُخبرﷺ بذلك فخرج، ثم حاصرهم[2].

وقد ذكر أصحاب السِيَر طريقة أخرى لمحاولة يهود بني النضير لقتل النبي ﷺ وذلك أنهم طلبوا من النبي ﷺ الخروج إليه في ثلاثين من أصحابه، ويخرجوهم في ثلاثين حَبْراً، حتى يلتقوا فيسمعوا منه ﷺ ويسمع منهم، فإذا صدقوه، آمن الأحبار فيؤمنوا قومهم، فخرج النبي ﷺ على ما اتفقوا عليه، ثم وصلوا، فقال اليهود: كيف نفهم وتفهم ونحن ستون رجلاً، اخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج ثلاثة من علمائنا، فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنا كلنا وصدقناك، فاشتملوا على الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير من الغدر برسول الله ﷺ قبل أن يصل إليهم فسارَّه بخبرهم، فرجع إلى المدينة، ثم رجع وحاصرهم[3].

---

(١) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ص٣٧.

(٢) الواقدي، محمد بن عمر، المغازي والسير، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت: د. ط، د. ت، ج١، ص٣٦٤، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٩٩-١٠٠، البيهقي، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ج٣، ص١٧٦، العمري،أكرم ضياء، المجتمع المدني في عهد النبوة، د.ن، ط١،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م،ص ١٤٥، وقال العمري :"وإن كان في الآثار ضعف إلا أنها تعضد بعضها لتصبح صالحة للاحتجاج".

(٣) عبد الرازق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، المصنف: حبيب الرحمن الأعظمي، وقعة بني النضير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، حديث ٩٧٣٢، أبو داود، السنن، كتاب الخراج والفيء، باب خبر النضير، حديث٢٠٠٤، البيهقي، دلائل النبوة، ج٣، ص١٧٨-١٧٩، الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، باب سورة الحشر، حديث ٣٧٩٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١= ١٤١١هـ-١٩٩٠م، وقال الحاكم: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٣٣١؛ وقال: بإسناد صحيح، العمري، السيرة النبوية الصحيحة،ج٢، ص٣٢٥.

والأرجح –والله أعلم –أن الرواية الأولى هي المقدمة لقوة أسانيدها واشتهارها. والحاصل: وإن اختلفت الروايات من حيث السبب الرئيس إلا أنها تتفق على الهمِّ بقتل النبي ﷺ وإرادة الغدر به، مما أدّى إلى وقعت غزوة بني النضير والتي نزلت بشأنها سورة الحشر.

*ومن صور إيذاء اليهود للنبي ﷺ ما أرادت امرأة من اليهود (من خيبر) وضع السُمِّ له في الطعام حتى أكله النبي ﷺ وتأذى منه، وكان يشكو منه كثيراً حتى بعد سنين.

فعن انس بن مالك– رضي الله عنه– قال: (إن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، قالت: أردت قتلك، فقال: ما كان الله ليسلطك علي، قال: قالوا: إلا تقتلها؟ قال: لا، فما زالت أعرفها في لَهَوَات[1] رسول الله ﷺ)[2].

ومن حديث أبي هريرة– رضي الله عنه– أنه سأل اليهود في خيبر عندما فتحت: (هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟ فقالوا: نعم، فقال: ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إن كنت كذاباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك)[3].

وهذا يدل على أن المرأة ما فعلت فعلتها إلا بأمر من رؤساء اليهود وزعمائهم، وبإقرار منهم كما جاء الحديث.

من هنا نرى مدى حقد اليهود وإرادتهم إيذاء النبي ﷺ والإساءة إليه بشتى الوسائل، المادية والمعنوية وما ذكرناه هنا غيضٌ من فيضِ صورِ إيذائهم للنبي ﷺ، فهم –كما أخبر الباري عزّ وجلّ– كانوا من أشد الناس عداوةً وإساءةً للنبي ﷺ، فنكتفي بهذه الأمثلة.

---

(١) لَهَوَات: جمع لهاة، اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك، وكأنه بقي للسم علامة،(ابن الأثير،النهاية، ج٢،ص٦٢٥، مادة لها).

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، حديث ٢٦١٧، مسلم، كتاب السلام، حديث ٢١٩٠، أبو داود، السنن، كتاب الديات، حديث ٤٥٠٨.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي ﷺ، حديث ٥٧٧٧.

وقد ذكر أصحاب السِيَر أسماءَ من ناصب رسولَ الله ﷺ العداء من اليهود، قال ابن إسحاق: "ونصبت عند ذلك أحبار يهود رسول الله ﷺ العداوة بغياً وحسداً وضغناً، لما خص الله تعالى به العرب من أخذهم رسول الله منهم، وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عَسَى[1] على جاهليته، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث، ومنهم: حُيَيْ بن أخطَب وأخواه أبو ياسر بن أخطب وجُدَيْ بن أخطب، وسَلَّام بن مِشْكَم، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحَقيق، وسَلَام بن أبي الحَقيق وعَمْرو بن جُحَاش وكعب بن الأشرف وهو من طيء".

ثم عد أسماء اليهود وأقوامهم فبلغوا قرابة (٧٠) رجلاً من شتَّى الأقوام ثم قال: (فهؤلاء أحبار يهود، أهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه، وأصحاب المسألة والنصب لأمر الإسلام الشرور ليطفئوه، إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومُخَيْرِيق)[2]، أي أنهما اسلما.

فهذا هو دأب اليهود في الإساءة إلى النبي ﷺ وإيذائه من باب الحقد والحسد والضغينة ، فقد تفننوا في صور الإيذاء جماعاتٍ وأفراداً.

ولا ننسى بني قريظة كيف قاموا بخذلان النبي ﷺ في غزوة الأحزاب، حينما انضموا إلى الأحزاب ضد رسول الله ﷺ وأرادوا خيانته[3].

---

(١) عسا على جاهليته: من رجا في جاهليته خيراً فبقي عليها واستمر فيها حتى كَبُر، (ابن الأثير،النهاية،ج٢،ص٢٠٨، مادة عسا).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٠٣-١٠٤.

(٣) انظر: الواقدي، المغازي،ج٣،ص٤٥٤-٤٥٩، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣،ص٧٠٦ وقد أوردها دون إسناد، وقد فصَّل ابن إسحاق وقائع الخبر ولكن دون إسناد، وقد أشار البخاري إلى عدة أمور من الغزوة : (كحكم النبي ﷺفيهم، وإرساله الزبير ليعلم خبرهم، وغيرها من الأخبار)، البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة، حديث٢٦٩١، وحديث٢٨٧٨ في حكم سعد فيهم.

الفرع الثالث: إساءة المستشرقين للنبي ﷺ.

نقف مع صنف جديد استمر على إيذاء النبي ﷺ، واخترناه في هذا الزمان عن غيره من غير المسلمين وهم المستشرقون، ذلك أنهم ساهموا بدور كبير في بث السموم وإثارة الشُبَهِ حول النبي ﷺ، مستعينين في ذلك بما يحملونه من علوم وثقافة، وبما يقدم لهم من دعم مادي ومعنوي حتى اغتر بعض المثقفين بهم من أبناء المسلمين، وساروا على طريقهم.

والاستشراق: دراسات أكاديمية يقوم بها الغربيون من أهل الكتاب للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، وثقافة، وشريعة، بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه[1].

نشأ الاستشراق كحركة منظمة لها أهداف محددة ومنهج معين، وهو وليد العصور الحديثة، إذ ترجع نشأته إلى القرن الثامن عشر[2]. غير أن الاستشراق كأسلوب مواجهة فردية للإسلام ظهر قبل هذا التاريخ بكثير، إذ ترجع البدايات الأولى إلى القرن الأول الهجري، فقد استرعى الإسلام انتباه أعدائه منذ ظهوره، فحاولوا الوقوف أمامه بكل ما يستطيعون، ولا أدل على ذلك من أن يوحنا الدمشقي (٦٧٦-٧٤٩م) (٦٦هـ) قد درس الإسلام وكتب كتاباً في المجادلة بين المسلم والنصراني (حوار بين مسيحي ومسلم) وكتاب (حياة محمد) وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين ثم ظهر من بعده القديس (كيراس) الذي عنى بالقرآن وترجم بعض آياته، كما ظهر بترفيل في القرن الحادي عشر الميلادي وقد ترجم القرآن كاملاً، وبعد هذا كانت هجرة العلماء النصارى المنظمة إلى الأندلس لقربها من أوروبا للبحث عن العلم والثقافة عند المسلمين، وراحوا ينقلون المخطوطات

---

(١) غراب، أحمد عبد الحميد، رؤية إسلامية للاستشراق، دار الأصالة، الرياض، ط١، ١٩٨٨م، ص٨..

٢ السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقين، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٧٩م، ص٥.

الإسلامية إلى اللغة اللاتينية، والتي كانت وراء نهضتهم وتقدمهم، وكانت هذه هي البواكير الأولى لحركة الاستشراق[1].

دأب المستشرقون على الإساءة إلى النبي ﷺ بالأشكال كافة ، من ناحية الكتابة والتأليف بشكل خاص، ونشر السم في مؤلفاتهم، ومقالاتهم بشكل عام ، ولقد اختلق معظم المستشرقين شبهات حول النبيﷺ، وزينّوها أمام أعين الناس وأفكارهم، وغلَّفوها بلباس من المنهجية الخاصة، وغزوا بها العالم الإسلامي في مؤسساته الفكرية، ومناهج التربية والتعليم، والمؤلفات الاستشراقية التي زخرت بترجماتها المكتبةُ العربية الإسلامية.

ولا ريب أن علماءنا وباحثينا قدموا دفوعاً علمية ضد المطاعن التي لونَّها المستشرقون بألوان الخداع اللغوي ، أو الفكري ، أو المنهج الظاهري (الموضوعية الحيادية)، وكانت هذه الدُفوع على جميع المستويات الفكرية المتعددة، فمعظم الموضوعات التي تناولها المستشرقون عن الرسول ﷺ وغيره في دائرة المعارف الإسلامية[2]، كان يواكبها تعليقات وتعقُّبات مدروسة ومحضرة، وأحياناً

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب الفكرية، إشراف د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، ط٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ج٢، ص٦٨٧، صالح، سعد الدين السيد، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٨٧.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: موسوعة أكاديمية تعنى بكل ما يتصل بالحضارة الإسلامية والمسلمين، تم إصدارها على طبعتين الأولى بين ١٩١٣م-١٩٣٨م، والثانية ١٩٥٤م-٢٠٠٥م، ويتم إصدارها من قبل شركة بريل الهولندية، وهي من كتابة المستشرقين الحاقدين على الإسلام، وكانت بدايتها باللغة الانجليزية والفرنسية والألمانية، ثم بدأت ترجمتها إلى اللغات الأخرى ببعد عام ١٩٥٣م، ومن ابرز كتابها: لويس ماسينيون (١٨٨٣م-١٩٦٢م) اكبر مستشرقي فرنسا ، جوزيف شاخت (١٩٠٢م-١٩٧٠م) مستشرق هولندي، هنري لامانس اليسوعي (١٩٧٠م) وغيرهم ما يقارب اثنين وعشرين مستشرقاً من اخطر المستشرقين أمثال جولدرزيهر وغيره، انظر: الجهني، الموسوعة الميسرة، ج٢، ص٦٩٢، موقع www.wikiredia.org الموسوعة الحرة.

مقالات ختامية تتحدث عن الوجهة الإسلامية، كما فعل الشيخ محمود شاكر، والدكتور محمد البهي، والشيخ محمد عرفة، والدكتور محمد يوسف موسى وغيرهم[1].

ومثلها أيضاً في الكتب المترجمة إلى العربية حيث تضمنت حواشٍ وتعليقات على كثير من الشبهات التي يراد بها أن تسود في الفكر العربي الإسلامي، وهو ما حدث في كتاب (حياة محمد) لهيكل، وغيره من الكتب.

وفي نطاق أوسع كتبت مقالات عن الاستشراق والمستشرقين في مجلات عربية وإسلامية، تناولت قضايا الإسلام من وجهة النظر الاستشراقية كما فعل العقاد في مجلات (الأزهر والهلال)، وسبقه شكيب أرسلان في مجلتي (الفتح والمنار)، وعاصره محب الدين الخطيب في مجلتي (الأنصار والفتح) وفي نطاق البحث المستفيض، كانت تؤلف بعض المؤلفات المختصرة والمطولة عن جوانب من أعمال المستشرقين، يردون بها على مطاعنهم، ويكشفون عن شبهاتهم، كما فعل ذلك الدكتور الهراوي في كتاب (المستشرقون والإسلام)[2].

وما تزال الأقلام الإسلامية والألسنة تنشط، والأفكار السليمة تتبلور وتدحض افتراءات جديدة أو قديمة تنشرها مجلات إسلامية وعربية وثقافية.

وفي هذا المقام نذكر أهم المستشرقين الحاقدين على النبي ﷺ وعلى الإسلام كنموذج لهذه الشريحة، ونأخذ نموذجين في الدراسة ثم نسرد بعض أسماء المستشرقين الحاقدين.

---

(١) انظر: حمدان، نذير، الرسول في كتابات المستشرقين، دار المنارة، جدة، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ص١٠٤.

(٢) انظر: حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ص١٠٤، الموسوعة الميسرة، ج٢، ص٦٩٠، شايب، لحضر، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ٢٥٩، الجبري، عبد المتعال محمد، السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص٥، خليل، عماد الدين، دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٥، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص١٠-١١.

أولاً: هنري لامانس[١]:

وصف الشيخ عبد الحليم محمود المستشرق الأب هنري لامانس بقوله: (والحق أن مثل لامانس في الاستشراق كمثل بطرس الناسك في الحروب الصليبية، وإنه يقوم في الناحية العلمية بما كان يقوم به ذلك الناسك في ناحية الدعاية الحربية)[٢].

وهذا وصف صادق لهذا القسيس المستشرق الذي اختص بحقد جارف على النبي ﷺ، وعلى الإسلام وأهله، ويتبين ذلك في كل سطر من أسطر مؤلفاته، ففي كتابه (غرب الجزيرة العربية قبل الهجرة)[٣] عمل جاهداً على إثبات انتشار اليهود والمسيحيين في شبه الجزيرة العربية قبل البعثة، حتى نتج معه: "أن الجزيرة العربية تموج بالمسيحيين القرشيين والعبيد وتجار الحبشة والشام، بل أضاف إليهم عدداً معتبراً من الحدادين والأطباء والجراحين والمعلمين"[٤].

وقد دفعت به هذه الفكرة التي لم يقل بها ولم يؤمن بها أحد سواه إلى الحط من شأن النبي ﷺ وأصحابه، فتحول بنبينا ﷺ إلى (نؤوم كبير)، وذلك من أجل أن يبطل حقيقة قيامه الليالي متهجداً.

وقد عدَّ النبي ﷺ مسؤولاً مسؤولية كاملة عن الصراع مع اليهود، وفسَّر عداوته لهم بالسبب القومي.

---

(١) مستشرق بلجيكي الأصل، فرنسي الجنسية (١٨٦٢م، ١٩٧٠م) من الآباء اليسوعيين، رحل إلى لبنان وتوفي فيها، أصدر جريدة البشير، من أهم مؤلفاته: مهد الإسلام، فاطمة وبنات محمد، العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٤، د. ت، ج٣، ص٢٩٣.

(٢) دينيه، نصر الدين، محمد رسول الله، مقدمة عبد الحليم محمود، ترجمة: عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم محمود، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ط، د. ت، ص٤٩.

٣ والكتاب لم يترجم إلى الآن.

(٤) شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، ص٢٦٠، نقل المؤلف من المصدر الأصلي باللغة الانجليزية Arbie occidental. V.nr. IHegire- p54.

ولقد ناقض لامانس نفسه، حين وصف النبي ﷺ بالقومي، فكيف هو قومي؟ فاليهود هم من العرب، ومعظم النصارى من الروم والحبشة والفرس، أي أنهم من غير العرب أصلاً، فكيف هو قومي ويحارب قوميته ويترك غيرها.

*ويحاول لامانس إبطال نبوة النبي ﷺ ويرى أن الإسلام مجرد إصلاح للسامية في شكلها الأكثر حدة، والأكثر التصاقا بالأرض[١].

*ويرى لامانس أن النبي ﷺ بعد الهجرة أصبح خاضعاً لمتع الحياة، حيث تحول من الزهد إلى الاشتغال التام بإحاطة نفسه بمظاهر البذخ وصفات الملك[٢]، وجعل من أدلته انه ﷺ كان يخطب وبلال تحت المنبر، وهو يشهر سيف النبي ﷺ الذي لم يستخدم قط، كان سيفاً معداً خصيصاً للاستعراضات، ولامانس يخالف هنا ما ينقله كثير من المستشرقين من أبناء جلدته، قال فيليب حتّي[٣] : (وعاش محمد أيام عزِّه حياة بسيطة عادية لا تكلُّف فيها ولا تظاهر، وكان طوال حياته شديد الزهد في المادة ، وسكن بيت الطوب)[٤]، والقصة التي استدل بها لامانس وبنى عليها صورته تلك رواها الإمام أحمد عن الحرث بن حسان البكري قال: (قدمنا المدينة فإذا رسول الله ﷺعلى المنبر وبلال قائم بين يديه متقلد السيف بين يدي رسول الله ﷺ وإذا رايات سود، وسألت ما

---

(١) Ftimet les fille de mbomet p82، نقلاً عن: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، ص٢٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٢.

٣ فيليب حتِّي ، لبناني الأصل ،التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت، وحصل منها على شهادة البكالوريوس في العلوم، وبعدها التحق بجامعة كولومبيا في أمريكا، وحصل منها على درجة الدكتوراة ،وتقديرا لنبوغه عينته الجامعة مدرسا في قسم الدراسات الشرقية، وظل يعمل بها أربع سنوات وعمل أستاذا زائرا في جامعة هارفرد، استدعي من قبل جامعة برينستون لتأسيس قسم لدراسات الشرق الأدنى فأقام مركزا للدراسات العربية وأنشأ مكتبة عربية إسلامية في جامعة برنستون تعنى بجمع المخطوطات والوثائق العربية ونشرها، ضمت المكتبة ٥٥٠٠ مخطوطة عربية وعمل لها فهرسا باللغتين العربية والإنجليزية حتى يسهل الاستفادة منها، من أبرز مؤلفاته: (تاريخ العرب)، (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين)،(لبنان في التاريخ)، (صانعوا التاريخ العربي الحديث)، توفي سنة ١٩٧٨م.
http://ar.wikipedia.org

٤ العرب (تاريخ موجز)، ص٤٣-٤٤، نقلاً عن : شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، ص٤١٥.

هذه الرايات فقالوا عمرو بن العاص قدم من غزاة)[1]، ففي القصة لا يوجد فيها تكليف من النبيﷺ لبلال بهذه المهمة، ولا تعوده الوقوف (شاهراً سيفه) أسفل المنبر الذي جعله لامانس عرشاً، وكل ما في الأمر أن إحدى الروايات قد صوَّرت بلالاً واقفاً متقلداً سيفه، لا (شاهراً) له كما أورد ذلك، والحادثة لا تتعلق بحراسة النبيﷺ، بل تتعلق برجوع إحدى السرايا من إحدى الغزوات، فلا عجب أن يتقلد الرجال سيوفهم في المسجد ما داموا راجعين –أو خارجين– من الغزوة، فالمسجد كان آنذاك المكان الذي كان يدار منه الدولة الإسلامية.

ويرى لامانس أن النبي ﷺ يوصف: (بالجبن والهلع في الغزوات)[2]، وهي شبهة لم يقلها غير لامانس.

وشجاعته ﷺ أكبر من أن توصف بكلمات، فعن أنس رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم النبي ﷺ وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عَري، في عنقه السيف وهو يقول: لم تراعوا لم تراعوا)[3].

وثباته في حنين عند انكشاف الجيش أكبر مثال على شجاعته ﷺ، وهو على بغلته وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي ﷺ يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)[4].

*ويثير لامانس شبهة النهم في الطعام، فهو يرى أن النبي ﷺ (أكول؛ قد كثف جسمه بالملذات)[1]

---

[1] ابن حنبل، المسند، حديث ١٥٩٩٤، والحديث في إسناده انقطاع بين عاصم بن أبي النجود وبين الحرث بن حسان.

[2] حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ص١٢٧.

[3] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق، حديث ٢٧٥١، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبيﷺ، حديث ٢٣٠٧، لم تراعوا: أي لا تخافوا ما يضركم، فرساً عري: لا سرج عليه.

[4] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، حديث ٢٧٠٩، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، حديث ١٧٧٦.

ولامانس بهذا يخالف ويعاند المشهور والمعروف الثابت من حاله وآدابه ﷺ، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية (مشوية) فدعوه، فأبى أن يأكل وقال: (خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير)[٢]. وعنه- رضي الله عنه-: (ما شبع آل محمد ﷺ من طعام ثلاثة أيام حتى قبض)[٣].

قال ابن القيم: (إنه كان من هديه ﷺ وسيرته في الطعام، لا يرد موجوداً، ولا يتكلف مفقوداً، ولم يرد طيباً ولا يتكلفه، بل كان من هديه أكل ما تيسر، فإن أعوزه صبر، حق إنه ليربط على بطنه الحجر من الجوع، ويرى الهلال والهلال والهلال ولا يوقد في بيته نار)[٤].

فهذه الشبهة التي أوردها لامانس يكذبها الصحيح الثابت المنقول عن النبي ﷺ.

* ويرى لامانس أن اسم النبي ﷺ لغزاً من الألغاز التي لم تحل[٥].

وغاب عن لامانس وغيره أن أهل السير عدو قرابة ستة عشر رجلاً اسمهم محمد كانوا قبل النبي ﷺ[٦].

فهذه أهم شبهات لامانس حول النبي ﷺ والإساءة إليه، وهذا غيض من فيض لامانس وسمومه لإيذاء النبي ﷺ والإساءة إليه والى أهل بيته[٧].

---

(١) حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ص١٢٥.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، حديث ٥٠٩٨.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأطعمة، باب، حديث ٥٠٥٩، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، حديث٢٩٧٠.

(٤) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق: شعيب الارنؤوط، عبد القادر الارنؤوط، ط١٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، ج١، ص١٤٢.

(٥) حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ص١٣١.

(٦) الحلبي، علي برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٤٠٠هـ، ج١، ص١٣٤.

(٧) انظر: شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص٢٥٩-٢٦٣، حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ص١٣٠-١٣٣.

ثانيا: تيودور نولدكه[1]:

يعد نولدكه من أهم المستشرقين الألمان الحاقدين على الإسلام ونبيهﷺ، فهو في كتابه(تاريخ القرآن) لا ينفك عن مهاجمة الإسلام ونبيهﷺ، ويحاول التشكيك فيهما، فمحور كتابه يدور في نفي الوحي والرسالة عن النبيﷺ، وأن هذه خيالات وأوهام جعلته يصق نفسه أنه وحي من الله.

ومن شبهاته:

*يقول نولدكه: (كان محمد ضعيف العزم لأنه لم يجرؤ على الجهر بدعوته الا بعد مضي ثلاث سنوات حتى اجبره صوته الداخلي على ذلك)[2].

ونولدكه هنا يطلق حكمه جزافاً وذلك لعدة أسباب:

أ. إن أمر الدعوة والجهر بها إنما هو أمر الهي من الله سبحانه وتعالى، فبعد ثلاث سنين أمر الله عزوجل نبيهﷺ بالجهر بالدعوة فقال تعالى : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (الحجر: ٩٤ – ٩٥)، فعندما جاء الأمر الإلهي لم يتوان النبيﷺ عن الجهر بها.

ب. تحدثنا سابقاً عن شجاعة النبيﷺ وجرأته، وكذلك عندما صعد إلى الصفا ونادى في مكة في دعوته.

ج. نولدكه نفسه لم يخرج كتابه إلا بعد فترة من الزمان ، ولم يجرؤ على طباعته مرة أخرى، فهل يطلق عليه الخوف وعدم الجرأة بهذا الأسلوب الذي يتعامل معه؟.

---

[1] تيودور نولدكه، مستشرق ألماني ولد سنة ١٨٣٦م، نال درجة الدكتوراه وكانت باللغة العربية بعنوان (حول نشوء وتركيب السور القرآنية)، درَّس في عدة جامعات في ألمانيا وهولندا، من مؤلفاته (تاريخ القرآن) وهو الكتاب الذي أورد شبهاته فيه، توفي سنة ١٩٠٦م،العقيقي، المستشرقون الألمان، ج٢،ص٧٩.

[2] نولدكه، تيودور، تاريخ القرآن، دار نشر جورج ألمز، نيويورك، مؤسسة كونراود، بيروت، ٢٠٠٤م، والكتاب مترجم، ج١، ص٥.

* ويرى نولدكه: (أن الروايات في شأن تعرض النبي وأصحابه للاضطهاد والإساءة الجسدية مبالغ فيها)[1].

والناظر إلى كتاب نولدكه (تاريخ القرآن) يجده ينقل كثيراً عن ابن هشام، فهو إما أنه لم يطلع على هذه النصوص، أو أنها لم ترق له، ولو شاء نولدكه لنظر إلى كتب السنة الصحيحة التي خضعت لمقاييس النقد والتصحيح لوجد مدى صحة هذه الروايات وصدقها.

وهل يكذب نولدكه ما حل بأتباع المسيح عليه السلام وهم الذين لاقوا عذاباً أشد من عذاب الصحابة؟ فلم نسمع مؤرخاً شكك في ذلك، وهذه القصص لم تصل إلينا بالمقاييس التي وصلت إلينا قصص اضطهاد الصحابة وتعذيبهم، فالكيل بمكيالين كان من دأب نولده في الحديث حول النبيﷺ وأصحابه.

ويقول نولدكه: (اعتبر محمد كل شيء مباحً ما لم يتعارض مع صوت قلبه)[2].

أما عن صوت القلب فقد مر الرد عليها في الشبهة الأولى، وأن هذا الدين شريعة من الله سبحانه وتعالى يأمر ما يأمر به، وينهى ما ينهى عنه، وكل ذلك بإرادة الله وحده ، وقد وُجد في القرآن نفسه ما يخالف اجتهاد النبيﷺ، وقد عاتبه الله في عدة مواضع كسورة التحريم، وسورة عبس.

وكذلك فقد احتاج النبي في عدة مواقف للوحي وتأييده ، كحادثة الإفك وسورة الضحى وعندما سئل عن الروح، فقد كان يتأخر عنه الوحي وكان النبي يستبطئه في بعض الأحيان، فلو كان الوحي من صوت قلبه لكان من غير المعقول أن يعاتب نفسه، وأن يؤخر تبرئة نفسه ويضع نفسه في موقع الشبهة وحد الألسنة التي تلوك عِرضهﷺ.

---

[1] نولدكه، تاريخ القرآن، ج١،ص٥.

[2] نولدك، المصدر السابق، ج١، ص٦.

ويقول نولدكه: (استخدم محمد وسائل مرذولة في نشر ما آمن به من أجل الخداع باسم الدين)[1].

والجواب عن قوله: إنَّ أمانة النبي وصدقه يشهد له بها قومه الذين عايشوه ولم يتكلموا قط في أمانته وصدقه في حديثه، حتى أنهم حكَّموه في مشكلاتهم –كما في قصة الحجر الأسود– ، وكانوا يؤمنوه على أماناتهم، ولم ينقل أنه خدع أحدهم، فلو حصل ذلك لنقل إلينا، فالجميع كان ينتظر النبي أن يكون في موقف اتهام.

وقد شهد له أبو سفيان– رضي الله عنه– وقد كان على الشِرك أمام هرقل بصدقه، فقال هرقل: (ما كان ليَذَر الكذب على الناس ويكذب على الله)[2]، فهذه شهادة من عدوَّيْن للنبي ﷺ في حينها.

وكان من منهج النبيﷺ الدعوة بالحكمة والموعظة قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥)، فما عُهد عليه الكذب والخداع ﷺ ويشهد له بذلك أعداؤه.

والناظر إلى كلام نولدكه وشبهاته يجده يطلقها دون دليل أو برهان له، والمنهج العلمي يرد على ذلك في كل زمان، وفي ثنايا كتابه غيرها من الشبهات، فنكتفي بما ذكرناه.

---

[1] نولدكه، تاريخ القرآن، ج١، ص٦.

[2] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان الوحي الى رسول الله ﷺ ، حديث٧.

ثالثا: كارل بروكلمان[1]:

وهذا مستشرق آخر حاول الإساءة إلى النبيﷺ وبث الشبهات حوله دون دليل وبرهان، فهو يطلق الأحكام والتصورات حول النبيﷺ جزافاً، فيرى كارل أنه لا يجوز للباحث أن يحكم على الإسلام بناءً على القرآن وحده، وأن الإسلام نَقْلٌ للديانات السابقة فيقول: "وليس يجوز أن نطلق الحكم على دين محمد أساس القرآن وحده طبعاً، وليست المسألة نظام مرتب، إذ لم تكن الدقة والتماسك الفكري أقوى جوانبه، ولم يكن عالمه الفكري من إبداعه الخاص (يقصد النبيﷺ) إلا إلى حدٍّ صغير، فقد انبثق في الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية، فكيَّفَه محمدٌ تكييفاً بارعاً وفقاً لحاجات شعبه الدينية" [2].

ويرى أن النبي ﷺ كان مزواجاً يحلل لنفسه العدد غير المحدود ويحرم على غيره، فقال: (لم يجز لأحد غيره أن يتزوج عدداً غير محدود من النساء) [3].

ولم يتعب كارل نفسه بالبحث عن هدف الزواج للنبي ﷺ وكيفية زواجه من أمهات المؤمنين، وهل كان غرضه شهوانياً، فزواجه من أمهات المؤمنين كان لأسباب، ولم يكن من أزواجه بكراً إلا عائشة –رضي الله عنها–، وقد كان من عادة العرب التعدد، ومن يراجع كتب السيرة يجد أسباب كل زواج.

---

(1) كارل بروكلمان: مستشرق ألماني (١٨٦٩م–١٩٥٦م) أستاذ في عدة جامعات، من مؤلفاته(تاريخ الأدب العربي)، كان تلميذ المستشرق تيودور نولدكه، وكان يتكلم لغات عدة، العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص٤٢٤، .. www.wikipdia.org

(2) بروكلمان– كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس ومنير البلجيكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٧٧م، ص٦٨–٦٩.

(3) المرجع السابق، ص٧١.

والناظر إلى كلام بروكلمان يلحظ فيه ما يأتي:

١. كان يورد الشبهات دون أدلة، فهو يقول شبهته من عقله دون أن يورد الدليل على ذلك.

٢. يبتعد عن الحياديّة في الطرح، فكتاباته تنم عن حقد يدفعه إلى هذا الكلام.

٣. لا يعتمد بروكلمان على مصادر أصيلة صحيحة(كالبخاري وغيره) عند ذكر الحوادث والقصص.

من هنا نرى مدى التخبط الذي سوف يوقع نفسه فيه عند البحث، وهذا المنهج يختلف عمّا عُهِد من الاستشراق الألماني، فالاستشراق الألماني لم يخضع لغايات سياسية أو استعمارية أو دينية كغيره، فألمانيا لم تستعمِر البلاد العربية والإسلامية، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق؛ لذلك لم تؤثر هذه الأهداف في دراسة المستشرقين الألمان فظلَّت محافظةً -على الأغلب- على التجرد والروح العلمية ولم يكن صاحب روح عدائية غير عددٍ قليل كبروكلمان ونولدكه.[١]

ونكتفي بذكر هذه النماذج من المستشرقين الحاقدين على النبي ﷺ، والذين يقصدون تشويه صورة النبي ﷺ والإساءة إليه، وغيرهم كثير يطول المقام بذكرهم ومناقشة أقوالهم وشبهاتهم، والناظر إلى مؤلفات هؤلاء المستشرقين يجدهم يوردون شبهاتهم دون أدلة صحيحة ثم يبنون عليها أقوالهم وتقريراتهم، وكان جُلُّ اعتمادهم على الكتب غير المختصة بإيراد الروايات الصحيحة، ومنطلقاتهم في إيراد كلامهم لا ينم عن موضوعية وحيادية في الطرح؛ بل دافعهم الحقد والكره، ومن هؤلاء المستشرقين[٢]:

---

[١] انظر: المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص٧، كتورة، جورج، صورة الاستشراق الألماني، (لمحة عما صدر في آخر سنتين في بعض مجلاته)، مجلة الفكر العربي، العدد٢، ص٣٣٧.

[٢] للاستزادة انظر: حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ص١٢٥-١٤٠، شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص٢٥٩-٢٧٠، العقيقي، نجيب، المستشرقون،دار المعارف،القاهرة،ط٢٠٠٣،٤م،ج٢، ص٣٨١-٣٨٢، الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ج٢، ص٢٨٩-٢٩١.

١. جولدزيهر: (١٨٨٠م-١٩٢٠م) مجري يهودي، من كتبه(تاريخ مذاهب التفسير الاسلامي) وكتاب(العقيدة والشريعة) وقد ترجما إلى العربية.

٢. جون ماينارد: أمريكي متعصب، من محرري مجلة(الدراسات الإسلامية).

٣. غ. فون غروبنام: ألماني يهودي، درس في جامعات أمريكا، له كتاب (الأعياد المحمدية)، ١٩٥١م، وكتاب(دراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية)، ١٩٥٤م.

٤. أ.ج. فنسنك، عدو الإسلام، له كتاب (عقيدة الإسلام)، وهو ناشر كتاب (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) وقد ترجما إلى العربية.

وغيرهم كثير يطول المقام بذكرهم ويرد شبهاتهم، ثم الرد عليها، وقد قام بعض الكتاب بالرد عليهم في مؤلفات خاصة مثل كتاب (الرسول في كتابات المستشرقين) نذير حمدان، وكتاب (نبوة محمد في الفكر الاستشراقي)، لخضر شايب، كتاب(دراسة في السيرة) ، عماد الدين خليل، فقد تكلم حول كثير من المستشرقين وشبهاتهم في مقدمة كتابه.

المطلب الثاني: إساءة المنافقين للنبيﷺ .

يعد النفاق من أخطر الأمراض الإنسانية، فهو مرض يؤدي بصاحبه إلى النار، وفيه خطر على أمن المجتمع، فالأمراض التي تصيب الإنسان المسلم إنما تكفِّر عنه ذنوبه، ولكن هذا المرض الذي في القلب يؤدي بصاحبه إلى النار، لما انطوت عليه سريرته، قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة: ١٠)، واشتق النفاق من الفعل نَفَقَ، والنَّفَق: سرب في الأرض مشتق إلى موضع آخر، والنَّفَقَة والنافِقَاء: جُحْر الضبِّ، قال أبو عبيد:

(سمي المنافق منافقاً للنفق، وهو السرب في الأرض، وسمي بذلك لدخوله نافقائه، لأنه نفق كاليربوع) [1].

والضبُّ يدخل من جحر ويخرج من آخر، والمنافق كذلك يدخل من باب الإسلام، ويخرج من باب آخر ما لا يوافق الشرع هواه.

والنفاق في اصطلاح العلماء: الرجل يتكلم بالإسلام ولا يعمل به، أو: سلوك يحمل صاحبه على إظهار غير ما يبطن من الدين كذباً وزوراً[2].

والنفاق لم يكن معروفاً في العهد المكي، لأن أهل مكة كانوا قسمين: مؤمنون بالله ورسوله، ومشركون بالله وجاحدون بنبوة نبيه ﷺ.

كانت إساءة المنافقين للنبيﷺ في أغلبها إساءة معنوية ولم تتجسد في الإساءة الجسدية والمادية، فهم كانوا لا يتأدبون في الحديث مع النبي ولا في المعاملة، وأما الإيذاء المادِّي فلم يحصل منهم–وإن كان المعنوي أشدّ على النبيﷺ– بطريقة مباشرة، وإنما بطرق غير مباشرة كتحالفهم مع اليهود ومع المشركين، وقد ذكر ابن هشام عن ابن إسحاق أسماء المنافقين وعددهم ممن عُرِفوا في زمن النبيﷺ، فعدَّ ما يقارب ثلاثين رجلاً وسمَّاهم في أقوامهم ؛منهم: (جُلَاسُ بْنُ سُوَيْدِ بْنِ الصّامِتِ ، وَأَخُوهُ الْحَارِثُ بْنُ سُوَيْدٍ بِجَادُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، ونَبْتَلُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَزْعَرِ وَكَانَ مِمّنْ بَنَى مَسْجِدَ الضّرَارِ ، وجَارِيَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ الْعَطّافِ، وَابْنَاهُ زَيْدٌ وَمُجَمّعٌ ابْنَا جَارِيَةَ، وَهُمْ مِمّنْ اتّخَذَ مَسْجِدَ الضّرَارِ ، وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَهُوَ مِمّنْ بَنَى مَسْجِدَ الضّرَارِ ،ومَالِكٍ خِذَامُ بْنُ خَالِدٍ وَهُوَ الّذِي أَخْرَجَ مَسْجِدَ الضّرَارِ مِنْ دَارِهِ وَبِشْرٌ وَرَافِعٌ ابْنَا زَيْدٍ،

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٢٣٥، مادة نفق، الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د.ط، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م، ص٦٨٨.

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الفتاوى الكبرى، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٦هـ، ج٦، ص٦٩، الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ص٣١١، حبنّكة، عبدالرحمن حسن، ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ –١٩٩٣م، ج١، ص٥٣،.

ومِرْبَعُ بْنُ قَيْظِيّ، وَأَخُوهُ أَوْسُ، وحَاطِبُ بْنُ أُمَيّةَ بْنِ رَافِعٍ، وَبَشِيرُ بْنُ أُبَيْرِقٍ وَهُوَ أَبُو طُعْمَةَ وَقُزْمَانُ،رَافِعُ بْنُ وَدِيعَةَ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعَمْرُو بْنُ قَيْسٍ، وَقَيْسُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ ، والْجَدّ بْنُ قَيْسٍ، وعَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ وَكَانَ رَأْسَ الْمُنَافِقِينَ وَإِلَيْهِ يَجْتَمِعُونَ، وَفِيهِ وَفِي وَدِيعَةَ – رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَوْفٍ – وَمَالِكِ بْنِ أَبِي نَوْفَلٍ وَسُوَيْدٌ ، وَدَاعِسٌ وَهُمْ مِنْ رَهْطِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ فيهم نزلت سورة المنافقون)[1].

وقد تكلم ابن كثير عن بداية النفاق في المدينة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٨) قال ابن كثير عقب الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ (والنفاق أنواع: اعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من اكبر الذنوب)[2]، والحديث عن النفاق ورد في سبع عشرة سورة من السور المدنية من أصل (٣٠ سورة)، واستغرق موضوع النفاق والمنافقين ما يقرب (٣٤٠) آية من آيات الكتاب العزيز البالغ عددها (٦٢٣٦)[3].

وقد تفنن المنافقون في صور إيذاء النبي ﷺ والإساءة إليه أذكر منها ما يأتي:

أولاً: إساءة الأدب مع النبيﷺ في القول والفعل :

لا يجد المنافقون فرصة للنيل من النبي ﷺ والمسلمين إلا استغلوها، وذلك لعدم إيمانهم وتصديقهم بنبوته، حتى لا يستطيعون إخفاء ذلك أحياناً، وكأن قلوبهم تلفظ سم نفاقهم ، فتبدي بعض كراهتهم للإسلام ونبيه ﷺ، من خلال إساءة الأدب وعدم الاحترام، والتلفظ بألفاظ لا تليق، والإتيان بحركات تشبه حركات الكفار، وأمثلة ذلك من حياتهم مع النبي ﷺ لا تخفى. ومن ذلك ما ورد عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ أَخْبَرَهُ أ"نَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَافٍ عَلَى قَطِيفَةٍ

---

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢، ص١٠٦-١١١، السهيلي، الروض الأنِف، ج٢، ص٣٧٦-٣٨١.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٤٧.

[3] الدوسري، عبد الرحمن، النفاق آثاره ومفهومه، مكتبة دار الأرقم، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص١١٥.

فَدَكِيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللهِ، وَفِي الْمَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ قَالَ : لا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَوَقَفَ وَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ: يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ فَاغْشَنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى سَكَتُوا، فَرَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ: أَيْ سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ- يُرِيدُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ - ؟ قَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ، فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ، وَلَقَدِ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ، فَلَمَّا رَدَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ)[1].

فهذا عبد الله بن سلول الذي ما فتر عن إيذاء النبي ﷺ ولا توقف، فهو يؤذيه بالكلام مرة، ويسيء إليه ﷺ ويحرجه أمام الناس مرة أخرى، مما يدل على عدم احترامه للنبيﷺ ، فهو يحاول التقليل من شأن النبيﷺ وإساءة الخطاب معه، وقد أمر الله –عزوجل– التأدب في الخطاب معهﷺ قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (النور: ٦٣)، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ

---

[1] البخاري، كتاب التفسير، سورة آل عمران، حديث ٤٢٩٠، و ٥٣٣٩، و ٥٨٥٤، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المشركين والمنافقين، حديث ١٧٩٨٠.

قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (الحجرات: ٢ – ٣)، وقال بعض العلماء في تفسير قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول...) أمرهم أن يدعوا: يا رسول الله، في لين وتواضع، ولا يقولوا: يا محمد، في تجهم، وفي آيات سورة الحجرات قال الطبري: (يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت رسول اللهﷺ تتجهموه بالكلام، وتغلظون له في الخطاب(وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) يقول: ولا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضا: يا محمد، يا محمد، يا نبيّ الله، يا نبيّ الله، يا رسول الله)[1]، وقال ابن كثير: (هذه آداب، أدَّب الله سبحانه وتعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام)[2]، فهذه الآيات أوجبت لين الخطاب والاحترام في خطاب النبيﷺ، وتوعَّدت من يُخالف ذلك بالعذاب الأليم وحبط العمل– عافانا الله عزوجل–، والمنافقون كانوا يخالفون أمر الله –تبارك وتعالى– في هذه الآيات، ويظهرون عدم الاحترام في الخطاب، والإساءة إليه ﷺ في ذلك.

* وفي قصة نقض يهود بني قينقاع العهدَ مع النبي ﷺ مثال آخر على عدم تأدب المنافقين معه ﷺ، فقد قاموا بإيذاء امرأة من المسلمين، فقام فانتصر لها رجل من المسلمين فقتله اليهود، فنبذ إليهم النبي ﷺ عهدهم بعد خيانتهم، ثم دعا المسلمين إلى قتالهم، فحاصرهم النبي ﷺ وبعدما نزل اليهود على حُكْمِ النبي ﷺ تقدم رأس المنافقين (عبد الله بن أبي سلول) وكان حليفاً ليهود بني قينقاع قبل الإسلام، فقال: (يا محمد أحسن في مواليّ، إنّي امرؤ أخشى الدوائر) فأبطأ عليه النبي ﷺ في الجواب، فقال: (يا محمد أحسن في مواليّ)، وأعادها فأدخل ابن سلول يده في جيب درع النبي ﷺ وجذبه بقوة، فقال له النبي ﷺ أرسلني، وغضب حتى رأوا لوجه النبي ﷺ ظللاً،

---

[1] الطبري، جامع البيان، ج٢٢، ص٢٧٣.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٣٦٤.

ثم قال لابن أبي: ويحك أرسلني، قال ابن أبي: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربعمائة حاسر..، فقال له النبيﷺ هم لك[1].

وفي موقف آخر سنة خمس للهجرة عندما بلغ النبي ﷺ أن بني المصطلق يجمعون الجموع لحربه، فخرج إليهم في سبعمائة من أصحابه، وفي الطريق نزل المسلمون على ماء ليستقوا، فازدحم جهجاه وسنان بن وَبَر الجُهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجُهَني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: (وقد فعلوها قد نافَرُونا وكاثَرُونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول:سمِّن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)[2].

فها هو يتكلم من جديد ويسئ إلى النبي ﷺ في أقذع الكلام، ويشتمه ويشتم الصحابة ويسئ إليهم- رضوان الله عليهم-.

* وفي صورة أخرى للإساءة إلى النبي ﷺ من المنافقين نجدهم يشتمونه ﷺ ويسخرون منه، ومن ذلك قولهم (هو أُذُن) يقصدون أنه يستمع لأي كلام ويصدقه، استهزاءً بهﷺ، فقد اخرج ابن إسحاق عن ابن عباس : " أن نبتل بن الحارث كان يأتي النبي ﷺ فيجلس إليه فيستمع منه، ثم يذهب نبتل فينقل حديثه إلى المنافقين، وهو الذي قال: (إنما محمد أذن، من حدثه شيئاً صدقه)[3] فانزل الله فيه:﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٤، البيهقي دلائل النبوة، ج٣، ص١٧٤-١٧٥،العمري، صحيح السيرة النبوية، ص٢٧٠، وقال:(إسناده صحيح وقد صرح بالتحديث وهو مرسل، وله شاهد آخر مرسل).

(2) البخاري، كتاب التفسير، سورة المنافقين، باب إذا جاءك المنافقون، حديث ٤٩٠٠، ٤٩٠١، مسلم، أول صفات المنافقين، حديث ٢٧٧٢، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص١٦٠، البيهقي، دلائل النبوة ،ج٤،ص٥٢ (والقصة من سياق ابن هشام والبيهقي وأصلها في الصحيحين).

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٠٧، الطبري، جامع البيان، ج٦، ص٤٠٥، والحديث إسناده ضعيف فيه إرسال.

لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة: ٦١)، فقد ذكر الله – عز وجل– أذاه للنبي ﷺ فيه، وانتقاصه منه، وتوعد له بالعذاب الأليم.

وقد ذكر ابن إسحاق أنّ مربع بن قيظي قال للنبي ﷺ عندما أراد أن يمر من عند حائطه في غزوة أحد: (لا أحل لك يا محمد إن كنت نبياً أن تمر من حائطي، وأخذ في يده حفنة من تراب، ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: (دعوه؛ فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصيرة، فضربه سعد بن زيد– اخو بني عبد الأشهل– بالقوس فشجعه)[١].

ثانيا: الحرب النفسية.

استخدم المنافقون شتى أساليب الحرب النفسية لإضعاف عزم النبيﷺ والمسلمين، وقد استخدموا أشد أنواع الحرب النفسية للنبي ﷺ ومن ذلك ما حصل في حادثة الإفك، وهي حادثة معروفة، كانت فتنة بين المسلمين، عصم الله منها الصالحين، ووقع فيها بعض المسلمين، علماً أن مصدرها كان من المنافقين، وكانوا خاضوا في عِرْض النبي ﷺ وفي زوجه عائشة بنت أبي بكر– رضي الله عنهما– ،وكان الذي تولى إشاعة هذا الإفك عبد الله بن أبي بن سلول، فأنزل الله عز وجل براءتها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، وكان من قول النبي ﷺ في الحادثة بعد أن قام خطيباً فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ :(مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيْرًا)[٢].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص١٧، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د.ط، د.ت، ج٣، ص٢٣٩، والقصة ذكرها ابن إسحاق دون إسناد.

(٢) البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، حديث٣٩١٠، مسلم، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، حديث ٢٧٦٩.

فهذه الواقعة كان لها اثرٌ عظيمٌ من الإيذاء والإساءة إلى النبي ﷺ ، حتى قال: (من يعذرني من رجل بلغني أذاه..) وأنزل الله عز وجل في ذلك قرآناً يتلى، وكف السنة الناس عن نبيهﷺ، وعن عرضه ﷺ، وتوعد من قالها بالعذاب[1].

وقد سبق ذِكر أسماء المنافقين، فنكتفي بذكر هذه الصور من إيذاء المنافقين وإساءتهم للنبي ﷺ[2].

المبحث الثاني: دوافع الإساءة إلى النبي ﷺ

لم تكن دوافع المسيئين إلى النبيﷺ واحدة، وإن كان هناك ثمَّة اشتراك في بعضها من حيث الأهداف والوسائل، ولم تكن هذه الدوافع فكريةً خالصةً تستمد مقوماتها من القيم العقلية، والحقائق التاريخية، والظواهر الاجتماعية، وإنَّما كانت دوافع شخصية تلعب فيها الرغبات والمطامع، وتلعب فيها الأهواء والشهوات الدور الأكبر، فخلُص منها أساليب شتى من أساليب الإساءة والإيذاء، وفي هذا المبحث سوف نقف –إنْ شاء الله تعالى– حول هذه الدوافع للإساءة للنبيﷺ .

المطلب الأول: الحسد.

أعمى الحسدُ كثيراً من القلوب قديماً وحديثاً، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذا الأمر قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٠٩)، وقد ذكر الطبري أن هذه الآية نزلت في شأن اليهود، واختُلف في تعيين الشخص، فذكر

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٤٣٥، النووي، المنهاج شرح مسلم، ج١٧، ص١٠٣.

(٢) انظر:ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٠٦-١١١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٢٣٨-٢٤١، الميداني، ظاهرة النفاق، ص٥١١-٥٣٠.

أنَّها نزلت في شأن كعب بن الأشرف، أو في حيي بن أخطب وأخيه أبي ياسر، ولم يرجِّح شيئاً، إلا أنه رجّح أنها نزلت في صيغة الجمع وليس المفرد[1]، ورجَّح ابنُ كثير أنها نزلت في شأن حيي وأخيه[2]، والراجح –والله أعلم– أنها نزلت في حيي أخيه لأن الصيغة جاءت بصيغة الجمع وليس المفرد، وفي العموم فإنّ العِبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وقد ذكر الله –سبحانه وتعالى– ما يوجد في صدور كثير من أهل الكتاب وخاصة اليهود كما أخبر –تبارك وتعالى– عنهم أنّهم أشدّ النّاس عداوة للذين آمنوا، وهذا ينطبق على القديم والحديث، فالعقيدة واحدة، والأسباب والوسائل تتشابه فهم يحسدون النبي ﷺ على النبوة والاصطفاء، ويحسدون المؤمنين على عقيدتهم واصطفائهم.

ومما يستخلص من هذه الآية ما يأتي :

١. أنّ هذا الحسد كان من أصل نفوسهم، وهو سبب صدّهم عن الحق.

٢. أنّهم لم يكتفوا بعدم إيمانهم بهذا الحق، بل ودّوا لو ردوا غيرهم عنه، حتى يتساوى الجميع في الإعراض عن الحق.

٣. في الآية بيان لحال الأعداء وفضح لخططهم، فإنهم يخططون في الباطن وينصحون في الظاهر، ولكن كل ذلك مبعثه الحسد والحقد.

٤. أن هذا الحسد ليس سِمَة الجميع من أهل الكتاب، وإنما كثيرٌ منهم يتصف به، فبعضهم بقي على تديُّنِه وأخلاقه، مما يشير إلى أنَّ المسلمين يمكن أن يستغلوا هذا الأمر من

---

[1] الطبري، جامع البيان، ج٢، ص٤٩٨.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٣٨٢.

خلال كسب تأييدهم، وهو ما أشار إليه النبيﷺ بقوله: (إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ)[1].

ومن المهم أنْ يُعلم أنَّ اليهود كانوا يعرفون رسول الله ﷺ كما يعرفون أبناءهم، وكانوا يترقبون خروجه بين وقت وآخر، ولكنَّهم كانوا يظنون أنّه سوف يكون منهم، لذلك كانوا يتوعدون العرب بهذا النبي ﷺ، فلما ظهر وعرفوا أنَّه ليس منهم حسدوه وآذوه[2].

وهذا تصديق قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٨٩).

وتبييت العداوة من بعضهم له ﷺ ظهر في كلامهم كما حدثت صفية بنت حيي بن أخطب: "كنت أحبّ ولد أبي إليه، والى عمي أبي ياسر، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة غدوا عليه، ثم جاء من العشي، فسمعت عمّي يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم، والله! قال: أتعرفه وتثبته، قال: نعم، قال: فما في نفسك منه قال: عداوته والله ما بقيت"[3].

وفي حسد كفار قريش للنبي ﷺ أمثلة كثيرة، منها: قصة فرعون هذه الأمة أبي جهل ، – وكان رسول الله قد لقَّبه بهذا اللقب كما في غزوة بدر –[4]، فلقد شرق بدعوة رسول الله ﷺ، وبرز الحسد من خلال كلامه، وهذا الموقف الذي سنذكره يبين ذلك بوضوح، إذ يقول: (تنازعنا نحن وبنو

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسِيَر، باب إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، حديث٢٨٩٧.

[2] السيد، محمد بن مصطفى، الإتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن، المنتدى الإسلامي، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م، ص٣١٠.

[3] انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٠٦، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، د. ط، د. ت، ص١٩.

[4] ابن حنبل، المسند، حديث ٣٨٢٤ و ٤٢٤٦ و٤٢٤٧ ،البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، المسند، تحقيق: محفوظ الرحمن زين لله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، بدأت ١٩٨٨م وانتهت ٢٠٠٩م، حديث١٨٦١، الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، المسند، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٩م، حديث٣٢٦، والحديث من رواية عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه– وهو حسن بطرقه.

عبد مناف الشرفَ: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذَيْنا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذا؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه)[1].

فما الذي منعه من الإيمان بمحمد ﷺ ؟ إنَّه الحسد؛ (هو الحسد أن يكون محمد ﷺ قد بلغ إلى ما لا مطمع فيه لطامع، وهو السر في قول من كانوا يقولون: (أؤنزل عليه الذكر من بيننا)[2].

وكذلك قصة رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول: أخرجها الشيخان من حديث أسامة ابن زيد- رضي الله عنه- قصة تحكي تعرض عبد الله بن أبي بن سلول لرسول الله ﷺ وإيذائه له، فذكر رسول الله ﷺ ذلك لسعد بن عبادة، فقال سعد: (يا رسول الله! اعف عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك! لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبونه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله، شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ)[3].

والحاصل من الحديث أن رأس النفاق هذا كان سيسود على أهل المدينة، وهذا معنى (فيعصِّبونه بالعصابة)، وعند ابن إسحاق: (لقد جاءنا الله بك وإنَّا لنَنْظُم له الخَرَزَ لنتوِّجَه)[4]،

فلما جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة واتَّبعه الناس حسده هذا الرجل، ولذلك فقد أظهر الإيمان والرحمة وأبطن الكفر والعذاب، وما دفعه إلى ذلك إلا الحسد، ويؤخذ ذلك من قول سعد-

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣٢٩، ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن كثيرة، السيرة النبوية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٦هـ-١٩٧١م، ص٥٠٦، (شرق :غصَّ) ابن الأثير ، النهاية،ج١،ص٨٦١، مادة شَرَق.

(٢) قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص٣٠١٢.

(٣) البخاري ومسلم، سبق تخريجه.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص٢٣٢.

رضي الله عنه-: (شَرَقَ بها)؛ أي كأنه غصَّ بالشيء من باب الحسد والكبر والحقد بسبب ما حصل لجاهه وما يريد.

فهذه بعض الأمثلة التي توزعت بين أهل الكفر والنفاق التي تؤصل لمسألة الحقد والحسد للنبي ﷺ، اقتصرنا عليها لبيان أصل المسألة، فلا غرابة عندما نسمع البابا بينيدكت السادس عشر يهاجم النبي ﷺ[1]، فالحقد والحسد متجذِّر في قلوبهم ، فتجد كثيراً من الناس لم يمنعهم من الإيمان بدعوة النبي ﷺ إلا الحسد، ولسان حالهم يقول: (أهؤلاء منَّ الله عليهم مِن بيننا)! كيف يكون ذلك الشخص نبياً ونحن أكثر مالاً منه وأعظم جاهاً ومكانة! فهذه الأمور دعت هؤلاء إلى إيذاء النبي ﷺ بشتى صنوف المكايد والإساءة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنفال: ٣٠).

المطلب الثاني: الخوف من انتشار الإسلام وإرادة الهيمنة على البلاد الإسلامية.

لقد حورب الإسلام ونبيه ﷺ منذ بداية ظهوره من شتى النواحي وبشتى الوسائل، فكما أخبر بحيرى الراهب أبا طالب عندما رأى النبي ﷺ بما سيلقى هذا النبيﷺ وما سيدعو له قال: (فَارْجِعْ بِابْنِ أَخِيك إِلَى بَلَدِهِ، وَاحْذَرْ عَلَيْهِ يَهُودَ، فَوَاللّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْت لِيَبْغُنّهُ شَرّا، فَإِنّهُ كَائِنٌ لَابْن أَخِيك هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ، فَأَسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلَادِهِ)[2]، وكما أخبر ورقة بن نوفل :(يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ

---

(١) ألقى البابا بنيدكت محاضرة في إحدى الجامعات في ألمانيا في تاريخ ٢٠٠٦/٩/١٢م، خفاجي، باسم، لماذا يكرهونه: الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام، المركز العربي للدراسات الإنسانية، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص١٠.

(٢) الترمذي، السنن، كتاب المناقب، باب بدء النبوة، حديث ٣٦٢٠، ابن إسحاق، السيرة النبوية، ج١، ص١٩، البيهقي، دلائل النبوة ،ج١ ، ص٥٠، وقصة بحيرى الراهب في ثبوتها اختلاف بين العلماء؛ فقد ضعَّفها الذهبي وأنكرها، والصحيح أن أصلها ثابت دون ذِكر أبي بكر وبلال فيها، وقد جمع أكرم ضياء العمري أسانيد القصة وقوَّاها، السيرة النبوية الصحيحة،ج١، ص١٠٦-ص١١١.

رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّراً)[1]، فهذه كانت بداية الإرهاصات لتلك الحرب التي سوف يلاقيها النبي ﷺ من قومه ومن الجهات الأخرى، فهذا هو حال الناس مع الدعوات الجديدة التي تخالف أهواءهم وإنْ كانت على حق، قال تعالى : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٦-٧٧). وقد ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في الآية، فنقل عن بعضهم أنَّ الذين كادوا ليستفزونهم اليهود، ونقل عن قتادة ومجاهد أنهم قريش، ثم رجَّح أنّ المقصود في الآية قريشاً[2]، وكذا فعل ابن كثير[3].

وما هذه الحروب التي شنَّها الكفار وأهل الكتاب والمنافقون وكلُّ أهل زمانه ﷺ إلا دليلاً على تلك العداوة لهﷺ، وكلُّ هذا كان يحصل مع الأنبياء من قبله ﷺ؛ قال تعالى:﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (فصلت : ٤٣) قال ابنُ كثير: (قال قتادة، والسدي، وغيرهما: ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك، فكما قد كذبت فقد كذبوا، وكما صبروا على أذى قومهم لهم، فاصبر أنت على أذى قومك لك، وهذا اختيار ابن جرير)[4].

وإنّ طرائق الكفر والنفاق في محاربة النبي ﷺ ومحاربة الإسلام وأهله هي هي، وإن اختلفت الأدوات وتنوعت الوسائل، إلا أنّ الأصول ثابتة، فقد مرَّ معنا أساليب المسيئين إلى النبيﷺ ووسائلهم في محاربتهﷺ ومحاربة دعوته، ويظهر ذلك جلياً في حرب اليهود والمستشرقين،

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب سورة العلق، حديث٤٦٧٠، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي، حديث١٦٠، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٧٤، البيهقي، دلائل النبوة، ج٢ ، ص١٤٢.

(٢) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن،ج١٥،ص٢٠ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ،ص١١٧ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٧ ،ص١٧٣ .

كما قال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة: ١٢٠)، فهم يحاربون النبيﷺ دائماً في كل زمان ومكان، ولن يرضوا عنهﷺ ولا عن أتباعه حتى يتركوا الإسلام ويتبعوا دينهم، وقد رأينا مدى سوء أساليبهم في زمنهﷺ، وبعد عهد النبي ﷺ وعلى مدى التاريخ الإسلامي كان هَمُّ أهلِ الكفر والنفاق هو القضاء على الإسلام والمسلمين.

ففي غزو التتار لبلاد الإسلام والمسلمين في أواخر القرن الثاني عشر بقيادة "جنكيزخان" ظهر ذلك من خلال أفعالهم الهمجية، وأنَّهم ما جاؤوا إلا للقضاء على الإسلام وانتشاره.

ذكر ابنُ كثير في أحداث سنة ٦٥٦ وقال: (وقد اختلف الناس في كمية من قتل في بغداد من المسلمين في هذه الواقعة، فقيل: ثمانمائة ألف، وقيل: ألف ألف وثمانمائة ألف، وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس، ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها: ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر، فتغيرت صورهم، وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد، حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والغناء والطعن والطاعون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولما نودي ببغداد الأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقِنى والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضاً، فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى، واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى[1]، فما هذه الصورة القاتمة المؤلمة لمحاربة الإسلام إلا دليل على معاداة الإسلام بكل صور الهمجية والقضاء على أهله.

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٢٣٧.

وقد سار بعدهم أهل الصليب للقضاء على الإسلام، ويتجلى ذلك الهدف في بداية الحملات الصليبية، عدا عن محاولات الروم في عهد النبي ﷺ وعهد الصحابة للقضاء على الإسلام، التي كانت بدايتها في السابع والعشرين من شهر نوفمبر ١٠٩٥م، وبعد الخطبة الحماسية التي ألقاها البابا (أوربان الثاني)، ودعا فيها إلى شنِّ حملة ضد المسلمين تحت راية الصليب، بزعم تخليص واسترداد بيت المقدس، وقد جسد الهدف الأعلى لتلك الحملات قول غاردند: "إنَّ الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس، إنما كانت لتدمير الإسلام"[١].

وها هم ينشدون حين كانوا يلبسون بزاتهم العسكرية عند ذهابهم إلى ليبيا في زمن الاستعمار الايطالي: "أماه.... لا تبكي... أتمي صلاتك لا تبكي.. بل أضحكي وتأملي.. أنا ذاهب إلى طرابلس... فرحاً وسروراً... سأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة.. سأحارب الديانة الإسلامية.. سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن[٢].

وفي هذا الصدد كتب الدكتور سعد الدين السيد صالح كتاباً أسماه: "**احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام**"، تحدث فيه عن الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام والقضاء عليه فذكر أربعة عشر أسلوباً؛ من أهمها: التبشير الصليبي والتنصير، والاستشراق، ثم تكوين الفرق الهدامة المدعية للإسلام: كالبهائية والقاديانية، ثم الاستعمار الاقتصادي، والقروض، ثم إثارة الفتن الطائفية في العالم الإسلامي، كما يحصل في لبنان ومصر، وكان هذا حال اليهود، وبين الباحث في كتابه كل أسلوب وأهدافه وقوته وأثره على المجتمع الإسلامي، وعندما تحدث عن التبشير ذكر عدداً من أهداف التبشير، ذكر منها:

---

(١) التل، عبد الله، جذور البلاء، دار الإرشاد، عمان، د. ط، ١٩٧٠م، ص٢٠١.

(٢) العالم، جلال، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، دار السلام، مصر، د.ط، ١٩٩٨، ص٩-١٠.

١. القضاء على الإسلام في نفوس المسلمين، كما قال المبشر الأمريكي (زويمر) في مؤتمر القدس عام ١٩٥٢م: "أيها الأبطال والزملاء الذين كتب لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد المسلمين.. مهمتهم ليست إدخال المسلمين في المسيحية، فإن هذا هداية وتكريم لهم، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله"[١].

٢. القضاء على وحدة العالم الإسلامي، كما فعل زويمر نفسه عندما انْدَسَّ بين طلبة الأزهريين بلباس طلبة العلم؛ ليوزع منشورات توقع الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط، وقد أثارت هذه الحادثة ضجة كبيرة في الصحافة المصرية سنة ١٩١٩م[٢]، وكذلك كان يفعل المبشر المستشرق (هنري لامانس) في الشام[٣]، لأنه كان يرى أنّ الإسلام هو الحاجز الذي حال دون انتشار عقيدة المسيحية في ربوع الأرض[٤].

٣. محاولة وقف انتشار الإسلام، فلقد هال النصارى أن ينتشر الإسلام في بلادهم، ولهذا نبههم لويس التاسع سابقاً حين قال: (لا بد من تجنيد المبشرين لمحاربة الإسلام ووقف انتشاره)[٥]. ثم ذكر غيرها من الأهداف، ثم جاء على ذكر هذه الوسائل من استخدام الطب والمستشفيات، وأعمال الخير والجمعيات والنوادي، واستخدام الطلبة وعامة الناس، ثم الصحافة والإعلام مثل صحيفة (بشائر الإسلام) و (الشرق والغرب) اللتان كانتا تصدران في مصر، ثم المدارس والجامعات؛ وفي هذا الصدد يذكر أنّه كان في سوريا

---

(١) صالح، سعد الدين السيد، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة الصحابة،الشارقة،ط٢، ١٩٩٢م، ص٥٠-٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص٥١.

(٣) صالح،المصدر نفسه، ص٥١،جمعة، سعد، الله أو الدمار، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٠٠م، ص٦٩.

(٤) أحذروا الأساليب الحديثة، ص٥٢.

(٥) العالِم، قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام، ص٦٢.

وحدها قرابة مائة وأربع وسبعون مدرسة (١٧٤ مدرسة) منتشرة في المدن والقرى[١]. وكان من نتائجهم على سبيل المثال: أنّه نجح المبشرون في تنصير أربعة أخماس الفلبينيين، وقد محوا المعالم الإسلامية في سنغافورة، وهناك خطة موضوعة لإزالة الإسلام من افريقية[٢].

وذكر الميداني عندما تحدث عن أجنحة المكر الثلاثة ضد الإسلام وأهله ونبيهﷺ (التبشير، الاستشراق، الاستعمار): " أنَّ هذه الأجنحة التقت على محاربة الإسلام وتعاليمه، ثم بالحرب الصليبية، ثم بالغزو العسكري، ثم الغزو الفكري والإستشراق، وغيرها من الأساليب الحاقدة"[٣]. ثم محاولاتهم في الإعلام وشتى الوسائل لمهاجمة النبي ﷺ وتشويه صورة الإسلام والحد من انتشاره، ثم السيطرة على البلاد الإسلامية، ولكنَّ الله تعالى يأبى إلا أن يتمَّ نوره، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٢-٣٣).

المطلب الثالث: إنكار نبوة النبي ﷺ وعدم تصديقها.

لقد بعث الله عز وجل محمداً ﷺ للناس كافة بشيراً ونذيراً، وبشر به في الكتب السابقة، بل وأخذ الميثاق والعهد من النبيين أَنْ بعث فيهم هذا النبي أن يؤمنوا به وأن ينصروه وأشهدهم على ذلك واخذ عليهم العهد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ

---

[١] صالح، احذروا الأساليب الجديدة، ص٧١-٨٤، بتصرف.

[٢] شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص٢٦٠.

[٣] الميداني، عبد الرحمن حسن، أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم، دمشق، ط٩، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ص١٩٤-١٩٥، بتصرف.

فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ (آل عمـــــران: ٨١-٨٢).

قال القرطبي: (فأخذ الله ميثاق النبيين أجمعين أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وينصروه إن أدركوه، وأمرهم أن يأخذوا بذلك الميثاق على أممهم)[١].

فالله -عز وجل- أمر الأنبياء بالإيمان بمحمد ﷺ ونصرته إنْ أدركوه، ثم أمرهم أن يخبروا قومهم بصفاته ونعوته، ثم الإيمان به، وهذا ما حصل؛ فإنَّ الكتب المقدسة حتى المحرفة منها تذكر النبي ﷺ وتبشر به، ولقد آمن بالنبي ﷺ في عهده بعض الأحبار والرهبان، وكان من أكبر الأحبار الذين آمنوا به عبد الله بن سلَّام- رضي الله عنه-، ومن قبله ورقة بن نوفل الذي كان يقرأ الكتب المقدسة وعنده علم الكتاب، فقد بشره بأنَّه النبيﷺ عندما قصَّ عليه ما حصل معه في غار حِراء ونزول الوحي، روى الشيخان عن عائشة- رضي الله عنها- في حديث بَدءِ الوحي، وفي الحديث قال ورقة بن نوفل: (هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ "، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا)[٢].

وفي قصة إسلام عبد الله بن سلام- رضي الله عنه- دليل آخر على علم أهل الكتاب ببعثة النبي ﷺ ، وقد شهد له اليهود في المدينة أنَّه أعلمهم وابن أعلمهم، فعن أنس -رضي الله عنه- قال: (بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي..)[٣].

---

[١] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص١٢٥.

[٢] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان الوحي، حديث ٣، والناموس: صاحب السر وهو جبريل عليه السلام، وجذعاً: الشاب.

[٣] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) حديث ٣١٥١.

وفي هذا الموقف يتبين مدى حقد اليهود وحسدهم للنبي ﷺ لأنه لم يكن منهم، فقد ذكر الله –عز وجل– في كتابه أنَّ أهل الكتاب كانوا ينتظرون مبعث النبي ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩).

فهذه الآية تبين أنَّ من له صلة بالكتب السماوية السابقة كان يعلم بأنَّه سوف يبعث نبيٌّ، وكانوا يرتقبون ظهوره، وقد أسلم بعض من علمائهم وكان منهم عبد الله بن سلام– كما رأينا– ، وأعلن إسلامه بمجرد التأكد من صفته وسؤاله.

وكذلك قصة سلمان الفارسي كما يذكرها أصحاب السِيَر وتنقله من بلد إلى آخر لتتبع خبر النبي الذي سوف يبعث، ولقبه (الباحث عن الحقيقة)، وكان في ديانة أهل فارس (وكانوا يعبدون النار)، ثم دخل النصرانية، حتى دلَّه آخرهم أنْ يترقب نبياً كاد أن يُبعث في أرض العرب، وذلك سبب مجيء سلمان –رضي الله عنه– إلى أرض العرب وسكناه فيها[1].

وكذلك قصة أبي سفيان– رضي الله عنه– عندما استدعاه هرقل في بلاد الشام إذ قال هرقل في آخر الحديث: (وقد كنت أعلم أنه خارج نبي ولم أكن أظن أنه منكم)[2].

ويمكن عرض معاييرهم وشبهاتهم من خلال سياق القرآن لها، والرد عليها في زمنه ﷺ، ثم ذكر أقوال أهل عصرنا إن اختلفوا في شبهاتهم، وبعدها أذكر البشارات والأدلة في الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد):

---

(١) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م، ص٣٢٨، وابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٤٦٢.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان الوحي، حديث ٧، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ الى هرقل، حديث ١٧٧٣.

أولاً: كان هناك الرأي الذاهب إلى أنَّ رسول الله ﷺ لا يمكن أن يكون من البشر، وهذا ما قاله مشركو مكة، وبرأيهم كان يجب أن يأتي ملك من الملائكة أو روح خفية، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الشبهة في آيات عديدة، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام: ٩١) وقال تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء: ٩٤)، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧-٨)، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنعام: ٩)، ويقول الرازي مفسراً لقوله تعالى (وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) : (الظاهر أنَّ هذه الشبهة وهي قولهم: الله أعلى وأجل من أن يكون رسوله واحداً من البشر، إنما تمسك بها كفار مكة، ثم إنهم كانوا مقرين بأنّ اليهود والنصارى أصحاب العلوم والكتب فأمرهم اللّه بأن يرجعوا في هذه المسألة إلى اليهود والنصارى ليبينوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها، فإنَّ اليهودي أو النصراني لا بد لهما من تزييف هذه الشبهة وبيان سقوطها)[1].

ويتضح من رأي الرازي أنه ليس من المعقول أن تكون هذه الشبهة من أقوال اليهود والنصارى، أو من تسريباتهم لمشركي مكة ودسائسهم، وأنَّ أهل الذكر من اليهود والنصارى لا يستطيعون التسليم بها.

---

[1] الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج٢٢، ص١٢٥.

ويرى الشهرستاني أنَّ هذه الشبهة هي من آراء الصابئة ونُقولاتهم، ولعلها وصلت إلى مشركي مكة والجزيرة العربية عن طريق فارس، ثم اعتمد عليها مشركو مكة[1].

ثانياً: ذهب بعض المشركين وأهل الكتاب إلى أنَّ رسول الله ﷺ إلى الناس يكون من البشر، ولكن يلزم بأن يكون مؤيداً من الله بخارق للعادة؛ أي بمعجزة، وقد قص الله –عز وجل– علينا ذلك في عدة آيات ورد عليهم في أقوالهم وبين فساد رأيهم، وأخبر النبي ﷺ أنَّ هؤلاء الذين يقولون ذلك هم من اليهود ومن يشبههم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (البقرة: ١١٨)، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ (الإسراء: ٩٠–٩٣) ، وقد ذكر ابن جرير قصةً في حوار مشركي مكة للنبي ﷺ في هذه الأمور[2].

وقال تعالى في آية أخرى:﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ (البقرة: ٢١٠)، وقال: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴾ (النساء: ١٥٣) ويتضح أن الرأي الأخير هو من اليهود في الجزيرة العربية، وهي ظاهرة في أنَّ الذين يسألونه من نسل الذين سألوا موسى –عليه

---

(١) الشهرستاني، محمد عبد الكريم، الملك والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص٥.

(٢) انظر: الطبري، جامع البيان، ج١٧، ص٥٤٩.

الصلاة والسلام- من قبل ذلك، ثم جاء أهل الشرك، فطلبوا من النبي ﷺ مثل ما طلب بنو إسرائيل من موسى عليه السلام- من الخوارق أو المعجزات.

وفي هذه الشبهة من إنكار لنبوة النبي ﷺ يتضح لنا اتفاق المخالفين فيها، وقد أجاب الله - عز وجل- عن ذلك بكثير من الأدلة في الآيات، ووبَّخهم كما مر في الآيات السابقة، ثم بين لهم أنَّ هذا القرآن من أكبر المعجزات فتحداهم به، وهم أهل البيان والفصاحة.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال النبي ﷺ: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) [1].

وقد ذكر ابن حجر لهذا الحديث معان، وكلها لائقة به: أنّ القرآن هو المعجزة التي تحدى بها الرسول ﷺ العرب والعجم، وهي خاصة به، وليس المراد أنّه يؤت غيرها، ومنها أنّ هذا القرآن ليس به مثل، بخلاف غيره من المعجزات، ومنها أنّ كل نبي قبله يأتي بمعجزة، إنّما يكون مثلها حصل لغيره من الأنبياء عليهم السلام، أما النبي ﷺ فلم يؤت غيره مثله، ومنها أنّ معجزات الأنبياء- عليهم السلام- انقرضت بانقراض أعصارهم، أما معجزة القرآن فهي باقية ودائمة ثم ذكر أقوالاً أخرى وعقب بقوله- رحمه الله- (ويمكن نظم هذه الأقوال كلها في كلام وأحد فإن محصلها لا ينافي بعضه بعضاً) [2].

وقد تحداهم الله -عز وجل- بأن يأتوا بمثل هذا القرآن المعجز فقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (البقرة: ٢٣-٢٤) ففي الآية

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي، حديث ٤٦٩٦، مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبياً ﷺ محمد، حديث ٢٣٩.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ج٨، ص٦٢٣.

تحدٍّ لهم في الماضي، وتحدٍّ في المستقبل (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا)، فهو يخبرهم عن عجزهم وعجز غيرهم حتى في المستقبل على مر العصور[1].

ثم تحداهم بعشر سور من مثله، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (هود: ١٣-١٤) ثم تحداهم بسورة واحدة (وإن كانت قصيرة في كلماتها) فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣).

ففي هذه الآيات وغيرها كان التحدي ظاهراً جلياً، وفي آيات أخرى كان هناك تحدٍ ضمني، وقد ذكر العلماء وجوه الإعجاز والتحدي في القرآن الكريم وصور ذلك؛ نذكر منها [2]: إعجازه من حيث البلاغة والبيان، وعجيب التأليف وفي ذلك تفصيل ومنها ما اشتمل عليه من الإخبار بأمور الغيب مما لا يمكن لبشر الإطلاع عليه، مثل غلب الروم وهزيمتهم ثم انتصارهم، ومن وجوه إعجازه أيضاً إخباره عن الأمم البائدة، وقصصهم مما لا يمكن العلم به، ولا يوجد منه إلا أخبار يسيرة عند بعض العلماء أهل الكتاب على ما فيها من تحريف ونقص، ثم منها إخباره عن مكنونات الضمائر للمخاطبين في عصره ﷺ وفضحهم كما في أخبار المنافقين وأهل الكتاب وأحوالهم، ومنها

---

(١) كما في سورة يونس (٤٢-٤٣)، والرعد (٣١)، والعنكبوت (٥١)، الحشر (٢١)، انظر: القحطاني، قذلة بنت محمد، الحق الواضح المبين في الذب عن عرض الصادق الأمين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص١٤-١٧ بتصرف.

(٢) انظر: الباقلاني، ابو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: سيد أحمد صقر، دار المعارف القاهرة، د.ط، د.ت ، ص٥٧-٦٦، الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٣٩١هـ، ج٢، ص٩٠-١١٧، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص٢٥٢-٢٧٠، دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، دار القلم، القاهرة، ط١٠، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص١٠٦-٢١١.

المهابة والخشية التي تلحق القلوب عند تلاوته وتأثيره في النفوس، ومنها حفظ الله له، فلا تمسُّه الأيدي في التحريف والتبديل، وأخيراً إعجازه العلمي من خلال ذكر الظواهر الكونية والتأمل في الإنسان وهذا الكون، وحثه على التفكير في خلق الله.

وفي هذا يقول موريس بوكاي: (لقد أذهلتني حقاً بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظواهر، وهي تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا في النص الأصلي، أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظواهر والتي لم يكن ممكناً لأي إنسان في عصر محمد أن يكون عنها أدنى فكرة) [١].

وهكذا ترى أنَّ إعجاز القرآن جاءَ وأسْكتَ الأفواهَ لكل الأطراف المتنازعة في تحديه والإتيان بمثله.

أما آياته ومعجزاته ﷺ المادية غير القرآن الكريم فهي كثيرة، وقد أُفردت فيها المصنفات الكثيرة، ومن ذلك: انشقاق القمر، وتكثير الطعام القليل، وانقياد الشجر وشهادته على نبوة ﷺ، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى في كفه الشريفة، ونبع الماء من بين أصابعه، وغيرها كثير، بل إنَّ بعض العلماء قال: إنَّ الرسول ﷺ قد أوتي من الفضائل والمعجزات ما أعطيه جميع الأنبياء[٢].

وقال ابن حجر –رحمه الله–: "ذكر النووي في مقدمة مسلم أنَّ معجزات النبي ﷺ تزيد على ألف ومائتين، وقال البيهقي في المدخل: بلغت ألفاً، وقيل: ثلاثة آلاف"[٣].

ثالثاً: الرأي الذاهب إلى أنَّ الرسول لا بدَّ أن يكون من بني إسرائيل، وأن يكون مصدقاً للتوراة.

---

(١) بوكاي، موريس، دراسة ل الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص١٤٤–١٤٥.

(٢) انظر: الأصبهاني، إسماعيل بن محمد، دلائل النبوة، تحقيق: محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ط١، عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج١، ص٣٤٤–٣٩٩، ١٤٠٩، ص٣٣–٥٣.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص٦٧٤.

ذكر القرآن الكريم بأنَّ هذا الرأي رأي أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النساء: ٤٤). وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٨٩)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الحديد: ٢٨-٢٩).

قال الرازي في هذا المقام: "فأعلم أنه لا بد هنا من تقديم مقدمة وهي: أنَّ أهل الكتاب، وهم بنو إسرائيل، كانوا يقولون: الوحي والرسالة فينا، والكتاب والشرع ليس إلا لنا، والله تعالى خصنا بهذه الفضيلة العظيمة من بين الجميع، إذا عرفت هذا فنقول: أنه تعالى لما أمر أهل الكتاب بالإيمان بمحمد -عليه الصلاة والسلام- ووعدهم بالأجر العظيم على ذلك الإيمان، أتبعه بهذه الآية، والغرض منها أن يزيل عن قلبهم اعتقادهم بأن النبوة مختصة بهم، وغير حاصلة إلا في قومهم" [١].

والناظر إلى حسد اليهود وحقدهم يرى ذلك جلياً كما في قصة حيي بن أخطب وأخيه، وكذلك لا يوجد في العهدين القديم والجديد ما يدل على أنّ موسى أو عيسى- عليهما الصلاة والسلام – هما خاتم النبوة، أو بأحدهما تختم النبوات، بل قد ورد في التوراة والإنجيل نصوص تدل على البشارة بمحمد ﷺ وبخروجه من الجزيرة، وهذا ما كان يعرفه علماؤهم كما رأينا في قصة سلمان الفارسي- رضي الله عنه- وإخبار العالم له[٢].

---

[١] الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٩، ص٤٧٥.

[٢] ابن القيم، هداية الحيارى، ص٨، بتصرف.

نذكر من تلك البشارات في التوراة والإنجيل لبيان صدق نبوته ﷺ وإثباتها من خلال كتبهم، ومنها:

١. ما جاء في العهد القديم (التوراة): (جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبل فاران، واتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم)[١]. ومعنى مجيء الله من سيناء إنزاله التوراة على موسى من طور سيناء، وكذلك يكون إشراقه من ساعير إنزاله الانجيل على المسيح، وكان المسيح من ساعير – ارض الخليل بقرية تدعى الناصرة، وباسمها سمي سمي من اتبعه نصارى[٢]، وأما استعلانه من جبال فاران فالمراد به إنزاله القرآن على محمد ﷺ في جبال فاران، وهي مكة، وهذا ما يعتقده المسلمون وأهل الكتاب بلا خلاف في ذلك[٣].

وإثبات ذلك– أي أنّ النبيﷺ من مكة– ما جاء في سفر التكوين: (وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر)[٤].

ومعلوم قطعاً بأنَّ إسماعيل– عليه الصلاة والسلام– نشأ في مكة، وهذا دليل لا يستطيع رده معاند، فالتلألؤ من فاران يعني ظهور نبي من ولد إسماعيل في (فاران) جبل في مكة.

٢. ما جاء في سفر التثنية: (قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به)[٥].

---

(١) الكتاب المقدس، سفر التثنية، الاصحاح الثالث والثلاثون، الفقرة (٢).

(٢) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٢، ص٣٠٠.

(٣) المصدر السابق، الهندي– رحمة الله بن خليل الرحمن، إظهار الحق، دار الإفتاء والشؤون السعودية، الرياض، ط٣، ص١١٨–١٢٠.

(٤) سفر التكوين، الاصحاح الحادي والثلاثون، الفقرة ٢٠–٢١.

(٥) سفر التثنية، الاصحاح الثامن عشر، الفقرة (١٨–١٩).

وهذا النص فيه دلالة على أن النبي الآتي هو مثل موسى- عليه السلام- ولم يأت في بني إسرائيل مثل موسى، والنص على ذلك في سفر التثنية: (ولم يقم في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه، في جميع الآيات والعجائب التي أرسلها الرب ليعلمها في الأرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه)[١].

أما البِشارات في الإنجيل فأهمها:

- ما جاء في إنجيل يوحنا: (إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا اطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم)[٢].
- وفي إنجيل يوحنا أيضاً: (ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء)[٣]، وفي بعض النسخ بدل (المعزي) (الفارقليط) ومعناها المواسي والمحامي، وبعض النصارى يزعم تفسيرات باطلة، منها أن الأقانيم الثلاثة هي الأب، والابن والروح القدس، وهذا المعزي أتى هو الأقنوم الثالث[٤].

---

(١) سفر التثنية، الاصحاح الرابع والثلاثون، الفقرة (١٠-١١).

(٢) إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر، الفقرة (١٥-١٧).

(٣) إنجيل يوحنا، الإصحاح الخامس عشر، الفقرة (٢٦-٢٧).

(٤) داود، عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدس، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ط٣، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص٩٨-٩٩، ومؤلف هذا الكتاب هو بروفسور كان قسيساً وأسلم واسمه قبل الإسلام دافيد بنجامين كلداني يحمل شهادة الليسانس في علم اللاهوت، وهو من الطائفة الكاثوليكية، ولد عام ١٨٦٧م، توفي ١٩٠٤، انظر مقدمة المترجم فهمي شما.

وقد فصل العلماء كثيراً في البشارات بمحمد ﷺ وإثباتها من كتبهم حتى المحرفة منها، نكتفي بهذا القدر منها[1].

رابعاً: ومن الشبهات التي أثيرت سابقاً لإبطال النبوة، ثم تمسك بها المعاصرون من المستشرقين وغيرهم أنَّ ظاهرة الوحي نابعة من نفس محمد ﷺ وتصوراته.

قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ (الطور: ٣٣-٣٤).

وقد سار المشركون عليها ثم جاء في هذا الزمان المستشرقون وتمسكوا بها، يقول جولد تسيهر: (وكان قد بلغ الأربعين من عمره- يقصد النبي ﷺ- وأخذ يقضي وقته على ما تعود من الخلوة في الغيران المجاورة للمدينة حيث كان نسباً للأحلام القوية، والرؤى الدينية، ونملكه شعور بأنّ الله يدعوه بقوة تزداد شيئاً فشيئاً ليذهب إلى قومه منذراً إياهم بما يؤدي بهم ضلالهم من الخسران المبين) [2].

وهذه الشبهة من أوهى الشُبَه، فلو كان القرآن من عند النبي ﷺ لجاءوا بمثله، فبمجرد إتيانهم بمثله صدق قولهم، وقد تحداهم الله -عز وجل- كما رأينا بالإتيان بمثله أو سورة واحدة فعجزوا.

---

(١) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج٢، ص٣٠٠ وما بعدها بتفصيل، ابن القيم، هداية الحيارى، ص١٠٢ وما بعدها، الهندي، إظهار الحق، ج٤، ص١١٩١ وما بعدها في قسم إثبات نبوة النبي ﷺ والبشارات فيه، داود، محمد في الكتاب المقدس، ص٣٧ وما بعدها، حوى، سعيد، الرسول ﷺ، دار عمار بيروت، عمان، د.ط، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص٤٠٩ وما بعدها، وهذه الكتب كانت من أفضل الكتب التي وقفت عليها، في إثبات نبوة محمد ﷺ والبشارة فيه في التوراة والإنجيل ثم الرد على الشبهات فيها والتعريف ومقابلة النسخ، وخاصة كتاب (إظهار الحق) و (محمد في الكتاب المقدس)، والله أعلم.

(٢) تسهير، جولد، العقيدة والشريعة، تعريب محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة، مصر، ط٢، د. ت، ص٧.

ولو كان من عند النبي ﷺ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، فمهما وصل البشر إلى درجة الكمال فلا بد أن ترى فيه النقص والخطأ والنسيان، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢).

فقد أمر الله –عز وجل– قريش ومن بعدهم أن يتدبروا هذا القرآن، فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً، وكذلك لو كان من عند النبي ﷺ لنسبه لنفسه، وهو أعظم كتاب، وكذلك كانت تمرُّ عليه الحوادث والأسئلة فيتأخر عنه الوحي، ويغتر كما في سورة الضحى[١]، وقصة الإفك، فيتأخر عنه الوحي اليوم والشهر وربما أكثر، كذلك فإنَّ قارئه لا يمله، ولا يخلق على كثرة الترداد[٢].

خامساً: دعوى الأخذ من الديانات السابقة.

فقد زعم كثير من المستشرقين أنَّ هذا الوحي الإلهي تعلّمه رسولُنا ﷺ وأخذه من الديانات السابقة كاليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والوثنية، واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أوجه التشابه بين الإسلام وهذه الديانات، وكذلك وجود هذه الديانات في الجزيرة العربية، وأخيراً وجود علاقات شخصية بين النبي ﷺ وببعض النصارى كورقة بن نوفل، وبَحيرى الراهب وغيرها.

يقول جولد تسيهر عن النبي ﷺ: (لقد أفاد من تاريخ العهد القديم، وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء)[٣].

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، سورة الضحى، حديث٤٩٥٠، ٤٩٥١، ٤٩٨٣، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المنافقين والمشركين، حديث ١٧٩٧.

(٢) أنظر: الهندي، إظهار الحق، ج٣، ص٨١٩–٨٢٣، وقد أطال العلماء في بيان ذلك والرد عليه كالباقلاني في(إعجاز القرآن) ،وغيره.

(٣) تسيهر، العقيدة والشريعة، ص٩.

ويقول: (لقد كان فيما مضى يعترف بأنَّ الصوامع والبيع والصلوات تعتبر أمكنة عبادة حقيقية... لكن الأمر تغير بعد هذا، كما صار رهبان المسيحيين وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه، وقد كانوا أساتذة له) [1].

وفي الأخذ من الوثنية الجاهلية يقول تسيهر: (وفيما يتعلق بشعائر الحج التي نظمها، أو على الأحرى احتفظ بها من بين تقاليد الوثنية العربية) [2].

وهم يهدفون بذلك إلى أمرين:

أولاً: محاولة إثبات أن الإسلام ليس ديناً مستقلاً، وإنما هو مزيج من اليهودية والنصرانية، وهذا لا يكاد يغفله مستشرق.

ثانياً: الدعوة إلى النصرانية، وأنها الديانة السماوية الصحيحة[3].

لقد نفى الله عز وجل أن يكون هذا القرآن من عند البشر فقال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ (يونس: ٢)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (يونس: ٣٧-٣٨).

فهذا القرآن هو من عند الله عز وجل، وأيضاً يرتكز الرد في هذه الشبهة حول نفي أن يكون أخذ من علوم أهل الكتاب، فقد ثبت في السير أنَّ النبي ﷺ لم يرحل إلى الشام سوى مرتين،

---

(١) تسيهر، العقيدة والشريعة، ص١٣-١٤، وانظر، ص١٨.

(٢) المرجع السابق، ص٢٣.،

(٣) انظر: شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي في المعاصر، ص.

الأولى وهو طفل كما روى الترمذي عن أبي موسى- رضي الله عنه- قال: (خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ..)[1].

وكان عُمْر النبي ﷺ في هذه الرحلة تسع سنين، وفي الرحلة الثانية ذكرها ابن جرير وغيره بسنده[2]، فالناظر إلى القصتين يرى أنَّ النبي ﷺ ذهب في المرة الأولى وهو صغير، وهو لا يفقه شيئاً من أمور أهل الكتاب، وكذلك لو وقع شيء من الحديث في العلم بين النبي ﷺ لنقله من كان معه واستفاض، وأيضاً كان دور بحيرى هو البشارة بالنبوة فقط، فلو أنَّ النبي ﷺ لم ينسب النبوة له، ولكان هو أولى بالنبوة والرسالة، وكذلك فإنَّ أخذ العلم يطلب فيه التردد والصبر والتكرار، ولم يثبت أنَّ النبي ﷺ تردد على هؤلاء الرهبان، ولا جالسهم، وهو أمي لا يعرف القراءة والكتابة.

أما ورقة بن نوفل فقد بشر بنبوة النبي ﷺ وما لبث أنْ مات بعد فترة وجيزة، ولم يثبت أنه كان بينه وبين النبي ﷺ لقاء قبله، ولم يؤثر عن ورقة أنه دعا إلى النصرانية بل كان يبحث عن دين الله الصحيح ليتعبد الله فيه.

وكذلك نحن نعلم شدة عداوة أهل الكتاب للنبي ﷺ وكتمانهم لأدلة نبوية عندهم، ومحاولتهم التشكيك والطعن في نبوته، فلو علموا شيئاً لأظهروه مباشرة فهذه الشبهة وغيرها تكلم فيها العلماء وبينوا ضعفها.

وأكتفي بهذا القدر من هذه الشبهات والرد عليها لطول مقام الكلام فيها، فأحيل على أمكنتها[3].

---

(1) الترمذي، السنن، كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء النبوة، حديث ٣٦٢٤، وقال: (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)، ورواه ابن جرير بنحوه بطرق عدة، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٣٦٣-٣٦٦، البيهقي، دلائل النبوة، ج٢، ص٢٤-٢٩، سبق الحكم عليه.

(2) ابن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٣٦٧-٣٦٨، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٢٤٤-٢٤٥، والحديث حسن بطرقه دون ذكر بلال وأبي بكر -رضي الله عنهما-.

(3) انظر: داود، محمد في الكتاب المقدس، ص٢٩-٣٦، حوى، الرسول ﷺ، ص٤١٤ وما بعدها، مرعي، هدى عبد الكريم، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها، إشراف محمد قطب (وهي رسالة علمية

المطلب الرابع: الجهل بالإسلام ونبيهﷺ.

يعد الجهل عدو الإنسان وطريقه إلى العصيان، وهو من مصائد الشيطان كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب: ٧٢) فالأمانة "الدين" وجهولاً غير عارف بربه وبما سوف يكون له من الخير إن هو عرف الحق واتبعه[١].

والجهل نقيض العلم[٢]، وأحد أسباب الوقوع في المعصية، ويبين ذلك أنَّ المحرمات جميعها من الكفر والفسوق والعصيان والتمرد، والصد عن الحق ورده، إنما يفعلها العبد لجهله أو لحاجته[٣].

ولذلك ذمَّ اللهُ –عز وجل– القولَ بغير علمٍ وبالجهل وأمر بالتثبُّت وتتبع الحق، ومن ذلك: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٣)، ويقول تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦). ويقول تعالى:﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان: ٤٤).

لنيل درجة الدكتوراه)، دار الفرقان، عمان، د. ط، ١٤١١هـ–١٩٩١م، ص٤٦٨، وتعد هذه الدراسة من أفضل الدراسات –حسب ما وقفت عليه– في رد الشبهات عن النبوة.

و حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ص٨٠–٨٢، وشايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص٤١٣–ص٤٣١و ص٥٣٨–ص٥٦٦، والقحطاني، الحق الواضح المبين في الذب عن عرض الصادق الأمين، ص٧٩–١١٨، والشعراوي، محمد متولي، خصوم الإسلام والرد عليهم، دار القلم، بيروت، د. ط، ٢٠٠٠م، ص٢٠–٢٣.

(١) الطبري، جامع البيان، ج٢٠، ص٣٣٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص١٢٩، مادة جهل.

(٣) انظر: ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ج١٤، ص٢٢.

قال ابن القيم في هذا: (فشبه أكثر الناس بالأنعام، والجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول الهدى والانقياد، وجعل الأكثرين أضل سبيلاً من الأنعام، لأنَّ البهيمة يهديها سائقها فتهتدي، وتتبع الطريق، فلا تحيد عنها يميناً ولا شمالاً، والأكثرون يدعوهم الرسل ويهدونهم السبيل، فلا يستجيبون، ولا يفرقون بين ما يضرهم وما ينفعهم) [١].

فالجهل بالشيء سبب لعدم قبوله ومعاداته، فالنجاشي عندما عرف الحق وسمعه بأذنه وعقله وقلبه مع علمه بصدق ما يقال قبل الحق وأذعَن له، فالسبب الغالب على أكثر النفوس أنَّ مَن جهل شيئاً عاداه وعادى أهله، فإن إنضاف إلى ذلك إلفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحيطه ويحبه ويعظمه، كان المانع من القبول أقوى. وإن إنضاف إلى ذلك أيضاً توهمه أنّ الحق الذي دُعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته وأعراضه، قوي المانع من القبول جداً. فإن إنضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه عشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه- كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله ﷺ، ازداد المانع من قبول الحق قوة. فإنَّ هرقل عرف الحق وهمّ بالدخول في الإسلام فلم يطاوعه قومه، وخافهم على نفسه فاختار الكفر على الإسلام بعد ما تبين له الهدى[٢].

فالحقيقة التي لا ريب فيها أنَّ العدو الأول للإسلام ولمعاداة النبي ﷺ هو الجهل بهما، لأنهما يظهران في صورة قيود- كما أسلفنا- أمام كل صاحب هوى وحظ للنفس من الأعداء، فهو يقف أمام الظلم ليشيع العدل، ويقف أمام الجهل ليشيع العلم

---

(١) ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد، بدائع التفسير، دار ابن الجوزي، الدمام، د. ط، ١٩٩٣م، ج٣، ص٢٩٥.

(٢) ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص٢٨.

كما قال ربعي بن عامر: (ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام) [١].

والجهل بالإسلام من أكبر الفرص لانتقاصه والتربص به، وهو المناخ الوحيد الذي تستنبت فيه الأكاذيب التي تتنامى في هذا المناخ، وتلتصق بالإسلام ونبيه خلال غياب المسلمين أو أكثرهم عن إسلامهم والعلم به، ثم نشره بصورته الحقة، وهذا ما يفسر كثرة الكتب التي تنشر عن الإسلام والتي تكون محشوة بالافتراضات المتنوعة عليه، ومليئة بالعبث بنصوصه، وإن الذي يغري هؤلاء الكاتبين المحترفين لهذا الكذب، إنما هو جهل أكثر المسلمين بحقيقة إسلامهم ونبيهم، وفقدهم للأسس الراسخة والالتفاف حول العلماء الراسخين لبيان حقيقة الإسلام ونبيه، ثم الانطلاق من هذه الموازين الثابتة وبيانها للعالمين، وتمييز الحق من الباطل[٢].

ويؤكد ذلك في زماننا شهادة من غيرنا، فهذا المفكر النصراني المعروف المستشار ادوار غالي الدهبي يقول :(أنّ هذا التشويه الذي يقوم به الغرب ليس نابعاً عن فكر أو قراءة موضوعية لسيرة نبي الإسلام ﷺ ، وإنما هو تشويه متعمد لا يصدر إلا عن أحد نوعين من الناس: إما جاهل، وإما حاقد مأجور يعمل لحساب النفوذ الصهيوني الذي يهمه أن يشوه الديانات السماوية، وخصوصاً الدين الإسلامي ورسوله أتباعه، وعلى هذا فهو ردة فعل طبيعية لإفلاس الحجة وفقد المنطق) [٣].

---

(١) انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص١-٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٣٨، الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: محمد كمال الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ، ج٤، ص١٧٣.

(٢) البوطي، محمد سعيد رمضان، مقال بعنوان (مَنْ هو عدو الإسلام الأول) مقال على موقع البلاغ: www.balagh.com

(٣) ادوارد غالي الدهبي، مصري قبطي، يحمل درجة الدكتوراه في القانون، له عدة مؤلفات في القانون، ومن مؤلفاته (أقول لدعاة الفتنة الطائفية). www.islamonlin.net

وعلى الصعيد نفسه أدان المفكر الفرنسي الشهير (ريجيس دوبريه) قيام صحف الدنمارك والدول الغربية بنشر الرسوم المسيئة[1] التي أساءت إلى النبي ﷺ، وأكد أن ما يقوم به الغرب ليس من الحرية، فالحرية ليست مطلقة في الصحافة، فهم يمسون مشاعر المسلمين، بل يجب أن تخضع الحرية للرقابة به حتى تحقق التوازن والمسؤولية، وأضاف: (أن الرسوم تنم عن جهل الغرب بالإسلام، مؤكداً أن هذا الجهل عمق الفجوة بين الغرب والإسلام) وأعرب- بحسب صحيفة الوفد- عن أسفه لأن الغرب يهتم بالأمر يتعلق بالإساءة إلى المسيحين أو اليهود أكثر من اهتمامه بما إذا كانت للإساءة تمس المسلمين. واعتبر وزير الخارجية الياباني، أيضاً أن هذا الأمر طائش وينم عن جهل من فعله، ومنع الصحف اليابانية من نشر الرسومات[2].

من هنا نرى مدى سوء الجهل في معاداة الإسلام ونبيه ﷺ في القديم والحديث، وهذا الأمر يضع على كاهل المسلمين الحمل الثقيل في نشر صورة الإسلام الصحيحة، حتى يقيموا الحجة وليبنوا للناس حقيقة دينهم، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

---

(١) سيأتي الحديث عنها في المبحث القادم، إن شاء الله.

(٢) www.Islammemo.com

الفصل الثاني: أثر الإساءة إلى النبي محمّد ﷺ.

سنتحدث في هذا الفصل عن أثر الإساءة إلى النبي ﷺ داخل المجتمع المسلم، ثم أثرها على المجتمعات الأخرى، فقد حاول أعداء النبيﷺ الإساءة إليه وإلى دعوته بكل وسيلة، وكل هذا في سبيل مآربهم ومطامعهم، فهم يريدون السيادة وبقاء عقيدتهم على ما هي عليه، والناظر إلى ما استخدموه من أساليب ووسائل للإساءة إلى النبيﷺ وإثارة الشبهات حوله؛ يرى مدى تأثير هذه الشبهات والاتهامات على النبيﷺ ودعوته، ففي داخل المجتمع المسلم حصلت انعكاسات لبعض الشبهات، فثبت أناسٌ وسقط آخرون، وعلى صعيد المجتمعات الأخرى سوف نرى مدى تأثير هذه الشبهات عليها وعلى انتشار الإسلام فيها، وكل هذا يصب في أمرين:

الأول: مهاجمة النبي ﷺ لشخصه، وذلك لعدة أمور ذكرناها سابقاً – من الحسد وغيره.

الثاني: القضاء على الإسلام وانتشاره، وتشويه صورته للحيلولة دون بزوغ نوره في كل قلب على وجه هذه البسيطة.

وهذا ما سنقف عليه في هذا الفصل –إن شاء الله تعالى– الذي يتكون من مبحثين.

المبحث الأول: أثر الإساءة إلى النبي ﷺ داخل المجتمع الإسلامي.

قبل البدء بالحديث عن أثر الإساءة إلى النبي ﷺ لا بد من ذكر أن لهذه الهجمة آثاراً واضحةً في القديم والحديث، داخل المجتمع المسلم، فالهجمة ضد النبيﷺ جاءت لأهداف محددة ومنظمة، التقى عليها أعداء الإسلام قديماً وحديثاً، ودأب كل فريق في إبداع أساليب الإساءة والأذى؛ فحصل تأثير لهذه الشبهات داخل المجتمع المسلم، كالأثر الاجتماعي والأثر الديني والتمسك بالإسلام، وغيرها من الآثار، وكل ذلك بسبب هذه الإساءة للنبيﷺ من أعدائه، وسوف نتحدث في هذا المبحث حول أثر الإساءة إلى النبيﷺ داخل المجتمع المسلم.

المطلب الأول: إثارة الشبهات حول النبي ﷺ بين المسلمين.

سبق الحديث عن سوء طوية أعداء النبي ﷺ وأساليبهم في إثارة الشبهات حوله ﷺ، ولا بد أن نشير هنا إلى سنة الابتلاء في حياة الأنبياء والدعاة، فهي سنة الله في خلقه، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ١-٣).

وكثير من آيات الكتاب الحكيم تبين هذه السنة الإلهية في خلقه، خاصة في الرسل والمؤمنين كما قال النبي ﷺ عندما سئل عن أشد الناس بلاء؟ فقال: (الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ البَلاَءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ) [1].

والابتلاء مرتبط بالتمكُّن ونشر الدين ارتباطاً وثيقاً، فلقد جرت سنة الله عز وجل ألا يمكن لأمة إلا بعد أن تمر بمراحل الاختبار والابتلاء المختلفة، وإلا بعد أن ينصهر معدنها وأهلها في بوتقة الأحداث، فيميز الله الخبيث من الطيب، وهي سنة الله عز وجل تجري في صور مختلفة، ولقد كانت الإساءة إلى النبي ﷺ وأذاه ومهاجمته إحدى هذه الصور، فهي ابتلاء للنبي ﷺ ثم الابتلاء للمسلمين في عهده، ثم من بعده.

وقد رأينا في عهده ﷺ أنه ابتُلي وعُذِّب وأوذي ثم ماذا؟ جاء النصر وانتشر الإسلام، وفي هذه السنة قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ

---

[1] الترمذي،السنن، كتاب الزهد، باب الصبر على البلاء، حديث ٢٣٩٨، وقال الترمذي فيه: (حديث حسن صحيح).

ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ (القصص: ٥-٦).

ثم في سنة الابتلاء في هذا المقام حول إثارة الشبهات حول النبي ﷺ يظهر صدق النفوس، وثباتها على دينها ودفاعها عن نبيها ﷺ، وسنة الابتلاء يخرج منها المجتمع المسلم الصالح صاحب النفس الصافية، فيُعرف المؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب [١]، كما مر معنا في صُور أذى المنافقين للنبي ﷺ.

وفي هذا يقول سيد قطب: (ثم إنّه الطريق الذي لا طريق غيره لإنشاء الجماعة، التي تحمل هذه الدعوة وتنهض بتكاليفها، طريق التربية لهذه الجماعة، وإخراج مكوناتها من الخير والقوة والاحتمال، وهو طريق المزاولة العملية للتكاليف، والمعرفة الواقعية لحقيقة الناس، وحقيقة الحياة، ذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عوداً، فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها، إذاً بالصبر عليها، فهم عليها مؤتمنون) [٢].

ولقد حاول أعداء الإسلام دائماً- قديماً وحديثاً- إثارة الشبهات حول النبي ﷺ فقالوا فيه: ساحر، مجنون، كذاب، وقالوا: إنّه تعلم هذا من غيره من أصحاب الكتاب، وقالوا: أضغاث أحلام، وقالوا: إنَّ له جناً أو شيطاناً يتنزل عليه كما تنزل الجنّ والشياطين على الكهان، فرد الله عليهم: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ (الشعراء: ٢٢١-٢٢٢)، وغيرها من الشبهات التي ذكرها أعداء النبيﷺ، وفي العصر الحديث عادت هذه الشبهات على ألسنة خلف أولئك السلف من أعداء الإسلام، فعاد اليهود والنصارى في أثواب جديدة كالمستشرقين والقساوسة،

---

(١) انظر: أبو صعليك، محمد، فقه الابتلاء، دار البيارق، عمان- بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص٨-١١، يوسف، محمد السيد، التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، دار السلام، مصر، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٢٤٤.

(٢) قطب ، في ظلال القرآن، ج٢، ص١٨٠.

ثم المنافقون دعاة التغريب والإلحاد تلامذة هؤلاء. والناظر إليها يجدها أسلوباً من أساليب محاربة النبي ﷺ ومحاربة دعوته ودينه الجديد؛ الذي يقف أمام شبهاتهم وشهواتهم[1].

وكذلك يُقصد بإثارة الشبهات حول النبي ﷺ في المجتمع المسلم تخذيل المسلمين، وتوهين قواهم المعنوية، وقد أكثروا من ذلك وتفننوا فيه بحيث لا يبقى لعامة الناس البسطاء مجال للتبرير في دعوته والتفكير فيها، ويعد أسلوب إثارة الشبهات والحرب الإعلامية من أهم أنواع أساليب الحرب النفسية في العلم الحديث، فأعداء الإسلام والنبي ﷺ استخدموا الحرب النفسية في صورٍ عدة من حيث: الاتصال بالناس في الحج والندوات كما في قصة الوليد بن المغيرة في الحج واجتماعه بقريش، فهذا المجلس الاستشاري عُقد لشنِّ حرباً نفسية ضده ﷺ وضد دعوته، واعتمدوا على وسائل الندوات والاجتماعات للتخطيط في الإساءة له ﷺ[2]، وهذا الأسلوب يسمى في العلم الحديث (الاتصال الجمعي المباشر) والذي هو حسب التعريف الإعلامي الحديث: (قيام الاتصال بين شخص وعدة أشخاص أو جماعة)[3].

وقد كانت هذه الشبهات -ربما- أثارت بعض الشك والارتياب قديماً وحديثاً في نفوس بعض الناس، فجاء القرآن الكريم وفنَّدها وردَّها بأساليب عدة؛ من حيث الرد العقلي وواقع النبيﷺ، ثم تحدى هؤلاء على مر الأزمان، وعادةً ما تثير الشبهات حالة من الشك والارتياب في صدق الداعي وأحقيَّة ما يدعو إليه، فيمنع ذلك من رؤية الحق والاستجابة له، أو تأخير هذه الاستجابة،

---

(١) انظر: المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، دار الوفاء، ص٨٦-٩٠، غشيان، رسالة خاتم النبيين، ص١٩٣ وما بعدها.

(٢) انظر: كحيل، الحرب النفسية ضد الإسلام، ص١١٤، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٨٧.

(٣) إمام، إبراهيم، الإعلام والاتصال بالجماهير، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د. ط، ١٩٨٠م، ص٢٦.

كما حصل مع أبي ذر الغفاري وضماد الأزدي[1]- رضي الله عنهما- فقد أثَّرت الشبهات فيهم، وكذلك شبهات وإساءات المنافقين في المجتمع المدني وحرب القرآن ضدهم لفضح زيف نفوسهم.

***وقد قسّم العلماء أنواع الشبهات حول شخص النبي ﷺ إلى عدة أقسام[2]:**

١. شبهات آدمية: وهذه قد تكلم فيها المستشرقون ونشروها في كتبهم وندواتهم كشبهة النهم في الطعام، وأنه ﷺ أحاط وكشف جسمه بالملذات، كما سبق عند الحديث عن المستشرق لامانس، وشبهة الجبن والهلع في الغزوات، وأنه نؤوم(٣).

٢. شبهات نبوية: مثل اسمه ﷺ، وأميته ﷺ، وأن القرآن ليس وحياً من عند الله: وإنما هو أضغاث أحلام وشعر، أو هو وحي من جن أو شيطان،وشبهة أن ما كان يأتيه إنما (هي حالات عصبية ورثها من أمه لأنها كانت تراها في منامها حين كانت تحمله، فورثها منه، فما جاء الا بخرافات) (٤)، ثم شبهة جحود المعجزات النبوية كحادثة الإسراء والمعراج وتكذيب القرآن، وغيرها من الشبهات التي ذكرناها سابقاً.

٣. شبهات شرعية: مثل شبهة أنّ الحج إنما هو شعيرة من شعائر الجاهلية، (أخذها محمد ﷺ معه إلى المدينة ليجتذب قريشاً إلى الإسلام والارتقاء بهم إلى سمو الروح وتقريبهم من تعاليم الكتاب المقدس) (٥)، وقد أفاض درمنغم في هذه الشبهة، وفاته أنها شعيرة من شعائر دين إبراهيم عليه السلام(٦)، وكذلك فنسنك والمستشرق الدنماركي بوهل(١).

---

[1] ضماد بن ثعلبة الأزدي، صحابي من أزد شنوءة، كان يتطبب ويرقي ويطلب العلم، أسلم في أول الإسلام، لم تذكر له سنة وفاة، ابن عبد البر، الاستيعاب، ص٣٧٨، ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص٥٣٣.

[2] استفدت هذا التقسيم من : حمدان، الرسول في كتابا ت المستشرقين.

(٣) انظر: حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ص١٢٥-١٣٠.

(٤) المرجع السابق، ص٣٦، وهو قول المستشرق شبرنجر في دائرة المعارف، ج٢، ص٦٣٠ مادة آمنة.

(٥) إميل، درمنغم، حياة محمد، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، د. ط، ١٩٨٨م، ص٣٦٧.

(٦) للتوسع في الرد انظر: بحث شبهات المستشرقين في الحج، مجلة التضامن الإسلامي، ج١٠، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، وموقع سبيل الإسلام www.sbeelalislam.org .

وكذلك شبهة الجهاد وانتشار الإسلام بالسيف، وأن الإسلام دين القتل والإرهاب، وأن محمداً ﷺ كان متعطش للدماء.

وقد غاب عن هؤلاء أو تجاهلوه عمداً أن النبي ﷺ كان يبعث الرسل إلى الملوك ويدعوهم إلى الإسلام، ثم إنّ الإسلام لا يجبر أحداً على اعتناقه، وكم من بلادٍ دخلت الإسلام دون سيف أو قتال، فدعوة الإسلام لا بد من بلوغها إلى كل الناس، قَبِلَها من قَبِلَها، ورفَضَها من رفَضَها ولا إكراه في الدين[٢].

فهذه أقسام الشبهات التي أثيرت داخل المجتمع المسلم قديماً وحديثاً حول النبي ﷺ، ولا بد أن نعلم أنَّ هذه الشبهات لم تؤثر في المجتمع المسلم كثيراً، بل يكاد تأثيرها لا يذكر، خاصة في عهده ﷺ كما سنرى في المطلب القادم فالمسلم يعلم صدق نبيه ﷺ، وأن هذا الدين هو من الله سبحانه وتعالى، وأن الله عز وجل مُتِم دينَه وحاميه، وما أمر الشبهات التي تثار حول نبيهﷺ إلا زمزمات[٣] قديمة تلوكها الألسنة، وهي في جوهرها لا تتغير، وإن تغيرت في أشكالها وألسنتها.

ولا يفوتنا أنّ الشبهات التي يستخدمها أعداء النبي ﷺ تتمثل في وجهين:

الأول: شبهات حول شخصه ﷺ: سيرته، وسلوكه، وإلصاق التهم به، ورميه بالسَّفَه، والجهالة والجنون والافتراء، إلى غير ذلك، والمقصود منه تنفير الناس منه وعدم الثقة به.

الثاني: شبهات تثار حول دعوته: كاتهامها بالابتداع والخروج عن المألوفات للناس، وتقاليدهم ونظامهم الموروث، ووقوفها أمام شهواتهم وملذاتهم، مما يراد بها تنفير الناس من الدعوة إلى الله وصدهم عن سبيله.

---

(١) بوهل فرانتس ١٨٥٠م-١٩٣٢م، مستشرق دنماركي، من أعضاء المجمع العلمي العربي ولد وتوفي في كوبنهاغن، كان أستاذ اللغات السامية في جامعة كوبنهاغن.t http://www.islam-network.ne

(٢) انظر: حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ص ١٤٦.

٣ الزمزمة: الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم.(ابن الأثير، النهاية، ج١، ص٧٣١).

والمطلوب هنا من النبي ﷺ وأمته الوقوف أمام هذه الشبهات وتفنيدها والصبر عليها مع علمه -عز وجل- بضيق صدر النبي ﷺ وأثر ذلك في نفسه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (الحجر: ٩٧) ثم ثبته الله -عز وجل- وأمره بما يذهب هذا الضيق فقال: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (الحجر: ٩٨-٩٩)، وقد أخبره -عز وجل-من قبل أنه سوف يكفيه إياهم فقال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾(الحجر: ٩٦).

وأخبره أن من يفعل ذلك سوف ينقلب عليه عذاباً ووبالاً فقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠) [١].

فنخلص هنا إلى أنَّ الشبهات التي أثيرت حوله ﷺ والتي تثار الآن إنما هي دعوات قديمة حديثة، وإنما هي أكاذيب واهية أثرت في نفس النبي ﷺ في بداية الأمر، ثم ثبته الله عز وجل وثبت المسلمين معه، فرد عليها وفندها سبحانه وتعالى بالقرآن والمعجزات، وعلى المسلم أن يقف أمامها ويبيِّن زَيْفَها وبطلانها بالحجة والبرهان، وما يزيده ذلك إلا تمسكاً بدينه وحبه لنبيه ﷺ.

المطلب الثاني: التمسك بالإسلام وإظهار صورته الصحيحة.

لقد حاول أعداء النبي ﷺ من خلال الإساءة إلى النبي ﷺ تشويه صورة الإسلام ونشر الشبهات والشائعات حوله ﷺ وحول دعوته، وما ذلك إلا لوقف انتشار هذه الدعوة وطمس نور الإسلام، فهذا الدين يخالف أهواءهم وعاداتهم، ويُحجِّم تسلطهم على العباد وشهواتهم، فلقد كان هذا الأمر من القديم وامتد على مرّ الأزمان وتعدد المكان، فها هم كفار مكة يحاولون بشتى الصور

---

[١] انظر: زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ص٤٢٨ بتصرف، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٨٧.

والأساليب التشويه والتشويش على دعوة رسول الله ﷺ، ولكن الله يأبى إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون، ففي آخر الأمر انتشر الإسلام وعمَّ نوره كل بيت في الجزيرة، ووصلت دعوته ﷺ كل بيت، فهي سنة الله -عز وجل- في نشر دينه ودعوته، قال تعالى:﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٢-٣٣).

أي يحاول هؤلاء المتّخذون أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أرباباً من دون الله أن يكذبوا بدين الله ويشوهوه ويصدوا عن دين الله، الذي ابتعث به نبيه ﷺ، وصدهم الناس بألسنتهم ليبطلوا دين الله، وهو النور الذي جعله الله -عز وجل- ضياء، ويأبى إلا أن يعلو دينه، وتظهر كلمته، ويتم الحق الذي بعث به رسوله ﷺ ولو كره أعداؤه ﷺ ذلك وهم الذين جحدوا به وكذبوه[١].

وروى الإمام مسلم من حديث ثوبان- رضي الله عنه- قال: (إِنَّ اللَّـهَ زَوَى لِـيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِىَ لِيَ مِنْهَا) [٢].

والناظر إلى ثبات النبي ﷺ على دعوته وثبات أصحابه معه يعلم مدى تمسكهم بهذا الدين وفدائه بالغالي والرخيص، ومحاولة إيصاله بكل وسيلة في مقابل أساليب الإساءة إليه ﷺ.

وفي قصة إسلام ضِمَاد الأزدي- رضي الله عنه- دليل على ذلك، فقد وفد ضماد الأزدي إلى مكة، وتأثر بدعوى المشركين عن رسول الله ﷺ، حتى استقرَّ في نفسه أنّه مصاب بالجنون، كما يتهمه بذلك زعماء قريش، وكان ضِماد من أزد شنوءة، وكان يعالج من الجنون، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- : (أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَة، وَكَانَ يَرْقِى مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ. فَقَالَ: لَوْ أَنِّى رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ

---

(١) انظر: الطبري، جامع البيان، ج١٤، ص٢١٤، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١٣٦.

(٢) مسلم،صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، حديث ٢٨٨٩.

يَشْفِيهِ عَلَى يَدَىَّ، قَالَ: فَلَقِيَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّى أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِى عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ ». قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَىَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاَءِ. فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلاَءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ[1] الْبَحْرِ قَالَ : فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الإِسْلاَمِ قَالَ : فَبَايَعَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَعَلَى قَوْمِكَ ». قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي قَالَ : فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلاَءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً. فَقَالَ: رُدُّوهَا؛ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمُ ضِمَادٍ) [(٢)].

ومن خلال القصة يمكن استخلاص ما يأتي:

١. دعاية قريش وتشويه صورة النبي ﷺ، وصورة الإسلام أمام الناس، واتهامه بالجنون، حمل ضماداً على السير للرسول ﷺ من أجل رقيته، فكانت الحرب الإعلامية ضد النبيﷺ سبباً في إسلامه، وإسلام قومه.

٢. عند النظر إلى موقف النبي ﷺ أمام هذا الاتهام بالجنون، وهذا موقف يثير الغضب في الأغلب، اتصف النبيﷺ بصفتي الحِلْم والصبر، فقابل ضماداً بالحسنى والحلم والهدوء، مما أثار إعجاب ضماد، واحترامه لرسول الله ﷺ، وهذا الموقف يدعو أمته وعلمائها إلى استخدام مثل هذه المواقف لصالح الدعوة.

---

[1] ناعوس البحر: وسطه ولجَّتُه، (ابن الاثير، النهاية، ج٢، ص٧٦٤).

(٢) مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث ٨٦٨، أحمد، المسند، حديث ٢٧٤٩، ابن حبان، الصحيح، كتاب التاريخ، باب كتب النبي ﷺ، حديث ٦٥٦٨.

٣. تأثر ضماد بفصاحة الرسول ﷺ وقوة بيانه، وصدق لسانه، فجعل الكلام يدخل عقله وقلبه ، حتى قال له: "أعِد عليَّ ذلك"، وفي هذا دعوة لعلماء الإسلام استخدام قوة البيان والحجة للدفاع عن النبي ﷺ، وعن دعوته، وبيان الصورة الصحيحة للإسلام.

٤. في سرعة إسلام ضماد دليل على أنَّ الإسلام دين الفطرة، وان النفوس إذا تجردت من الضغوط الداخلية والخارجية، فإنَّها غالباً تتأثر وتستجيب إما بسماع قول مؤثر، أو الإعجاب بسلوك قديم.

٥. حرص الرسول ﷺ على انتشار دعوته، حيث رأى في ضماد صدق إيمانه، وحماسته للإسلام وقربه للإيمان عند الحوار، وهذا يدعو إلى عدم تناسي أنَّ هناك من غير المسلمين من قريب من الفطرة، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ (المائدة: ٨٢).

وقد ذكر الشيخ الشعراوي–رحمه الله تعالى– في هذه الآية أنَّ القس: هو المتفرغ للعلم الرباني، والراهب هو الذي تفرغ للعبادة، والقسيسون يحافظون على علم الكتاب، والآن دينهم يعطيهم طاقة روحية كبرى حتى إنهم يقولون: (من ضرب على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، ومن أراد أن يأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً)[١]. فهم أقرب إلى الصفاء والفطرة من غيرهم، وقصة هرقل والنجاشي دليل على ذلك، على عكس اليهود وغيرهم[٢].

---

(١) أنجيل متى، الإصحاح٥، فقرة ٤٠–٤١.

(٢) أنظر :الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، مكتبة أخبار اليوم، القاهرية، د. ط، ١٩٩١م، ج١، ص٢٣٠٨، بتصرف.

٦. في هذا الموقف بيان لأهمية الدعوة إلى الله وبيان صورة الإسلام في مقابلة الإساءة له، وإدارة مثل هذه المواقف لصالح نشر الدعوة وبيان صدقها، حيث جعل النبي ﷺ هذه الدعوة هاجسة وهدفه في كل وقت، حيث لا تغيب عن باله حتى في أحلك المواقف.

٧. بُعْدَ نظر النبي ﷺ حيث أخذ العهد من ضماد بنشر دعوة الإسلام وبيان صورة هذا الدين بعد دخول نوره إلى القلوب، وفي انتشار الإسلام في بقاع الأرض دليل على ذلك.

٨. حفظ المعروف والود لأهل السبق والفضل حيث قال: (ردوها فإن هؤلاء من قوم ضماد).

٩. في الحديث من الوسائل التربوية التي استعملها النبي ﷺ، كالتأني في الحديث، وأسلوب الحوار – كما سوف نرى في الفصل القادم إن شاء الله، والتوجيه المباشر، وتظهر بعض الصفات في شخصية رسول الله ﷺ، كمربٍّ، كالحلم والصبر، والتشجيع على الإكثار من الخيرات[١].

وأما في زماننا فقد انتشر الإسلام بصورة كبيرة على أثر الإساءة إلى النبي ﷺ، فهذه الإساءة دعت الكثير من الناس للقراءة عن الإسلام وعن هذا النبي الذي يسيء إليه أعداؤه، ففي إحصاءات في ألمانيا نشرها موقع (هدي الإسلام) عن عام ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨م أنه يدخل في كل ساعتين مسلم جديد، حتى أصبح في ألمانيا ما يقارب ألفين وخمسمئة مسجد (٢٥٠٠)، وفي فرنسا أعلنت وزارة الداخلية الفرنسية أنّ ما يقارب ثلاثة آلاف فرنسي يدخلون الإسلام في كل سنة، ليصبح الإسلام الدين الثاني في فرنسا، ومن لطيف القول أن مطربة الراب الفرنسية (ديامز) دخلت الإسلام عام ٢٠٠٩م، واللاعب الفرنسي فرانك ريبيري عام ٢٠٠٣م، وفي بلجيكا أكدت

---

(١) أنظر: القرطبي، المفهم شرح مسلم، ج٢، ص٥٠٩، خان، وحيد الدين، الإسلام يتحدى، ترجمة: ظفر الإسلام خان، دار قتيبة، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م، ص٣، وما بعدها بتصرف، الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل أحداث)، دار المعرفة، بيروت، ط١٠، ١٤٣١هـ–٢٠١٠م، ص١٣٦.

دراسة لصحيفة (لايبر بلجيك) أن ثلث سكان بروكسل الآن مسلمون، وأن اسم محمد تصدر أسماء المولودين الجدد منذ عام ٢٠٠١م وحتى الآن.([1])

وفي الدنمارك التي نُشِرَت فيها الرسوم المسيئة الى النبي ﷺ في صحيفة (جيلاندس بوستن) عام ٢٠٠٦م، بدأ الإسلام ينتشر سريعاً فيها، وكأنهم فتحوا أعين الناس على هذا الدين من حيث لا يعلمون، حتى أصبح عدد الذين دخلوا الإسلام في الدنمارك عقب نشر الرسوم تجاوز خمسة آلاف دنماركي.

وفي بريطانيا تم إلغاء مصطلح الإرهاب الإسلامي، وتعديل قوانين الإرث للمسلمين، وفي ذلك أشار كبير أساقفة كنيسة كانتر بري (روان ويليامز) إلى تطبيق بعض جوانب الشريعة في بريطانيا، معتبراً أنّه أمر لا يمكن تجنبه، وذلك لتماسك المجتمع البريطاني[٢].

وفي السويد أصبح الدين الإسلامي يحتل المرتبة الثانية، وهذا ما دعا الحكومة السويدية بالاعتراف به وتدريسه في المدارس، وفي روسيا بلغ عدد المسلمين حوالي ثلاثة وعشرين مليون مسلم، أي ما يعادل ٢٠% من عدد السكان، وتتوقع مجلة (أكونوميست) البريطانية: أن يمثل المسلمون غالبية أفراد القوات المسلحة الروسية بعد سنوات، وفي شهر يوليو من عام ٢٠٠٨م نشرت جريدة (برافدا) الروسية مقالاً بعنوان: (الإسلام سيكون دين روسيا الأول مع حلول عام ٢٠٥٠)، ويأمل رئيس مسجد المفتين في روسيا بأن يصدر الرئيس (ميدفيديف) تعليمات بتشييد مسجد في مدينة (سوتشي) التي تعد أهم المنتجعات الروسية، ووعد الرئيس بتلبية هذا الطلب، مثيراً

---

[١] www.hadielislam.com

[٢] قناة (bbc) البريطانية، فبراير، ٢٠٠٨م.http://www.bbc.co.ukl

إلى ارتفاع عدد المسلمين في روسيا، وأنَّه من الضروري إنشاء المساجد لهم[١]، وبين رئيس مجلس المفتين الروسي الشيخ راوي عين الدين أنَّه سوف يتم إطلاق شبكة تلفزيونية في **ابريل ٢٠١١م** لشرح الإسلام وبيان صورته[٢].

ومن خلال ما عرضنا له سابقاً تبين لنا مدى انتشار الإسلام والبحث عنه، وذلك بسبب الإساءة التي تعرض لها رسول الله ﷺ من أعدائه، فعلى المسلمين القيام بواجبهم وأخذ زمام المبادرة في نشر صورة الإسلام الصحيحة، كما فعل النبي ﷺ مع ضماد- رضي الله عنه-، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

المطلب الثالث: أثر الإساءات السياسية.

كانت وما تزال السياسة هي المحرك بين الدول والمجتمعات، فالتعامل مع كل دولة - خارجها وداخلها- هو من باب السياسة ، ولقد حاول أعداء النبي ﷺ وأعداء الإسلام ضرب السياسة، ومحاولة توهين قوة المجتمع وتماسكه السياسي -الداخلي والخارجي-، فكانت هناك إساءات سياسية منذ عهد النبي ﷺ امتدت إلى زماننا، سنقف في هذا المطلب عند الإساءة السياسية للنبيﷺ وللمجتمع الإسلامي، ولا يغيب عنا أنّ هذه الإساءة كانت لها الأثر البالغ على الجهتين، فأعداء النبي ﷺ كانوا هم الخاسر الأكبر دائما في النهاية في هذه الإساءة.

أولاً: التجمع السياسي لحصارهﷺ وفصله عن المجتمع:

أ. لما بلغ قريشاً إكرام النجاشي لجعفر -رضي الله عنه- وأصحابه، كَبُر ذلك عليهم وشقَّ، وكتبوا كتاباً على بني هاشم ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يخالطوهم، وكان الذي كتب الصحيفة منصور بن عكرمة العبدري، فشُلَّت يده، وحصروا بني هاشم في شِعْب أبي طالب، وانحاز بني

---

(١) تقرير انتشار الإسلام في أوروبا موقع هدي الإسلام www.hadielislam.com وموقع طريق الإسلام www.islamway.com .

(٢) www.lahanlin.com .

المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب في شعبه مع بني هاشم، وخرج أبو لهب إلى قريش فظاهرهم على بني هاشم وبني المطلب، وقطعوا عنهم المؤونة، وقد مكث رسول اللهﷺ وأهله في الشِّعْبِ سنتين، وقيل: ثلاثة سنين[1].

ب. منهج التعامل مع هذه الحادثة والآثار المترتبة عليها:

١. نجاح النبي ﷺ في أداء الرسالة، حيث نجحت دعوته في جذب العناصر القوية إليها، وبدأ التفكير في الحماية الأمنية اللازمة ليؤدي ﷺ رسالته للعالمين، عندئذ أدرك الأعداء أنَّه لا بدّ من القضاء على هذه الدعوة في مهدها، فكانت فكرة الحصار الاقتصادي وسياسة التجويع، ولكن الله خذل الأعداء، وأعزَّ دينه، وأتمّ نوره وازدادت الدعوة صلابة وقوة، وازداد أصحابها يقيناً وتضحيات، فلا بدّ إذن من اليقين بأنّ الله متم نوره ولو كره الكافرون.

٢. تجرع النبي ﷺ وصحبه الكرام مرارة هذا الحصار، وتقلبوا في لظى هذه المؤامرة الخبيثة فصبروا حتى أتاهم نصر الله، وكانوا يقدرون مسؤولية تبليغ الرسالة الملقاة على كواهلهم، وكانوا يدركون حقيقة هذه الرسالة وطبيعتها وأنها لا بد أن تبلغ للناس فعملوا وصبروا.

٣. تربية النبي ﷺ لأصحابه على الصمود والتحدي أمام الباطل وأهله، وقد علمهم على الصبر لأنه يعلم أن النصر مع الصبر وأن البلاء سنة ماضية، وأن أهل الإيمان لا بد أن يتعرضوا للفتن فعليهم أن يثبتوا ويصبروا.

٤. كان النبي ﷺ وأصحابه الكرام يلتقون بالناس في مواسم الحج، ولم تشغلهم آلامهم عن تبليغ الدعوة وعرضها على كل وفد، فإنَّ الاضطهاد لا يقتل الدعوات بل يزيدها صلابة، وقد كسب الإسلام أنصارا جدداً حيث إنَّ المشركين قد بدأوا ينقسمون فمنهم من ساءه ما في

---

[1] ابن سعد، الطبقات، ج١،ص٢٠٨-٢١٠، وذكر القصة العيني في عمدة القاري ج٩، ص٢٢٩ و ٢٣١ ولم يعزها لغير الطبقات لكن لقصة التحالف على بني هاشم ألا يناكحوهم في الصحيح من حديث أبي هريرة، فقد أخرجه البخاري ومسلم كما سبق تخريجه.

الصحيفة، ورأى ما أصاب القوم، فشرعوا في إبطال هذه المقاطعة، ونقض الصحيفة الظالمة.

٥. صلة النبي ﷺ بأقاربه وعشيرته، وكذلك المسلمون من بني هاشم كانت صلةً حسنةً جداً، وكان هذا السبب في تعاطف الكفار معهم، ونصرهم إياهم مع أنَّهم ليسوا على دينهم، ويمكن للداعية أن يحسِّن علاقته مع عشيرته دون أن يخالف شرع الله وحكمه، ويستفيد من حسن الصلة لهم في خدمة دعوته، ونشر فكرته، وتوفير الحماية له من أعدائه.

ثانياً: الإخراج من مكة:

أ. من الأمور السياسية التي استخدمها الكفار في مواجهة النبيﷺ ودعوته دفعه إلى الخروج من مكة، حيث خططوا لاغتياله ففشلوا، فعزم النبيﷺ على الخروج من مكة وهو كاره لذلك.قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٣٠)، وهذه هي سياسة التهجير واللجوء السياسي، إذ أنهم أخرجوا النبيﷺ، ومن قَبْله الصحابة في الهجرة إلى الحبشة، فسياسة التهجير والطرد السياسي استعملها أعداء الإسلام من قبل للصد عن هذا الدين .

وكان ورقة بن نوفل قد أخبر النبي ﷺ أنَّ قومه سيخرجونه، فقال رسول الله ﷺ: (أوَمُخرجي هم؟) قال: (نعم لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً) [1]. وقد ورد عن النبي ما يبيِّن أثر إخراج قومه له من مكة في نفسه وشدة حبِّه لها؛ فقالﷺ

---

[1] أخرجه البخاري بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ وقول الله جل ذكره (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده)، حديث ٣ ، وأخرجه مسلم، الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث ١٦٠.

: (والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله عز وجل ولولا أني أخرجت منك ما خرجت)[1].

ب. كيفية تعامل النبي ﷺ مع هذا الموقف :

بيَّن النبي ﷺ أنَّ على المسلم أن يبقى في المكان الذي يحبه الله ورسوله، فمكة أحب البلاد إلى الله –عزوجل–، فإذا كان يسكنها المسلم فلا يخرج منها إلا لحاجة، وكذلك يستخلص من القصة أنّه إذا تعارض حبّ الوطن مع الدين وزواله أو قتل النفس فعلى المسلم أن يخرج منه، قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ٩٧)، فالنبيﷺ أراد أن يبحث عن بيئة ملائمة لاحتضان الدعوة الإسلامية، وقاعدة تبدأ منها دولة الإسلام، فالداعية لا يتوقف عن دعوته حتى لو أُخرج من بلده.

ثالثاً: تمزيق كتاب النبي ﷺ:

أ.عن ابن عباس –رضي الله عنهما–: (أن النبي ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع رجل، وأمَره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه خرقه، قال:فحسب ابن المسيب –راوي الحديث– قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمزَّقوا كل ممزق)[2].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الحج، باب فضل مكة، حديث ٤٢٥٢، الترمذي، الجامع، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب فضل مكة حديث ٣٩٢٥، وقال أبو عيسى: (هذا حديث حسن غريب صحيح)، الحاكم، المستدرك، حديث ٤٢٧٠، والدارمي، السنن، كتاب السير، باب إخراج النبي من مكة، حديث ٢٥١٠. وللحديث شاهد: من حديث أبي هريرة، أخرجه النسائي، السنن الكبرى، كتاب الحج، باب فضل مكة حديث ٤٢٥٤، ابن حنبل، المسند، حديث ١٨٧٣٩، والحديث صحيح بطرقه.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر حديث ٤١٦٢ و٦٨٣٦، النسائي ،السنن، كتاب العلم، باب كتاب أهل العلم إلى البلدان حديث ٥٨٥٩ و ٨٨٤٦، ابن حنبل، المسند، حديث ٢١٨٤، و ٢٧٨١.

وقد ذكر ابن سعد (أن رسول الله ﷺ قال: "اللهم مزِّق ملكَه"، وكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن: أن ابعث من عندك رجلين جلدين[1] إلى هذا الرجل الذي بالحجار فليأتياني بخبره، فبعث باذان قهرمانة ورجلاً آخر، وكتب كتاباً فقدما المدينة، فدفعا كتاب باذان إلى النبيﷺ وفرائصهما ترتعد، فقال: ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فلأخبركما بما أريد، فجاءاه من الغد فقال لهما: أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة، لسبع ساعات مضت منها، وهي ليلة الثلاثاء، لعشر ليالٍ مضين من جمادى الأولى، سنة سبع، وأن الله –تبارك وتعالى– سلط عليه ابنه شيرويه فقتله)[2].

ب.كيفية تعامل النبي ﷺ مع هذا الموقف :

دعا النبي ﷺ على هذا الطاغية بأن يمزّق ملكه، والسبب في ذلك أن هذا الطاغية لم يرد الهداية، ونلاحظ أنَّ النبي ﷺ دعا على ملكه، ولم يدع عليه لأنَّ الأصل أنّ المسلم يدعو للناس بالهداية، وفي الحديث يقين النبيﷺ وارتباطه بالله عز وجل، وفيه معجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام في إخباره بموت كسرى، ولا شك أنّ ذلك بإخبار علاَّم الغيوب.

رابعاً: قتل رسل النبي ﷺ:

أ. لم يُقتل رسولٌ لرسول الله ﷺ غير واحد وهو الحارث بن عُمير الأزدي، قتله شرحبيل ابن عمرو الغساني، وكان في قتله إساءة للنبي ﷺ وتحدٍّ له في ذلك، وفيه عدم احترام المعاهدات والأعراف السياسية التي تُحرِّم قتل الرسل والمبعوثين السياسيين.

---

(١) الجَلَد: بفتحتين تعني الصلابة (مختار الصحاح ج١،ص١٠٧).

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج١،ص٢٦٠.

فقد روى ابن سعد (أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتابه فلما نزل عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فقال: أين تريد قال: الشام قال: لعلك من رسل محمد، قال: نعم أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ، فأمر به فأوثق رباطاً، ثم قدمه فضرب عنقه صبراً، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، وبلغ رسول الله ﷺ الخبر فاشتد عليه، وندب الناس، وأخبرهم بمقتل الحارث بن عمير وعن قتله، فأسرعوا وعسكروا بالجرف وهم ثلاثة آلاف، فقال رسول الله ﷺ: أمير الناس زيد بن حارثة فإن قتل فجعفر بن أبي طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحة فإن قتل فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم، وعقد لهم رسول الله ﷺ لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة، وأوصاهم رسول الله ﷺ أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الاسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم، وخرج مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف وودعهم، فلما ساروا من معسكرهم، نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين) [1].

ب. كيفية تعامل النبي ﷺ مع هذا الموقف :

جهَّز النبي ﷺ جيشاً وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا مَنْ هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم، وخرج مُشيعاً لهم.

وفي القصة نجد أن النبيﷺ أراد أن يقتص لذلك الصحابي، فهم قد خرقوا المعروف من الأعراف السياسية في ذاك الزمن، ولكنه في الوقت نفسه كان بعيد النظر في التعامل مع هذا الأمر من خلال أنه أوصى جيشه بأن يعرضوا عليهم الإسلام، وإلا قوتلوا، مما يدل أن الغاية دائماً هداية

---

(١) ابن سعد، الطبقات ج١،ص٢٦٠، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص٥، البيهقي، دلائل النبوة، ج٤، ص٣٥٨-ص٣٦٠، الطبراني، المعجم الكبير، ج١٨، ص٤٦٩، حديث١٩٤، ابن عساكر،علي بن الحسن، تاريخ دمشق،تحقيق :علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، ج٢، ص٧، عن عروة مرسلاً، ورجاله ثقات، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ، ورجاله ثقات إلى عروة، مجمع الزائد، حديث١٠٢٢٠، وله شاهد من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير عند أحمد والترمذي ، والحديث حسن بطرقه.

الناس، وأنَّ الإسلام يجبُّ ما قبله، حتى لو صدرت إساءات من أولئك الكفار، وفيه أن النبيﷺ لا يأخذ الأمور بشكل شخصي فينتقم لأجل نفسه.

خامساً: نقض معاهدة الحديبية:

أ. أنشأ النبيﷺ معاهدات سياسية مع أعدائه، كصلح الحديبية والصحيفة في المدينة بين المسلمين واليهود، فالنبيﷺ كان لا يطلب الحرب ابتداءً؛ قال تعالى ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ (الأنفال: ٦١)، وكان من تلك المعاهدات صلح الحديبية بينه وبين مشركي مكة سنة ست للهجرة[١].

وقد انتهى صلح الحديبية بين النبي ﷺ وبين قريش بشروط؛ منها:

(وقف الحرب لمدة عشر سنين، ومن أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهد دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فدخلت خزاعة في عقد محمد ﷺ ودخلت بكر في عقد قريش) [٢].

ولم يمضِ وقت يسير على الهدنة حتى نقضت قريش العهد مع رسول الله ﷺ، وشاركت بني بكر في قتل مجموعة من خزاعة احتمت بالحرم، فقالوا لقائد بني بكر:(يا نوفل إلهك إلهك قد دخلت الحرم! فقال كلمة عظيمة: لا اله له اليوم، يا بني بكر لعمري إنكم لتسرقون في الحرم، أفلا تدركون ثأركم من عدوكم)[٣].

---

[١] البيهقي، دلائل النبوة، ج٤، ص٩٠، ابن القيم، زاد المعاد، ج٣، ص٢٨٦، وهو القول الراجح من قول الزهري ونافع مولى ابن عمر، وقتادة، وموسى بن عقبة.

[٢] ابن هشام، السيرة، ج٤،ص٢٨٥، السهيلي، الروض الأنف، ج٤، ص٤٨..

[٣] ابن هشام، المرجع السابق، ج٥، ص٤٤.

ب. التعامل والآثار المترتبة على هذه الحادثة:

١. أراد النبي ﷺ أن يعاقب بني بكر وقريش بسبب الجرائم التي ارتكبتها ضد خزاعة، فقد نقضوا العهد، وغدروا، وخانوا، واعتدوا على الأنفس المحرمة، وقد كانت جريمتهم في الحرم، فقد اعتدوا على قدسية المكان بالقتال والقتل والظلم والعدوان.

٢. الإسلام يوجب على أتباعه نصرة حلفائهم ولو كانوا على غير دينهم ، وذلك وفاءً بما عاهدوا عليه من المعاهدات، فالرسول عاهد معاهدات سياسية ولم ينقض واحدة.

٣. لقد كان علاج النبي ﷺ جاداً مع قريش حين غدرت ونقضت عهدها، وأساءت في التعامل السياسي معهﷺ ومع معاهداته، فجهز الجيش لغزوهم وكان فتح مكة.

٤. نقض العهد يوجب العقوبة على الناقض وليس بالضرورة إشعاره بالعقوبة ووقتها ونوعها، ولهذا لم يخبر الرسول ﷺ خزاعة المعتدى عليها ولا قريشاً بشيء من ذلك.

٥. نقض البعض للميثاق يعد نقضاً من الكل، فنحن نعلم أن نفراً من قريش قد نقضوا العهد واعتدوا على نفر من خزاعة ومع ذلك فقد عدَّ النبي ﷺ قريش كلهم وبني بكر ناقضين للعهد يستحقون العقوبة الزاجرة، هذا ويعدُّ نقض جزء من العقد دليل على إلغائه، ويكون غير ملزم للطرف الأخر وهذا ما دل عليه تصرف النبي ﷺ.

سادساً: نقض العهود من قِبَلِ اليهود:

أ. عن ابن عمر –رضي الله عنهما–: (أنَّ يهود بني النضير و قريظة حاربوا رسول الله ﷺ فأجلى رسول الله ﷺ بني النضير، وأقرَّ قريظة ومن عليهم، حتى حاربت قريظة بعد ذلك، فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأموالهم وأولادهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ فأمنهم

وأسلموا، وأجلى رسول الله ﷺ يهود المدينة وهم بني قينقاع؛ وهم قوم عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكل يهودي كان بالمدينة) [١].

ب.كيفية تعامل النبي ﷺ مع هذا الموقف :

١. أما بني قينقاع فلم يقتلهم رسول الله ﷺ بناءً على شفاعة رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول، ولكنّه حكم بإجلائهم من المدينة ولهم الذرية والنساء وللمسلمين سلاحهم وأموالهم، وأمهلهم ثلاثة أيام كي يغادروا المدينة[٢].

٢. وأما بني النضير الذين حاولوا اغتياله ﷺ فقد حاصرهم ثم أجلاهم أيضاً من المدينة[٣].

٣. وأما بني قريظة فقد قتل رجالهم عندما حاربوا الله ورسوله، وقسم نساءهم وأموالهم وأولادهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ فأمنهم وأسلموا[٤].

المطلب الرابع: الأثر الاجتماعي.

لقد كان للإساءة إلى النبي ﷺ ومهاجمته آثارٌ عدةٌ على المجتمع المسلم وخارجه، ومن الآثار التي تجلت بوضوح، وكان لها الأثر البالغ الأثر الاجتماعي، وتماسك المجتمع المسلم وتصفيته، فلقد تفنن أعداء النبي ﷺ في إيذائه، فكانت إحدى صور الإيذاء الحرب الإعلامية والنفسية من خلال ضرب النسيج الاجتماعي، وتمثل ذلك في صورتين جليتين:

الأولى: من خلال مقاطعته مع بني هاشم في الشِّعْب.

الثانية: من خلال حادثة الإفك.

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، حديث٣٨٠٤، مسلم في الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز حديث ١٧٦٦.

(٢) انظر: ابن هشام،السيرة النبوية ،ج٣، ص٣١٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ج٤،ص١٤٣.

(٤) انظر: المرجع السابق، ج٤، ص٢٠٠.

وتتجلى الإساءة في هاتين الصورتين من خلال مدى الأذى الذي لحق بالمجتمع المسلم ، ومحاولة تفكيكه وضرب أواصر القربى فيه: قرابة الدم، وقرابة الدين والعقيدة.

وفي الصورة الأولى كانت الإساءة والمهاجمة له ﷺ ولكلٍّ من نَصَرَه؛ حتى وإن لم يكن على دينه، وذلك من جانب المشركين. أما في الصورة الثانية تجلت في الإساءة إليه ﷺ في قعر بيته، وفي عرضه، والعرب تعلم أنَّ عرض العربي هو أغلى ما يملك، وفي حمايته يبذل دمه.

وفي هذا المطلب سنذكر –إن شاء الباري عزّ وجلّ– الأثر الاجتماعي للإساءة إلى النبي ﷺ داخل المجتمع المسلم، ممثلاً بهاتين الصورتين، وما عاد في هذا الزمان من التعدي على عِرْضِه ﷺ.

الفرع الأول: الحصار في شِعْبِ أبي طالب والمقاطعة الاجتماعية.

ازداد إيذاء المشركين من قريش أمام صبر النبي ﷺ والمسلمين على الأذى والإساءة، وأمام انتشار الإسلام في القبائل، فبلغ الأذى قمَّته في الحصار المادي والمعنوي، الذي ضربته قريش ظلماً وعدواناً على النبي ﷺ وعلى بني هاشم وأتباع هذا الدين الجديد، فظهر نوع جديد من الإساءة وهي المفارقة والهجرة الاجتماعية.

قال الزهري: (ثم إنَّ المشركين اشتدّوا على المسلمين كأشدّ ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتدّ عليهم البلاء، واجتمعت قريش في مَكْرِها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية، فلما رأى أبو طالب عملَ القوم، جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، ويمنعوه ممّن أراد قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حميّة، ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً، فلما عرفت قريش أنّ القوم قد منعوا رسول الله ﷺ فأجمعوا أمرهم ألا يجالسوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة: عهوداً ومواثيق، ألا

يتقبلوا من بني هاشم أبداً صلحاً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل)[1]. وفي رواية: على ألا ينكحوا إليهم، ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يخالطوهم، ولا يجالسوهم، ولا يكلموهم، ولا يدخلوا بيوتهم) [2].

ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور ابن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف، وصحح ابن القيم أنّه بغيض بن عامر بن هاشم، ويقال: إنَّه النضر بن الحارث، وقد دعا عليه النبي ﷺ فشُلَّت يده[3].

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فأتى فراشه، حتى يراه من أراد به مكراً أو غائلة، فإذا نام الناس، أخذ أحد بنيه أو إخوته، أو بني عمه، فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ، وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فُرُشِهِم فيرقد عليها. وكانت بداية المقاطعة في ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة، وبقوا محبوسين ومحصورين، مُضيَّقاً عليهم جداً، مقطوعاً عنهم كل شيء ، حتى بلغهم الجهد، وسمعت أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشِعْب[4].

وهناك أنشد أبو طالب قصيدته اللامية المشهورة، أولها:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلاً غير آجلاً.

---

(1) انظر: تفاصيل القصة وما تخللها من أحداث: البيهقي، دلائل النبوة، ج٢، ص٨٠-٨٥، ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢، ص٤٣-٧٢، السهيلي، الروض الأنف، ج٢، ص١٠١-١٢٩.

(2) انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحج، باب نزول النبي ﷺ مكة، حديث ١٥٨٩، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر، حديث ١٣١٤، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٣-٦، ابن القيم، زاد المعاد، ج٢، ص٦٣-٦٥،.

(3) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٣، ابن القيم، زاد المعاد، ج٢، ص٦٦.

(4) أنظر: ابن القيم، زاد المعاد، ج٢، ص٦٦.

وكانت قريش منقسمة في موقفها من هذه المقاطعة ، ولذا سعى بعضهم في نقضها ، وظهرت من بعضهم أقوال تبرأ منها، فقال المطعم بن عدي وهشام بن عمرو: (ونحن براء من هذه الصحيفة القاطعة الظالمة العادية، ولن نماليَ أحداً في فساد أنفسنا وأشرافنا) [١].

وفي خبر المقاطعة روى البخاري من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى: (نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر)، وذلك أن قريشاً وبني كنانة تحالفت على بني هاشم وبن عبد المطلب، أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ يعني بذلك المحصب) [٢].وقد ذكر ابن حجر أنَّ البخاري لم يذكر غير هذا الحديث، واكتفى بحديث أبي هريرة للدلالة على القصة، وكان كلام أهل السِيَر والمغازي كالشرح لقوله:(تقاسموا على الكفر) [٣].

ونرى فيما سبق مدى الأثر الاجتماعي الذي تركه هذا العدوان النفسي والقطيعة الاجتماعية، فينبذ النبي ﷺ هو ومن آمن معه، حتى أقاربه الذين بقوا على الكفر، كان لها الأثر الاجتماعي البالغ من حيث ما يأتي:

١. قطيعة الرحم.
٢. الظلم والعدوان من الأقارب للعمل ضد الرسالة وصاحبها.
٣. عدم الزواج منهم وتزويجهم، ونبذ كل من يقف معهم، حتى من أقرب الناس لهم.
٤. الأثر النفسي الذي لحق بالصحابة والصبيان والنساء، عدا عن الأثر الجسمي من العذاب والجوع.

---

(١) انظر: ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٥٦-١٦٢، ابن كثير، ج٢، ص٤٣.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحج، باب نزول النبي مكة، حديث ٦٧٦٤، مسلم، كتاب الحج، باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة فيه حديث ١٣١٤، والمحصب اسم مكان متسع بين مكة ومنى، وهو إلى منى اقرب..

(٣) أنظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص١٩٣.

ويمكننا استخلاص بعض الدروس والعبر من هذه القطيعة الاجتماعية:

١. إن حِماية مشركي بني هاشم وبني عبد المطلب رسول الله ﷺ هو أثر من آثار الجاهلية، ومن هذا نأخذ أنه يسع المسلم الاستفادة من قوانين أهل الكفر.

٢. إنّ حقوق الإنسان في عصرنا ضمان للمسلم، والحرية الدينية العادلة في كثير من البلدان يستفاد منها، وهناك قوانين في كثير من الأقطار تعطي للمسلمين فرصةً للاندماج الاجتماعي ونشر الإسلام وصورته الصحيحة[١].

٣. حماية أقارب رسول الله ﷺ له لم تكن حماية للرسالة التي بعث بها، وإنما كانت لشخصه من الغريب، وإذا أمكن أن تستغل هذه الحماية من قبل الدعاة والمسلمين كوسيلة من وسائل الجهاد وحماية الدعوة، والتغلب على الكافرين، والرد لمكائدهم وعدوانهم، فهي وسيلة لها قوتها وفاعليتها، وهي نعمة من الله ينتبه لها وتستعمل[٢].

٤. انتصر أبو طالب في غزو المجتمع الجاهلي وهزَّ كيانه الاجتماعي وجيَّش النفوس فيه، واستقطب المعادن الطيبة فيه من خلال شعره وقصائده التي هزت النفوس، فتحرك بعضهم لنقض العدوان والظلم، وذلك من خلال الأقارب والأصدقاء لبني هاشم وبني المطلب، واستطاعوا أن يرفعوا هذه الظُلامة، وهذا الحَيْف الاجتماعي عن المجتمع المسلم، والإساءة إلى صاحب الرسالةﷺ، وإنْ كان على غير دينهم، فخططوا لذلك ونجحوا وأعادوا للمجتمع المؤمن المسلم متانته وقوته، وفي هذا الموقف إشارة إلى أن كثيراً من النفوس التي تبدو في الظاهر معادية وجاهلية قد تملك في أعماقها رفضاً للظلم والبغي وتستغل الفرصة المناسبة

---

(١) حوى، سعيد، الأساس في السنة وفقهها، دار السلام، مصر، د. ط، د. ت، ج١، ص٢٦٤، بتصرف.

(٢) البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط١١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، ص٨٨ بتصرف.

لحماية الإسلام ودعوته من الظلم والعدوان بأيديهم ووقوفهم إلى جانبه، فقد يستفاد في خدمة الإسلام من غير المسلم، كما حصل من بعض المستشرقين وغيرهم[1].

من هنا نرى مدى الظلم والإساءة والعدوان على المجتمع المسلم، ومحاولة فصله عن دعوته ودينه، ثم فصله عن بني رحمه من خلال المقاطعة الاجتماعية، التي أوصلت إلى الحبس لمدة ثلاث سنوات مع النساء والصبيان والشيوخ، حتى بلغ منهم الجَهْد مبلغه، وأنْ لا يُتزوَّج منهم ولا يُزَوَّجوا، وأن يُنْبَذُوا، حتى جاءهم الفرج من عند الله عزوجل، وفي هذا درسٌ للدعاة والمصلحين أنهم قد يُحَارَبوا اجتماعياً لدعوتهم وحملهم الرسالة، فليستخدموا الأساليب والوسائل الممكنة والمتاحة لحماية دعوتهم، وأن يبنوا لُحمة اجتماعية متينة مع قومهم وأوطانهم حتى يجدوا من يحميهم وإن كان غير مسلم[2].

الفرع الثاني: قصة الإفك.

وفي قصة الإفك ظهر الأذى الاجتماعي جلياً واضحاً، من مهاجمة بيت النبيﷺ وأزواجه وعِرْضه، ثم إيذائه في ذلك من خلال بثِّ الإشاعة الكاذبة والطعن فيه لزعزعة الإيمان في نفوس المؤمنين، وزعزعة الصف المسلم، وهزَّ أركانه.

وحادثة الإفك هي صورة قاسية من صور الإيذاء والمِحَن التي لقيها رسول الله ﷺ من أعدائه، ولقد كانت الأذيَّة أشد في وقْعِها على نفسه ﷺ من كلِّ تلك المحن السابقة، وتلك هي طبيعة الشر الذي يصدر من المنافقين، فهو دائماً أقسى من غيره وأبلغ في المكيدة والضرر، إذ

---

(1) الغضبان، محمد منير، فقه السيرة النبوية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مكة المكرمة، د.ط، د.ت، ص١٨٥ بتصرف.

2 الصلابي، السيرة النبوية، ص١٨٥-ص١٨٧، بتصرف.

تكون الفرص والأسباب خاضعة لهم أكثر من غيرهم، وخبر الافك صورة فريدة للأذى الذي تفرد به المنافقون[1].

وإنما كانت هذه القصة أبلغ من غيرها في إيذاء النبي ﷺ لأن كل ما كان قد كبده قبل ذلك من المحن هي أمور كان يتوقعها، وقد وطن نفسه لقولها وتحملها، بل كان منها على ميعاد في طريق الدعوة، أما هذه فقد فوجئ بها، لأنها ليس مما كان قد اعتاده حتى من أهل الكتاب أو المشركين، أنها شائعة، لو صحت لكانت طعنة في بيت النبوة، ولتفكك المجتمع المسلم وتهاتك، فإن العربي أعز ما يملك ويدافع عنه هو عرضه وكرامته، وما أدراه ﷺ أنها كانت صحيحة أم باطلة؟ من هنا كانت هذه الأذية ابلغ من غيرها في تأثيرها من كل ما عداها، ولأنها جاءت لتلقي بشعوره النفسي في اضطراب مثير لا مناص منه، وحتى أنها حركت كل المجتمع المسلم ومحصته، فاختبرت كل المجتمع في ذلك فخاض في هذه الإشاعة أقوام، وأمسك آخرون[2].

وقد أخبر الله عز وجل عن عظم هذه الفِرية والكذبة في حق بيت النبوة، وتوعد من قام بنشرها بالعذاب الأليم فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ

---

(1) انظر: عياض، عياض بن موسى، إكمال المعلم شرح مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء المنصورة، د.ط، ١٩٩٨م، ج٨، ص١٤٣، النووي، المنهاج شرح مسلم، ج١١، ص١٠٣، البوطي، فقه السيرة النبوية، ص٢١٠، بتصرف.

(2) ابن القيم، زاد المعاد، ج٢، ص١٥٦/ قطب، الظلال، ج٤، ص٢٥٠٠ بتصرف.

ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ١١-٢١).

فهم ليسوا أفراداً، إنما هم (عصبة) مجتمعةٌ ذات هدف واحد، ولم يكن عبد الله بن أبي ابن سلول وحده الذي أطلق ذلك الإفك، إنما هو تولى معظمه، الإفك الكذب الكبير[١]، وابن سلول يمثل عصبة من المنافقين أو اليهود؛ الذين عجزوا عن حرب النبي ﷺ والإسلام جهرة، فتواروا وراء ستار الإسلام ليكيدوا له، وليضربوا المجتمع المسلم بشتى الوسائل؛ ليزعزعوا قوة هذا المجتمع وتماسكه، فكان خبر الإفك إحدى هذه المكائد القاتلة، وكان حدث الأحداث في الإسلام، وأخطر تحدٍّ واجَه المجتمع المسلم كمجتمع واحد متماسك كانت هذه الإشاعة وسيلة لتوهين قوة الصف الإسلامي وزعزعته[٢].

وقد سقط بعض المسلمين في ذلك الخبر كحسان بن ثابت (شاعر النبي ﷺ) ومسطح بن أثاثة، وحَمْنَة بنت جحش- رضي الله عنهم أجمعين- وأقام عليهم النبي ﷺ حد القذف[٣].

واعتذر بعدها حسان لعائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها: فقال شعراً في ذلك:

رأيتك وليغفر لك الله حرة ... من المحصنات غير ذات غوائل

حصان[١] رزان[٢] ما تُزَنُّ[٣] بريبة ... وتصبح غرثى[٤] من لحوم الغوافِل

---

[١] ابن الأثير، النهاية، ج١، ص٦٦، مادو أفك.

[٢] انظر: الغضبان، المنهج الحركي في السيرة النبوية، ص٤٠٢، نوفل، أحمد، الإشاعة، دار الفرقان، عمان، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص٤٥ بتصرف.

[٣] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص١٩٧.

وإن الذي قد قيل ليس بلائق بك الدهر بل قوم امرئ متناحل

فإن كنت أهجوكم كما بلغوكم فلا رفعتْ سوطي إليَّ أناملي

وكيف وودي ما حييت ونصرتي لآل رسول الله زين المحافل

وإن لهم عزًّا يرى الناس دونه قصاراً، وطال العز كل التطاول[٥].

من هنا نرى مدى قوَّة الإشاعة والكذب وأنها من أخطر الأسلحة على المجتمع والأفراد، وكم أقلقت الإشاعة من أبرياء وهدمت من بيوت عظماء، وقطعت وشائج الرحم بين المسلمين.

وحادثة الإفك هي حدث الأحداث في تاريخه ﷺ فلم يمكر به ﷺ وبالمجتمع المسلم مكراً أشد منه، وهي مجرد كذبة وإشاعة بيَّن الله –عز وجل– كذبها وزيفها، وهي لولا عناية الله –عز وجل– بالنبي ﷺ وبالمجتمع المسلم كانت قادرة على أن تعصف بالمجتمع بأكمله، ولا تبقي على نفس مستقرة مطمئنة.

ولقد مكث المجتمع المسلم في المدينة بأكمله شهراً كاملاً وهو يعاني من تلك الإشاعة، ويتعذَّب ضميره حتى خاض في ذلك بعض أفراده، حتى تدخل الوحي ليضع حداً لذلك ويدافع عن بيت النبي ﷺ ويعصم المجتمع المسلم من التفكك، ويتوعد من أشاعها[٦].

---

١ حصان: أي محصنة وهي من الإحصان وهو المنع،والمرأة تكون محصنة بالإسلام والعفاف، (ابن الأثير، النهاية، ج١،ص٣٨٨، مادة حصن).

٢ رزان: أي ذات ثبات ووقار وهيبة،(ابن الأثير، النهاية، ج١، ص٦٥٤، مادة رزن).

٣ تزن: تتهم، (ابن الأثير، النهاية، ج١، ص٧٣٤، مادة زنن).

٤ غرثى: جائعة، أي هؤلاء جائعون إلى لحوم الغوافل، (ابن الأثير، النهاية، ج٢، ص٢٩٦، مادة غرث).

(٥) مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان، حديث٦٦٤٥، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص١٧١، ابن كثير، السيرة النبوية، ج٣، ص٣١١، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م، ص٢٨١.

(٦) نوفل، الإشاعة، ص١٢٧، بتصرف.

وللإشاعة قدرة على تفتيت الصف الواحد والرأي الواحد وتوزيعه، فالناس أمامها بين مصدق ومكذب ومتردد، فأمسى المجتمع منقسم في تلك الإشاعة، وما فعله المنافقون وأذنابهم من اليهود إنما أطلقوه لإضعاف المجتمع المسلم والتشكيك بالنبي ﷺ لأنهم يعلمون أنَّ النبي ﷺ لن يقيم الحد على زوجته ولا على صفوان لعدم توفر الدليل، وعندها يرجف المرجفون أن محمداً ﷺ قد تستمد على جريمة من أكبر الجرائم- وهي جريمة الزنا- وهذا يقدح في رسول الله كنبي، وكرئيس دولة، أما كونه نبي: فلو كان نبياً حقاً لما جاز له أن يرضى إيواء زانية- وحاشاه- في بيته، فضلاً عن اتخاذها زوجة.

وأما أنه يقدح به كرئيس دولة: فإن العدالة التي ينادي بها، والمساواة بين الناس أمام الشرع سرعان ما تصبح أثراً بعد عين إذا ما مست مصالحة الشخصية، وبذلك يكون حامي الشرع هو أول المنتهكين له، فكيف يليق هذا برئيس دولة ونبي[1].

من هنا نرى خطورة الحرب النفسية وبث الإشاعات والأكاذيب في هدم المجتمع المسلم، وتقطيع أواصره، ولهذا قال النبي ﷺ: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)[2].

وعاد على مدى التاريخ الإسلامي بعض من ينتسبون إلى الإسلام بالطعن بأم المؤمنين- رضي الله عنها- وقد نقل ابن تيمية في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول):أنَّ من سبَّ أزواج النبي ﷺ وقذف عائشة كفر بلا خلاف، وقد حكى الإجماع عن غير واحد، فروي عن مالك أنَّ من سب عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- قد كذب بالقرآن وبراءتها، ونقل ذلك عن

---

(١) أنظر: قلعة جي، محمد رواس، قراءة سياسة للسيرة النبوية، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٢٠٨-٢٠٩ بتصرف.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الادب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث ٥٦٦٥ /مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث ٢٥٨٦، أحمد، المسند، حديث ١٨٣٩٨.

القاضي أبي يعلى، وذكر أنَّ من قذف إحدى أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة ونقل ذلك عن ابن عباس- رضي الله عنهما-[١].

وفي زماننا حاول المستشرقون ومن يدور في فلكهم أن يسيئوا إلى النبيﷺ ويشككوا فيه من خلال سَرْد هذه الحادثة بطريقتهم المسمومة، ومحاولة تشويه صورة النبيﷺ بين المسلمين وخارج المجتمع المسلم، فعندما تحدث المستشرقان (بروكلمان) و (وات) عن حادثة الإفك فقد صوَّرا تلك الحادثة بالفضيحة فقد تحدث بروكلمان بقوله: (أضاعت زوجته المفضلة عائشة قلادتها، فخرجت تبحث عنها مساء، ففاتها قوافل الغزاة، ولم تعد إلى المعسكر إلا في اليوم التالي وبرفقتها شاب كانت قد عرفته من قبل، وتطرَّق الشك في إخلاص عائشة إلى نفس النبيﷺ)[٢].

ويقول وات مضيفاً بعض لَمَسَاته: (فقد تركت زوجة محمد الشابة عائشة قبل الوصول إلى المدينة في المؤخرة، ثم وصلت برفقة شاب جميل، فأخذت السنة السوء تلوك سمعتها، وجهد ابن أُبي في تضخيم الفضيحة، وأخذت الفضيحة بالانتشار خلال أسابيع دون أن يوضع لها حد، وجاء القرار من محمد ﷺ لصالح عائشة)[٣].

ويواصل وات في مكان آخر من كتابه عرض التفاصيل: (ومن بين الشائعات التي انتشرت لتشويه سمعة عائشة شائعة تقول بأنها قبل فرض الحجاب تحدثت عدة مرات مع الشاب الذي عاد بها إلى المدينة)[٤].

---

(١) ابن تيمية، الصارم المسلول، ص٤٤٢-٤٤٣.

(٢) History of the Islamic peoples. P26، نقلاً عن: النعيم، عبد الله محمد، الاستشراق في السيرة النبوية، دراسة تاريخية لآراء وات ، بروكلمان ، فلهاوزن مقارنة بالرؤية الاسلامية، المعهد العالمي للفكرل الإسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة الامريكية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص١٦٢.

(٣) Mahammad atmadina, p186، نقلاً عن المصدر السابق.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٨٥، نقلاً عن الاستشراق في السيرة، ص١٦٢.

وما يريده بروكلمان ووات من خلال كلامهما هو إمكانية حدوث الجريمة والفضيحة، فعناصر الجريمة مكتملة بتصورهما، شاب جميل، وعائشة- رضي الله عنها- شابة، والاثنان على علاقة حميمة -بتصوِّرهما- ثم تأخرهما عن الجيش.

من هنا نرى مدى سوء هذه الشائعة والكذبة على المجتمع الإسلامي على مرِّ العصور، في زمانهﷺ وفي زماننا، وفي كل زمان، ولهذا أنزل الله عز وجل فيها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، ونختم بقول الزمخشري في (الكشاف) حول تلك الآيات المنزلة في براءة أم المؤمنين، والدفاع عن النبي ﷺ: قال: (ولو قلبت القرآن كله، وفتشت عما أوعد به العصاة لم تر الله قد غلَّظ في شيءٍ تغليظه في إفك عائشة- رضي الله عنها- ، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعقاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ارتكب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة، كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الآيات الثلاث لكفى بها، حيث جعل القَذَفَة ملعونين في الدارين جميعاً، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنَّه يوفيهم جزاءهم الحق الذي هم أهله) [1].

فلا يغيب عن المسلم أنَّ الله -عز وجل- يدافع عن الذين آمنوا، وأنَّه -سبحانه- قد توعد من يقذف عِرْض النبي ﷺ ويسيء إليه باللعنة في الدنيا والآخرة، وبالعذاب الأليم، فعلى المسلم ألَّا يتبع خطوات الشيطان في الإشاعات والكذب، خاصة في عرض النبي ﷺ والدعاة والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

---

[1] جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، ١٤٠٧هـ، ج٣، ص٢٢٣.

المبحث الثاني: أثر الإساءة إلى النبي ﷺ على المجتمعات الأخرى.

المطلب الأول: تشويه صورة الإسلام والنبي ﷺ.

دَأَب أعداء الإسلام وأعداء النبي ﷺ في محاربة الإسلام ونبيه ﷺ، ومحاربة كل من يحمل هذا الدين ، فجاءت الحرب لعدة أهداف؛ منها الحسد، ومنها الجهل بهذا الدين ونبيه ﷺ، ومنها عدم تصديق نبوة محمد ﷺ ثم إنكارها، فتنوَّع في ذلك المحاربون والمسيئون (المشركون، أهل الكتاب، المنافقون)، فحاربوا الإسلام بوسائل وأساليب متعددة، فكان منها التكذيب وإثارة الشبهات، ومنها التهجير والطرد، ومنها التعذيب والضرب، ومنها محاولات الاغتيال والقتل، ومنها الحرب الإعلامية بشتى وسائلها، ومن خلال هذه الأهداف وهذه الأساليب والوسائل أمسى هناك اثر على المجتمعات الأخرى (غير المسلمة) من خلال تشويه صورة الإسلام وصورة النبي ﷺ في أذهان أبناء المجتمعات الأخرى قديماً، وهذا التشويه استعملته قريش واستعمله اليهود ثم المنافقون في المجتمع المدني، فامتد هذا الأسلوب وهذا الهدف إلى زماننا، ويتضح جلياً من خلال الحرب الإعلامية التي أثيرت من عهد قريب على النبي ﷺ، وعلى الإسلام، حتى أصبح اسم الإسلام يرتبط بمصطلح الإرهاب والقتل والخوف، ومحاربة حقوق الإنسان، وأنه دين الخرافات وأن نبيه رجل قاتل متعطش للدماء إلى غيره من الشبهات التي مرت معنا.

وكل هذا يصدق عليه قوله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٢-٣٣).

وفي عهد النبي ﷺ نقف عند صورة من صُور محاولة تشويه صورة الإسلام في المجتمعات الأخرى غير المسلمة للصد عن هذا الدين، ألا وهي قصة هجرة الحبشة، فقد روى أهل السير عن

أم سلمة–رضي الله عنها– زوج النبيﷺ خبر هجرة الحبشة[1]، وكيف حاولت قريش تشويه صورة المسلمين أمام ملك الحبشة وأهلِها، وكيف بعثت قريش عمرو بن العاص – رضي الله عنه– ومَنْ معه للحبشة، ثم ما حاول به عمرو –رضي الله عنه– من الإساءة إلى المسلمين ودينهم الجديد.

ويمكننا أن نرى جلياً مدى محاولة قريش تشويه صورة الإسلام في هذا المجتمع الجديد غير المسلم، كي يقوِّضوا تلك الجالية الإسلامية الجديدة، فيردُّهم ذاك الملك العادل إلى قومهم، والى العذاب الأليم حتى يَهدموا هذا الدين ومن يتبعه، ولكنَّ حِفْظ الله –عز وجل– لدينه وأتباعه هو الغالب في كل زمان ومكان، والناظر إلى أسباب الهجرة إلى الحبشة يجدها متعددة، ولذلك حرص النبي ﷺ على اختيار نوعيات معينة، لتحقيق هذه الأهداف، كشرح قضية الإسلام والدفاع عنها، وبيان موقف المسيئين لهذه الدعوة وصاحبهاﷺ، وقد بيَّن جعفر بن أبي طالب –رضي الله عنه– كيف كانوا في الجاهلية من سوء وجهالة، وإثم وقطيعة رحم، ثم إقناع الرأي العام بعدالة قضية المسلمين، على نحو ما تفعله الدول الحديثة من تحرك سياسي، يشرح قضاياها، وكسب الرأي العام إلى جوارها، وفتح أرض جديدة للدعوة، فلذلك هاجر سادات الصحابة في بداية الأمر، ثم لحق بهم أكثر الصحب، وأوكل الأمر إلى جعفر.

وقد مر معنا أمثلة حول الحرب الإعلامية الموجهة ضد النبي ﷺ وضد الإسلام سابقاً، كما في قصة تشاور قريش قبل موسم الحج للاتفاق على رأي واحد إزاء هذا الدين الجديد وهذا النبي الجديد، وما كان يشيعه أهل مكة حول النبي ﷺ من شبهات وإشاعات في آذان من يدخل مكة[2].

---

(1) انظر: ابن حنبل، المسند، حديث ١٧٤٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه احمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرَّح بالسماع)، حديث ٩٨٤٢، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٩٠–١٩٤، البيهقي، دلائل النبوة، ج٢، ص٣٠١–٣٠٤، والحديث إسناده حسن.

(2) كقصة إسلام أبي ذر الغفاري– رضي الله عنه– وخبر أخيه، وقصة إسلام ضماد الأزدي وغيرهما.

على مر التاريخ إلى زماننا بقي هذا الهدف من تشويه صورة الإسلام وصورة نبيه ﷺ باقياً في أذهان وعقيدة أعداء الإسلام، فتطورت أساليبهم وتغيرت مع تغير الزمان، وتطورت أساليب الإنسان، فحاول أعداء الإسلام التأثير على المجتمعات الأخرى وصدهم عن الإسلام بعدة وسائل.

وفي زماننا فالحوادث كثيرة في تعمُّدِ تشويه صورة الإسلام، فقد حاولت كثير من الدول الحاقدة على الإسلام ونبيهﷺ تشويه صورة النبي بشتى الوسائل، وبكل ما أوتوا من قوة، فقامت بعض الدول ببعض الأمور المسيئة للنبيﷺ، وكذلك فعلت بعض الشخصيات المقربة من هذه الدول، وهم في ذلك يلتقون على الإساءة للنبيﷺ.

فمنه ما نشرته صحيفة (هيوستن برس) الأمريكية الأسبوعية، في ولاية تكساس من إعلان لدار عرض أمريكية، تعرض فيلماً اباحياً بعنوان: "الحياة الجنسية للنبي محمد" ورغم الاحتجاجات التي تلقتها دار السينما من مسلمي ولاية تكساس، إلا أنها رفضت إيقاف عرض الفيلم، واستعانت بالشرطة لصد المتظاهرين.وبالطبع لم يتم إجراء لمنع عرض الفيلم من قبل المسئولين[١].

ومن الحوادث القديمة نسبياً والتي تذكر في هذا الصدد حادثة الهجوم على المقر الرئيس لمنظمة بني بريث[٢] ومبنيين رئيسيين في واشنطن العاصمة عام ١٩٧٧م طلبت فيه مجموعة إسلامية بإلغاء الفيلم السينمائي "محمد رسول الله" ودفع مبلغ ٧٥٠ دولاراً كغرامة، وتسليم الرجال الذين قتلوا "مالكوم إكس"[٣] الداعية المعرف باسم: الحاج مالك شباز.

---

(١) العمر، ناصر، ظاهرة الإساءة إلى النبي ﷺ وشريعته في الغرب، بحث مقدم لمؤتمر النصرة، ص٣.

(٢) منظمة صهيونية ذات ميول ماسونية معروفة، وفي هذا المقام ولرد الفضل لأهله: استفدت من هذا البحث في الإحصائيات والأرقام.

(٣) مسلم أمريكي كان في مبدأ أمره مقدماً في حركة أمة الإسلام يدين بعقيدة الأليجا، وهي طائفة باطنية عنصرية مشبوهة، يرى بعض المحللين أنها مدعومة بغرض هدم الإسلام باسم الإسلام ولا سيما بين الزنوج، ثم يسر الله لمالك الحج ولقاء العلماء بالجزيرة ومصر والسودان فرجع وانشأ جماعة أسماها "جماعة أهل السنة" وشرع في الدعوة إلى دين الحق بصورته الصحيحة، وظل على هذه الحال يسلم على يديه الفئام ويرجع إلى الدين الحق من خدع بالأفكار الباطنة حتى كان يوم ١٨ شوال سنة ١٣٨١هـ عندما دعي مالك شباز لالقاء محاضرة بجامعة نيويورك وعندما صعد المنصة وأخذ يدعو للإسلام وحدثت مشاجرة مفتعلة في وسط القناعة فالتفت اليها الحاضرون وفي غفلة من الناس انطلقت ثماني عشرة رصاصة غادرة من ثلاث رجال جالسين بالصف الأول لتستقر في جسد هذا الداعية،http://ar.wikipedia.org

والغرض من هذا بيان أن الحملة على نبينا ﷺ قديمة في الغرب وقد كانت لها آثارها إذ ذاك، ولكنها تنشط حيناً وتضمحل حيناً آخراً.

ومن هذا القبيل نشاط عدد من الإعلاميين الغربيين قديماً وحديثاً ودأبهم على تشويه صورة الإسلام والمسلمين عن سبق إصرار وترصد بدعوى حرب الإرهاب والأصولية.

وهذا ليس بالأمر الجديد ففي عام ١٩٨٥م خصص الإعلامي الفرنسي المخضرم (برناربيفو) في برنامجه الثقافي الذائع الصيت "ابوستروف" أو "فاصلة" بالعربية، حلقة خاصة عن القرآن والعنف، دعا إليها (محمد أركون)، و(علال سي ناصر) و(جيل كبيل) وآخرون، ورغم هذا العنوان القاطع للحلقة الذي يربط دون تردد بين القرآن والعنف، نجد أن هذا الصحافي يعترف منذ البداية وهو يقدم للموضوع بأنه لم يقرأ القرآن إلا أنّه فيما يبدو كان قادراً على استخلاص الحُكم بأنَّ القرآن يدعو للعنف حتى بدون قراءته[١].

وفي أيامنا وجد بعض الكتاب قد نذر نفسه لتلك المهمة ومن امثلتهم الكاتب: (دانييل بايبس) المعروف بانتقاده للسياسات العربية ودعمه للتدخل الأمريكي في الشرق الأوسط الذي يلهج بذكر التهديد الإسلامي الوشيك، وبه اسهامات كثيرة في هذا الصدد[٢]، آخرها مقال يحرض فيه على منظمة (كير) ويدأب فيه على تشويه صورتها.

وأما الصعيد الثاني فهو متمثل في بعض القيادات الدينية، فبعض الإساءات العظيمة لنبيناﷺ خرجت من أشخاص لا يقال: ليست لديهم خبرة بالأديان، بل لهم خبرة بالأديان، بل إن

---

(١) العمر، ظاهرة الإساءة، ص٣-ص٤.

(٢) على الرابط التالي: تعريف به وببعض جهوده : http://righweb.irc-online.org/profile/1316 وعلى موقعه الذي جنده لحرب الإسلام عشرات المقالات والمشاركات الطاعنة في الإسلام والمناصرة للصهيونية الداعية للتدخل الأمريكي في سياسات الشرق الأوسط بقوة: http://www.danielpipes.org .

الإساءة إلى رسول الله ﷺ جاءت من رجال الدين النصارى أنفسهم ففي في عام ١٤٢٣هـ نشطت حملة قساوسة في أمريكا غرضها الطعن في نبينا ﷺ وتشويه صورته.

منهم (جيري فالويل) [١] وهو صاحب كتاب: (فلنتقدم إلى معركة هرمجدون) [٢] وضع في أوله سيرة زائفة لنبينا ﷺ، ويجدر هنا قبل نقل كلمة ذائعة له أن يعلم أن حزب بوش في ١٦ /اكتوبر/٢٠٠٢ قام بتكريم كل من القسيسين (بات روبتسون) و (جيري فالويل) هذا لمساهمتهم في دعم التيار اليميني المحافظ والحزب الجمهوري.

يقول جيري فالويل في حديث له بُثَّ بتاريخ ٦/أكتوبر/ ٢٠٠٢ على برنامج "٦٠ دقيقة" قال: "أنا اعتقد أن محمداً كان إرهابياً، لقد قرأت ما يكفي من المسلمين وغير المسلمين،و أنه كان رجل عنف، ورجل حروب.. وهذا يشعرك بمعنى الإرهاب الذي يحاربون [٣].

ونحن لا ندري ماذا قرأ للمسلمين؟ هل قرأ قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

---

(١) قسيس، إنجيلي، يعيش في منطقة لينشرج بولاية فرجينيا، له برنامج أسبوعي إذاعي وتلفزيوني يصل لأكثر من ١٠ مليون منزل، وله جامعة أصولية تسمى جامعة الحرية في فرجينيا، عُرف بسبه وشتمه لنبينا صلى الله عليه وسلم، ويجدر بالذكر أن الاسرائيلين أهدرا طائرة خاصة لفولويل من نوع ويندستريم ثمنها ٢٠٥-٣٠٥ مليون مع قطع غيار بقيمة نصف مليون دولار، وظهر فولويل كأول سياسي مرموق يقول: على أمريكا دعم إسرائيل ليس من أجل مصلحة إسرائيل فقط ولكن من أجل المحافظة على أمريكا نفسها، ومع اقتراب انتخابات ١٩٨٠م زاد بروز فولويل وسلطت الصحافة أضواء على منظمته المعروفة باسم الأكثرية الوطنية، وقرر ريغان مكافأته فمنحه ميدالية تحمل اسم فلاديمير زيف جابوتنسكي الايدولوجي الصهيوني اليميني واستاذ بيغن وعلى العموم كما تقول هالسل: "لفولويل وبيغن نفس الأهداف: انهما يعيشان القوة ويبرران العنف من أجل تحقيقها"، العمر، ظاهرة الإساءة، ص٤.

(٢) وهي معركة نهاية التاريخ التي يرى البروتستانت حتميتها مع المسلمين عند سفح هرمجدون، وقد نشر الكتاب في موقعه على الانترنت: www.falwell.comm .

(٣) العمر، ظاهرة الإساءة، ص٤.

مثال آخر قول (بات روبرتسون)[١] ، وقد أشير إلى تكريم الحزب الجمهوري له مع (جيري) وقد تصدر (نشيد المسيح) افتتاح أعمال المؤتمر القومي للحزب الجمهوري من أجل اختيار بوش مرشحاً رسمياً في مارس ٢٠٠٠م، وأعلن فيه تبنيه لافكار تيار اليمين المسيحي.

يقول بات روبرتسون في برنامج "هانتي وكلوملز" الذي بُثَّ في قناة "فوكس الإخبارية" : "أنا أقول هذا القرآن ما هو إلا سرقة من المعتقدات اليهودية.. ثم هذا الرجل كان قاتلاً سفاك دماء"، وقال: "أظن أن الإرهاب قد غدا تياراً وليس فقط عند حفنة من المتطرفين، اذا اشتريت مصحفاً اقرأه بنفسك فستجد عنفاً يبشر به"[٢].

وقد أجبر هذا الرجل على الاعتذار عن قوله هذا، ولكنه عاد ليقول في كتابه الذي صدر حديثاً باسم: الاسم (The name) : "الإسلام أسس بواسطة مجرد فرد بشري مقاتل يسمى محمداً، وفي تعاليمه ترى تكتيك نشر الإسلام من خلال التوسع العسكري، ومن خلال العنف إذا كان ضرورياً" وقال: "الإسلام بخلاف المسيحية في تعاليمه الأساسية في تعاليمه تعصب عميق ضد أصحاب الديانات الأخرى"، فتأمل قوله عن النبي ﷺ : أنه كان يدعو قومه إلى قتل المشركين... إنه رجل متعصب الى أقصى درجة إنه كان لصاً وقاطع طريق ما يدعو إليه خديعة وحيلة.. ٨٠% من القرآن نقل من نصوص النصرانية واليهودية... ثم استدار ليقتل اليهود"[٣].

---

(١) قسيس انيجلي، معروف باهتماماته السياسية، وتأييده المطلق لإسرائيل، يمتلك عدداً من المؤسسات الإعلامية من بينها نادي الـ ٧٠٠، وله برنامج تلفزيوني يصل إلى عشرات الملايين في الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى امتلاكه محطة فضائية تصل إلى ٩٠ دولة بأكثر من ٥٠ لغة وهي محطة (البث النصراني) وغيرها، كما أنه يقف خلف اكبر تحالف سياسي ديني ي الحزب الجمهوري وهو "التحالف النصراني" ، ويجدر بالذكر أنه ترشح للانتخابات الرئاسية في عام ١٩٨٨م ثم كان هذا الرجل سبب فوز بوش الصغير برئاسة الحزب الجمهوري في مارس ٢٠٠٠م، فقد كان يقود الائتلاف اليميني المسيحي مؤيداً له، وقد كشف عن هذا منافس بوش، (جون ماكين). (ناصر، ظاهرة الإساءة، ص٥).

(٢) العمر، ظاهرة الإساءة، ص٥. بتصرف.

(٣) العمر، ظاهرة الإساءة، ص٥-٦.

ثم تتكرر الصورة مرة أخرى فيجعل المفسدين من الذين فعلوا بالمسلمين الأفاعيل بمكة والمدينة ونقضوا العهود والمواثيق وعمدوا إلى قتل النبي ﷺ مراراً وقتلوا من أتباع دينه من قتلوا يجعل هؤلاء المجرمين المفسدين ضحية ويجعل المسلم البريء مفسداً.

مثال ثالث: يقول (جيري فاينز)[١]: (وهذا الرجل عمد بوش ليكون من النصراء الأوائل لسماحة العقيدة، شاذ يميل للأطفال وتزوج ١٢ زوجة آخرهن طفلة عمرها تسع سنوات)[٢].

وهذا الكلام قول من قائله بغير دليل، ولمجرد الهوى ويكفي أن يَعلم قائله أنَّ النبي ﷺ تزوَّج زوجته الأولى خديجة–رضي الله عنها– وهي تكبُره بأكثر من خمسة عشر عاماً، وأنَّه لما بنى بعائشة–رضي الله عنها– وهي ابنة تسع لم ينكر أحدٌ هذا، ولا تكلم به المنافقون الحاضرون الذين هم في الحرص على الكيد والطعن في النبي ﷺ مع جيري هذا سواء، ولكنهم أعلم بواقع ذلك الجيل وأعرفه، معهودٌ عندهم أن تنكح المرأة إذا بلغت التسع وبلغت شأن النساء، ولذلك ما بنى بها النبي ﷺ حتى بلغت التسع، وبالرغم من أنه تزوجها قبل الهجرة بثلاث سنين، ثم أنه لم يتزوج بكراً غيرها، وهو سيد قومه، بل سيد البشر أجمعين.

ثم إنَّ هذا الكلام يذكرنا بكلام قتلة الأنبياء من قبله في المسيح ابن مريم وأمه، فقد اتهموها بالشذوذ في تلمودهم، فقالوا في تلمودهم: "إن يسوع المسيح كان ابناً غير شرعي، حملته أمه خلال مدة الحيض من العسكري بانديرا بمباشرة الزنا"[٣].

وأخيراً يحسن التنبيه إلى أن هؤلاء القساوسة تجيء إساءتهم في مجامع مشهودة، وفي مناسبات مقصودة، فهم يعْنُون ما يقولون ويتعمَّدونه، ويرتِّبونه، فليست هي فَلَتَات لسان من قبيل

---

(١) هو راعي كنيسة جاكسون فيل في فلوريدا، والرئيس السابق للمؤتمر السنوي للكنيسة المعمدانية الجنوبية، والذي يمدحه بوش جهاراً فيذكر عنه أنه من المتحدثين بصدق عن دينهم وهو من ابرز المتحدثين في المؤتمر السنوي للكنائس المعمدانية الجنوبية، ويعد أكبر مؤتمر ديني يعقد في كل عام)، http://rasoulallah.net

(٢) www.nusrah.tv/showthread

(٣) نقلاً عن: العمر ، ظاهرة الإساءة ، ص٦.

الفلتات البريئة، بل هي تفضح ما انطوى في صدور أعداء للإسلام والرسول ﷺ الذي لا يظهرونه، والعداوة معلنة صريحة يُدعى لها، ولهذا اختار جيري فاينز الاجتماع السنوي في مدينة (سانت لويس) بولاية ميسوري الأمريكية ليُلقي طُعوناته في نبينا ﷺ ولم يكتف وقال: (لن يقوم الرب بتحويلك إلى إرهابي يحاول تفجير الناس وأخذ أرواحهم) [١]ومع ذلك يلقون تأييد الحزب الجمهوري، وينالون ثناء بوش، فمن الطبيعي بعدها أن يتأثر بهم الإعلام، الذي هم سلفاً جزء منه بمؤسساتهم الإعلامية النصرانية المتعددة[٢].

المطلب الثاني: الأثر الاقتصادي

رأينا سابقاً آثاراً للإساءة للنبي ﷺ ومحاربته، فتنوعت الآثار بين المجتمع المسلم وأفراده، وآثار كانت على المجتمعات الأخرى، ومن هذه الآثار التي يشترك فيها المجتمع الإسلامي وغيره من المجتمعات الأثر الاقتصادي.

يعدُّ الاقتصاد أهم أركان الدولة فإن كانت الدولة تتكون من: أرض وشعب وموارد ودستور يحكمها، فالموارد هي عماد هذه الدولة من حيث المال والموارد والاقتصاد والتجارة والصناعة، وتهتم الدول دائماً بتحسين اقتصادها، فقوتها وهيبتها بقوتها الاقتصادية[٣].

ومن ذلك دأب أعداء النبي ﷺ قديماً في ضرب اقتصاد المسلمين والتضييق عليهم في أرزاقهم وقوتهم حتى يصدوهم عن الإسلام، ومن ذلك الحصار الاقتصادي في شِعْب أبي طالب، فقد مر معنا أثر الحصار الاجتماعي، فنقف هنا معه في أثره الاقتصادي.

ورد في بنود الصحيفة :(على ألا ينكحوا إليهم، ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، ولا يدعوا سبباً من أسباب الرزق يصل إليهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً، ولا تأخذهم بهم رأفة) [١].

---

(١) www.nusrah.tv/showthread

(٢) www.nusrah.tv/showthread

(٣) انظر: قلعه جي، قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص٦٢-٦٣ بتصرف.

فنرى كيف كان التأثير الاقتصادي في وقف تجارة بني هاشم وقريش فيما بينهم من أجل الإساءة إلى النبي ﷺ لمدة ثلاث سنوات، وفي هذه المدة كم جاع أطفال ونساء وعجزة، وكم تأثر اقتصاد قريش في عدم البيع والشراء من بني هاشم والمسلمين، وفي هذا الموقف وهذا الحصار جهد النبي ﷺ والمسلمون جهداً شديداً حتى أكلوا ورق الشجر، وذكر أصحاب السِيَر أنهم كانوا إذا قدمت العير مكة، يأتي أحد أصحاب رسول الله ﷺ إلى السوق ليشتري شيئاً من الطعام يقتاته لأهله، فيقوم أبو لهب فيقول: (يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئاً معكم)[٢]، فأثار هذا الحصار الاقتصادي والاجتماعي سخط العرب على كفار مكة، لقسوتهم على بني هاشم وبني عبد المطلب، كما ثار عطفهم على النبي ﷺ وأصحابه، فما أن انفك الحصار حتى أقبل الناس على الإسلام، وحتى ذاع أمر هذه الدعوة، وهكذا ارتد الحصار الاقتصادي على أصحابه وكان عاملاً قوياً في انتشار الدعوة الإسلامية، عكس ما أراد زعماء الشرك تماماً[٣].

فعلى كل شعب في أي وقت يسعى لتطبيق شرع الله عز وجل وكل داعية صادق أن يضع في حسبانه احتمالات الحصار والمقاطعة من أهل الباطل، فالكفر ملة واحدة، وعلى قادة الأمة الإسلامية استعمال هذا السلاح، وهو ما حصل من بعض الشعوب الإسلامية في ردة فعلها على الإساءة إلى النبي ﷺ من قبل الصحف الدنماركية والهولندية وغيرها، حيث تمت مقاطعتهم لمنتجات تلك الدول، حتى ضجَّت تلك الدول، فهم يعلمون أن الدول الإسلامية هي من أكبر المستوردين –وللأسف– لمنتجاتهم. وعلى المسلمين الاستعداد لتوقع استعمال هذا السلاح ضدَّهم في أي وقت، ووضع الحلول المناسبة لمقاومة الحصار بالبدائل المناسبة، كي تتمكن الأمة من الصمود في وجه أي نوع من أنواع الحصار.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٣، ابن القيم، زاد لمعاد، ج٢، ص٦٥.

(٢) السهيلي، الروض الأنف، ج٢، ص١٢٨، حبنكة، مكائد يهودية، ص٩٦-٩٧.

(٣) انظر: كحيل، الحرب النفسية ضد الإسلام، ص١٠١.

وفي سبب غزوة بدر يتحدث أهل السّير أنه قد بلغ المسلمين تحرك قافلة تجارية كبيرة من الشام تحمل أموالاً عظيمة لقريش[1] فبعث النبي ﷺ أحد الصحابة ينظر خبر تلك القافلة، فعاد بخبرها، فندب النبي ﷺ، أصحابه للخروج في طلب القافلة وتوجيه ضربة اقتصادية لقريش فقال ﷺ : (هذه قريش فيه أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها)[2].

فنرى سياسة رسول الله ﷺ في محاولة ضرب اقتصاد قريش التي كانت تخاف عليه دائماً، فهم بلد اقتصادي تجاري، وعماد عيشهم على التجارة، ويتوضح خوفهم على تجارتهم واقتصادهم عندما أعلن أبو ذر الغفاري إسلامه في مكة، فقام أهل مكة بضربه فجاءهم العباس فقال لهم: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام؟ فأنقذه منهم[3].

فهاهم يخافون على تجارتهم واقتصادهم، والناظر إلى غزوات النبي ﷺ ومحاولته التضييق اقتصادياً على كل من يقف في وجه الدعوة ومن يحاربها، وآثار تلك الغزوات.

وبنو قريظة عندما نقضوا العهد ضرب اقتصادهم ومثلهم بنو قينقاع ، وكذلك قطع نخيل بني النضير الذين نقضوا العهد؛ هو ضربة لمواردهم الاقتصادية، فنرى مدى الاهتمام بالحرب الاقتصادية منذ القدم وفي عهده ﷺ، وإنْ كان قد تأثر المسلمون بالحرب الاقتصادية في القديم والحديث، فلقد كان تأثر أعداء الإسلام والنبي ﷺ أكثر، ويتضح ذلك في زماننا، وعندما أساء أهل الكفر إلى النبي ﷺ بالرسوم الكاريكاتورية في الدنمارك وهولندا وغيرها، قرر المسلمون مقاطعة منتجاتهم وضرب اقتصادهم فثارت حفيظة تلك الدول فقرروا الاعتذار، وذلك خوفا على اقتصادهم الذي كان أكبر متضرر من تلك الإساءة.

---

(١) انظر: الصلابي، السيرة النبوية، دروس وعبر، ص١٨٧.

(٢) (قدرت قيمة تلك القافلة وما تحمله بحوالي مئة وخمسين ألف دينار من الذهب)؛ الصلابي، السيرة النبوية، ص٣٩١.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي –ذر رضي الله عنه– حديث ٣٨٦١، مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي ذر، حديث ٢٤٧٤.

الفصل الثالث: منهج الدفاع عن النبي ﷺ.

رأينا أن النبي ﷺ كان مقصوداً بالعداوة والإساءة من قِبَل أهل الكفر والعداوة ، فقد تفنن المشركون واليهود والمنافقون على مرِّ الأزمان في أساليب الإساءة إلى النبي ﷺ ووسائلها، فكانت: مرةً بالكلام وأخرى بالضرب أو محاولة القتل، إلى الوسيلة النفسية والمقاطعة الاجتماعية، ومن نقض العهود والمواثيق إلى سياسة التهجير والقمع والطرد، ثم الحصار الاقتصادي، وغيرها من الوسائل والأساليب.

ومع كل هذه الأساليب والوسائل تحمل النبي ﷺ وصبر نفسياً وجسدياً، حتى أتم الله -عزّوجلّ- هذا الدين كما وعد بقوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ (غافر: ٥١).

وفي هذا المقام سنقف مع بعض مَنْ دافع عن النبي ﷺ، وكان سبباً في ثباته في زمانه ﷺ، كما سنقف مع أساليبهم في الدفاع .

المبحث الأول: دفاع الله -جلّ وعلا- عن النبي محمد ﷺ في القرآن الكريم.

تنوع دفاع الله – تبارك وتعالى- عن نبيه بعدة أوجه، فهو الرب القادر المالك لكل شيء، وكان من تيسيره – سبحانه وتعالى- وتدبيره لنبيه ﷺ وانجاز لوعده، الدفاع عنه بشتى الوسائل.

وسيكون الكلام هنا عن الأمور الواضحة البينة التي لا يستطيع فعلها غيره سبحانه وتعالى مثل: القرآن الكريم والمعجزات، فهذه الأمور لا يستطيعها البشر، ولا يخفى على كل مُوَحِدٍ قيمة دفاع الرب عن نبيّه في القرآن والمعجزات، فهؤلاء الأنبياء هم خير البشر ورسل الله إلى الناس، اختارهم من بين خلقه واصطفاهم.

كان القرآن الكريم أكبر وسيلة من وسائل الدفاع عن الرسول ﷺ وعن الدعوة، فهو المعجزة الخالدة، والتي ترد في كل زمان ومكان على مَن يسئ إلى النبي ﷺ، وتأتي أهمية القرآن في الدفاع عن الرسول ﷺ من عدة أوجه:

أولها: أنه من عند الله –عزوجل–، لذا كان أكبر وسيلة للتخفيف على النبيﷺ، فكيف حال الإنسان إذا كان ربه سبحانه يخفف عنه ويسليه بكلام من عنده، ينزل عليه من فوق سبع سماوات ومع ملك هو من أكرم الملائكة.

ثانياً: تأتي أهمية القرآن في الدفاع عن الرسول ﷺ من خلا مكانة هذا القرآن عند العرب وعند أعداء الرسول أنفسهم، لأنه قد أعجزهم وأعياهم، ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، وهم الفصحاء البلغاء، وهو ينزل بلغتهم لا بغيرها، وقد قال عنه أشرافهم وسادتهم كما ذكرنا: أنه ليس بكلام البشر، فكيف يكون الوقع النفسي، وكيف تكون الروح المعنوية إذا علم الكفار وسمعوا القرآن يتوعدهم ويهددهم، في الوقت نفسه الذي يبشر فيه الرسول ﷺ ويسليه ويخفف عنه، ويضرب له الأمثال والقصص والعبر[1].

وقد كان منهج القرآن في الدفاع عن الرسول ﷺ يقوم على محورين :

أولهما: عملية إعداد الرسول ﷺ نفسه ليتحمل مسئولية الدعوة، وإمداده بما يحتاج إليه كل موقف .

[1] لم نذكر دفاع النبي ﷺ عن نفسه بسبب ما ذكرنا من تعامله مع مَن أساء إليه، فقد رأينا كيف كان تعامله مع هذه المواقف ، وكيف دافع عن نفسه ، مرة بالدعاء عليهم، ومرة بالدعاء لهم، ومرة بطلب الحماية من غيره وطلب الجوار، وغيره مما مرَّ معنا.

وثانيها: الرد على الكفار وأسئلتهم التي أرادوا بها إحراج الرسول ﷺ، وهذا يسمى في هذا العصر بالاتصال المزدوج أو الصاعد والهابط، الذي تتكامل بتكامل حلقات التأثير النفسي في مواجهة أي حرب نفسية[1].

المطلب الأول: القرآن يُعدُّ الرسول للدعوة ويؤيده:

أما عملية إعداد الرسول ﷺ لتحمل مسئولية الدعوة، فقد كانت تقوم على تعليم الرسولﷺ كيفية الدعوة بالأساليب المستحبة، التي ترغب الناس، كما كانت تقوم على حض الرسول ﷺ على الأخلاق الحسنة، والمعاملة الطيبة، وأيضاً حضِّه على الصبر كسلاح هام من الأسلحة التي يستعين بها على دعوة قومه، كما كان القرآن أيضاً يخفف عنه ويواسيهﷺ.

وأما ردُّ القرآن على الكفار وأسئلتهم فقد كان كما سنرى ينزل على الرسول حسب المواقف والأحداث مزوداً إياه بالرد المسكت على أعداء الإسلام، والذي لو كانوا معه يطلبون الحق لاهتدوا إليه، ولكنهم تمادوا في ضلالهم ولجوا في عنادهم، كان القرآن إذن يرفع روح الرسول المعنوية ويدفع عنه كيد أعدائه أولاً بأول.، وكانت السورة الثانية –من حيث النزول– من القرآن العظيم نزلت على الرسول ﷺ تعلمه أسس الدعوة ، وهي سورة المدثر؛ فيقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ (المدثر: ١-٧).

وهنا الأمر بالإنذار ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾ تكليف من الله –عزوجل– لرسوله ﷺ بنشر الدعوة ، ثم اتباع هذا التكليف بالأسلحة التي يتسلح بها الرسول ﷺ في نشر هذه الدعوة، والإنذار في اللغة معناه الإعلام والتنبيه، وليس الإرهاب والتخويف ولا العنف[2].

---

(١) خلف الله، محمد أحمد، محمد والقوى المضادة، مكتبة الانجلو مصرية، د.ط، ١٩٧٣م، ص٢٨١. بتصرف.

(٢) حمزة، عبد اللطيف، الإعلام في صدر الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ط، ١٩٦٩م، ص١٠٥.

والأسلحة التي زوَّد الله تعالى بها رسوله الكريمﷺ في نشر الدعوة: أن يكبِّر الله ويحمده، وأن ينبذ عبادة الأصنام، وأن يقف ضدها، وأن يطهر بدنه، وثيابه من المعاصي والآثام، تقول العرب: فلان طاهر الثوب أو الذيل، كناية عن أنه شريف طاهر النفس[1]، ثم بين الله ذلك صراحة في الآية التالية: "والرجز فاهجر" والرجز : المعاصي والآثام، أي ابتعد عن المعاصي والآثام- مادية ومعنوية- لتكون قدوة حسنة لمتبعيك ، لا عيب عليك، ولا ثغرة يدخل منها معاندوك ، وهو ما يمكن أن يسمى بالتحصين ضد الحرب النفسية المضادة ، أو سد الثغرات أمامها ، ثم أمره- سبحانه- الله أن يتسلح بعد ذلك بالصبر وعدم الضعف ، وإلا يستطيل طريق الدعوة الشاقة ، حتى يبلغ الدعوة على خير وجه ، ويرسم الطريق لأصحابه وتابعيه.

"فإن نجاح أي دعوة من الدعوات إنما يكون بطريق الاتصال المباشر، بشرط أن يتسلح الداعي بأسلحة ثلاثة: أولها سلاح العقل، الذي يهدي صاحبه في طريق الدعوة الجديدة، والى العقيدة الصحيحة، ثانيها سلاح النفس، بمعنى تحريرها من الأخلاق السيئة والعادات الذميمة، ثالثها صلاح البدن وذلك بحمايته من الآثام التي توهن الأجسام وتهدد كيانها، وهذه الأسلحة مستمدة من سورة المدثر، بالإضافة إلى سلاح الصبر الذي تشير إليه السورة ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ والذي بدونه لا يستطيع الإنسان أن يؤدي رسالته"[2].

وهكذا علم الله رسوله ﷺ الدعوة بالطرق السلمية والجدال المستحسن لا المتشدد ، فقال له: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٦) وقال تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ

---

(١) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص١١.

(٢) حمزة، الإعلام في صدر الإسلام، ص١٠٧، ١٠٨.

بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥)، وقال أيضا سبحانه: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨) أي أن الدعوة الجميلة من خصائصه ﷺ هو وأتباعه ، يقول تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾ (يونس: ١٠٨) ثم علمه الله سبحانه حُسن معاملةِ الناس في الدعوة﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ (فصلت: ٣٤).

لقد كان منطق الآيات الكريمة المكية ومضمونها واضحين في تصوير منهج الرسول ﷺ الذي كان يلتزمه ويتبعه في دعوة قومه إلى الحق المبين ، وكان يقوم في جوهره على أساسين سليمين : الأخذ بالعفو والأمر بالمعروف والإعراض عن الجاهلين ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، و لم يحاول النبي ﷺ تحكيم السيف بينه وبين أعدائه إلا بعد أن سلك في سبيل الدعوة إلى الإسلام كل أساليب المنطق والإثبات بالدليل البين ، والحجة الواضحة والإقناع بالحكمة والموعظة الحسنة"[1] ، وقد استغرق هذا ثلاثة عشر عاماً في مكة.

وقد أمر الله رسوله الكريم بالصبر كسلاح هام من أسلحة الدعوة فقال سبحانه: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ (المزمل: ١٠) وقال أيضا:﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴾ (القلم: ٤٨).

---

[1] الجمبلاطي، علي، وأبو الفتوح التوانسي، محمد نبي الإنسانية، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ط، ١٩٧٣م، ص٢١١.

ونظراً لأهمية الصبر بأنواعه التي يرافقها الاتزان وإحكام الأمر نجد نيفاً وثمانين موضعاً في القرآن الكريم ، قد أكد الله فيها على رسوله بأن يعتصم به ، أو حث فيها المؤمنين عليه ووصف فيها أولى العزم من الرسل به[1].

من هذه الآيات قول الله تعالى﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ (طه: ١٣٠) ويقول تعالى ضارباً له المثل بمن قبله من الرسل: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ (الاحقاف: ٣٥). وقوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (الطور: ٤٨).

ثم نجد أنّ الله دافع عن النبي ﷺ بالقرآن وحصنه ضد الحرب النفسية الموجهة إليه من أعدائه، بتعليمه الصبر، كما علّمه أساليب نشر الدعوة والأخلاق الحسنة، والتي استطاع النبي ﷺ عن طريقها تحطيم روح أعدائه المعنوية، فهو وسيلة إلهية زاخرة بالحكم والأمثال، أنارت الطريق للرسول ﷺ وزودته بأساليب ناجحة لقهر الكفار.

وفي العصر الحديث نجد إعداد رجال الحرب النفسية ورجال الدعاية قد استمد من أسلوب القرآن هذا ، حيث نجد رجال الدعاية يتدربون على الأساليب ، والطرق المحببة إلى الجمهور المستقبِل الذي يتعاملون معه، كما يتعلمون عدم تنفير هذا الجمهور، وتحمله والصبر عليه ليصلوا إلى أهدافهم.

---

[1] الميداني، مكائد يهودية، ص١٢٨.

وكان من أساليب القرآن في الدفاع عن الرسول ﷺ وتحصينه ضد الحرب النفسية الموجهة إليه من أعدائه: التخفيف عنه لرفع روحه المعنوية حتى يستمر بكل قوته في طريق الدعوة، لا تؤثر فيه الدعايات التي يثيرها الأعداء.

ومن ذلك انه لمَّا فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة عند بدايته وشق عليه ذلك وأحزنه، قال الكفار: محمد وَدَعَه ربُه وقلاه، فنزلت سورة الضحى ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (الضحى: ١-٣).

ولما اجتمع الكفار وذهبوا إلى أبي طالب قبل موته انزل الله عليه: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴾ (ص: ١-٢) إلى قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٌ ﴾ (ص: ٥-٧) يعنون النصارى لقولهم إن الله ثالث ثلاثة.

وانزل الله كذلك في أبي جهل لما تصدى للرسول ﷺ وأراد به الكيد: ﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾ (العلق: ٩-١٩) [1].

ولما كان أمية بن خلف يهمز الرسول ﷺ إذا رآه ويلمزه أنزل الله فيه: (﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ﴾ (الهمزة: ١-٢)، وكذلك كان العاص بن وائل يقول عن النبي ﷺ :

---

[1] سبق ذكر القصة.

دعُوْه فإنما هو رجل ابتر، لا عَقِبَ له، لو مات لانقطع ذِكْره، واسترحتم منه، أنزل الله فيه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ (الكوثر: ١-٣) [1].

وشمل الله الرسول ﷺ بعنايته، فكان ينزل عليه القرآن مخففاً في كل مناسبة، فلما تضايق النبي ﷺ من كثرة استهزاء المشركين، أنزل الله عليه: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (الرعد: ٣٢) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ (الأنعام: ١٠).

ولقد بلغ حرص النبي ﷺ على قومه حداً كان يكبر عليه فيه إعراضهم عن دعوته، وإصرارهم على مخالفته، والكفر بآياته، حتى كأنما هو بلا مراء مسئول عنهم، وحامل لأوزارهم، فأنزل الله في تسليته وإراحة نفسه من عناء الحزن عليهم، وآلام الرحمة بهم قوله: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ و﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ و﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞ﴾.

وهذا يبين لنا حرص القرآن على التخفيف عن الرسول ﷺ، إذا ما ضاق به استهزاء قومه، أو كثُرت مضايقاتهم أو إذا ما حزن لكثرة إعراضهم فخاف عليهم من العذاب الذي ينتظرهم، وقد كان هذا الأمر الأخير، يقلق النبي ﷺ كثيراً حتى لامه الله تعالى على شدة حزنه ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (الأنعام: ٣٥).

واعتمد القرآن في منهجه على تدعيم الأفكار بالحجج والبراهين ليقوي مركز الرسول ﷺ كداعٍ، وحاملِ رسالة، وحملت قصص القرآن كثيراً من الحِكَم والأمثال التي تشد أزْرَ الرسول ﷺ،

---

[1] الطبري، جامع البيان، ج٢٤، ص٢٥٧، ابن حجر، فتح الباري، ص٧٣٢.

وتدفعه إلى مواجهة الحرب النفسية المضادة بقوة وثبات، فكان الله –عزوجل– يضرب له الأمثال من الأمم السابقة ليخفف عنه، وكانت الآيات تبشره وتبين له مكانتهﷺ عند الله لتخفف عنه عليه الصلاة والسلام، كذلك كانت الآيات تَعِدُه بالنصر، والفوز لتخفف عنهﷺ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجر: ٩٥-٩٦) ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: ٤٧) ويبين الله انه فاضح خططهم وناصره عليهم، فيقول له: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠).

وما ذكرناه هنا ليس كل ما ورد في القرآن في تعليم الرسولﷺ الدعوة، أو الصبر، أو في التخفيف عنهﷺ، ولكنها مجرد أمثلة نسترشد بها في موضوعنا.

المطلب الثاني: القرآن يرد على الكفار ويسفه آراءهم:

وبقدر ما سانده القرآن وأيده ﷺ، بقدر ما سفَّه الكفار، وأضعف حججهم، وسفَّه آراءهم، وأعجزهم بحجته القوية، ومنطقه السليم، بل أضعف روحهم المعنوية، بما تضمن من تهديد ووعيد، مما كان له أثرٌ فعّال في تحطيم أسلحتهم النفسية، سلاحٌ إثْرَ سلاح.

تولى القرآن فضح مقولات المعاندين من كفار مكة حالاً بعد حال، فقد رد القرآن على اتهامات الكفار للرسول ﷺ، بالسحر والكهانة، والشعر والكذب والجنون في مواضع كثيرة ومتفرقة من القرآن، كلها تَقْرَعُ أسماعَهم، وتفضح تقوّلاتهم، فنجد أنه يبيِّن لهم أن هذا الذي جاء به محمد ليس أمراً عجيباً ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الاحقاف: ٩) ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (ق: ٢) ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ

وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨) ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولَا ﴾ (المزمل: ١٥) ولما لم يهتدوا ينذرهم الله قائلاً لهم ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٤٥).

فلما اتهموا النبي ﷺ بالسحر بعد ذلك كان من الآيات التي رد القرآن بها عليهم ﴿ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ٢٩ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٩-٣٠) ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴾ (الشعراء: ٢٢١-٢٢٢).

ولما اتهموه ﷺ بالجنون كان من الآيات التي رد الله بها عليهم ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴾ (الدخان: ١٣-١٤) ﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴾ (الطور: ٢٩).

ولما اتهموه بالشعر رد الله عليهم ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (يس: ٦٩-٧٠) ﴿ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ٣١ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٣٢ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾ (الطور: ٣١-٣٤).

وعندما اتهم الكفار الرسول ﷺ بأنه كذاب، وأن هذا القرآن من عنده وليس من عند الله كان الرد ﴿ حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (الشورى: ١-٣) ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ

مُّفۡتَرًىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴾ (سبأ: ٤٣-٤٦) ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ (الفرقان: ٤-٦) ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴾ (الشورى: ٥١) ثم يزيد الله في بيان ذلك فيقول في السورة نفسها ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ (يونس: ١٥-١٦).

ولما ذهب كفار قريش إلى أحبار يهود وسألوهم عن محمد ﷺ قالوا لهم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، فإنه كان لهم حديث عجيب، وهنا كان الرد أن حكى القرآن قصة أهل الكهف وسمى سورة من القرآن باسمها، وقالوا لهم: سلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وكان رد القرآن بقصة ذي القرنين في سورة الكهف أيضاً، وسلوه عن

الـروح مـا هـي، فكـان رد القـرآن ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥).[1]

وأنزل الله تعالى فيما سأله الكفار لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض، وبعث من مضى من آبائهم من الموتى:﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (الرعد: ٣١).

وهكذا كان تفنيد القرآن لحجج الكفار وتعليق على أقوالهم، وتصديه لافتراءاتهم، ومعالجته لمواقفهم، أشبه ما يكون بتعقيب على حربهم النفسية، بوحي منزل من الخالق جل شأنه إلى الأرض، ولعلَّ هذا هو سرّ عظمة الدعوة الإسلامية، المرتكزة على كلام يهبط من السماء ويحمله رسوله.

ولما سألوا عن موعد الساعة رد الله عليهم: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّىۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٧)، ولما سألوه لنفسه الخلود رد الله عليهم: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٤-٣٥)، ولما سألوه نزول الملائكة كان الرد عليهم: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩٥-٩٦).

---

[1] البيهقي، دلائل النبوة، ج٢، ص٢٦٩-٢٧١. من طريق ابن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل مكة عن ابن عباس، وسنده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق.

إذن أخذ القرآن بأسلوب التعجيز، فكان ما يرد من تساؤلات للرسول ﷺ من جانب الكفار بقصد الإعجاز، إلا وجاء القرآن بالرد المقنع، الذي يبلغ في أسانيده حد التعجيز للخصم؛ أي الكفار.

ثم بين الله لهم أن العاقبة وخيمة عليهم وليس الأمر كما يتصورون: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ (الزمر: ٣٩-٤١).

كما حذر الله كفار قريش من التمادي في طلب المعجزات، لأن الأقوام السابقة قد طبلت هذه المعجزات، وحققها الله لهم، ولما لم يؤمنوا استحقوا العذاب والعقاب من الله، فرحمة بهم حذَّرهم الله من التمادي في طلب المعجزات ونتائجها، وبين لهم وَخَامة عواقبها، وسوء نتائجها، فمن ذلك قول الله: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ (الإسراء: ٥٩) ﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ٥٧-٥٨) ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠٩-١١٠)، ثم أكثر من ذلك رد الله عليهم بعد أن طلبوا تفجير الأنهار والجنات، وطلبوا أن يكون له بيت من زخرف، أو يسقط السماء عليهم كسفاً، أو يأتي بالله والملائكة قبيلاً، أو يكون له بيت من زخرف أو يرقى

في السماء، وينزل عليهم كتاباً يقرئونه فيرد الله عليهم: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ (الإسراء: ٩٢-١٠٠).[١]

الخلاصة:

وهكذا كانت أساليب القرآن في الدفاع عن الرسول ﷺ كما ذكرنا تتلخص في تعليمه أسلوب الدعوة والموعظة الحسنة وحسن الخلق والصبر، ليستميل أتباعاً جدداً، وحتى لا يجد العدو ثغرة ينفذ منها إليه، وقد كان هذا سبباً في حيرة الكفار ولما اجتمعوا ليتفقوا على ما يقولونه عليه في موسم الحج، وقال عظماؤهم ما هو بشاعر، وما هو بكذاب ولا ساحر ولا مجنون.

---

[١] خلف الله، محمد والقوى المضادة، ص٢٦٧ وما بعدها بتصرف.

ثم كان الأسلوب الثاني كما رأينا في دفاع القرآن عن الرسول: التخفيف عنه بالقصص والأمثال والتبشير والوعد بالنصر وبيان منزلته وقدره، لرفع روحه المعنوية ولتحصينه من الحرب النفسية المضادة له ليستمر قوياً في دعوته وحتى لا تؤثر فيه الحرب النفسية المضادة.

ثم كان الأسلوب الثالث والأخير رد القرآن على أسئلة المعاندين المكابرين وفضح مخططاتهم، وقد كان لهذه الأساليب أكبر الأثر في تحطيم روح أعداء الإسلام المعنوية، وتفريق صفوفهم، وتمزيق وحدتهم، وفضح أساليبهم وكشف ألاعيبهم وبث روح اليأس والانقسام فيهم في الوقت نفسه الذي جمع فيه القرآنُ المسلمين وربط كلمتهم ورفع روحهم المعنوية عالية.

المبحث الثاني: دفاع الصحابة عن النبي ﷺ

مرت معنا صُور كثيرة من دفاع الصحابة عن رسول الله ﷺ، فهو أحب إليهم من أنفسهم وأموالهم أبنائهم والناس أجمعين، ولقد فداه الصحابة –رضوان الله عليهم– بأنفسهم، والناظر إلى مواقف الصحابة وأفعالهم وكلامهم، يجد هذا الأمر واقعاً لا مثالاً يُقال فقط بالألسنة دون فعل، وقد تمثل دفاع الصحابة عنه بعدة صور، نأخذ أمثله منها على سبيل المثال لا الحصر، ولمجرد ذكر الدليل وبيان عظيم قدره ﷺ عند أصحابه –رضي الله عنهم–.

١– توفير الحماية له ﷺ من أعدائه، كما فعل عمه حمزة– رضي الله عنه– .

فقد روى أصحاب السير أنّ إسلام حمزة بن عبد المطلب كان حمية، فعن محمد بن كعب قال: (كان إسلام حمزة بن عبد المطلب حمية، وكان يخرج من الحرم فيراه، فإذا رجع مرَّ بمجلس قريش فيقول: رميت كذا وكذا، فأقبل من رمية ذات يوم، فلقيته فقالت: يا أبا عمارة، ماذا لقي ابن أخيك من أبي جهل بن هشام؟ شتمه، وتناوله، وعمل وفعل، فقال: هل رآه احد؟ أي والله، لقد رآه الناس. فأقبل حتى انتهى إلى ذلك المجلس عند الصفا والمروة، فإذا هم جلوس وأبو جهل فيهم فاتكأ على قوسه، وقال: رميت كذا وكذا، وفصلت كذا وكذا، ثم جمع يديه بالقوس، فضرب بها بين

أذني أبي جهل فوق سنتها، ثم قال: ذهب بالقوس، وأخرى بالسيف واشهد أنّه رسول الله ﷺ وأنّه جاء بالحق من عند الله) [١].

وهكذا بقي حمزة رضي الله عنه يدافع عن النبي ﷺ حتى استشهد في غزوة أُحد، وكم كان موقف حمزة –رضي الله عنه– قوياً في حماية النبي ﷺ وهو المقاتل الشجاع، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أنَّ رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع، فكفوا عن بعض ما كانوا يتناولون منه[٢].

٢– مرافقة النبي ﷺ لحمايته، ونقل أخبار المشركين للنبي ﷺ: كما فعل عمه العباس بن عبد المطلب.

كان من مواقفه المشهورة حضوره مع رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية بين رسول الله ﷺ والمسلمين من أهل يثرب (من الأوس والخزرج) وذلك بالاطمئنان على مصير ابن أخيه، وحرصاً على سلامته، مع أنه كان ما يزال مشركاً[٣]، وهكذا؛ كان للعباس رضي الله عنه مواقف عظيمة في نصرة الرسول ﷺ قبل إسلامه، ومواقفه شاهدة له بعد إسلامه.

وكان من مواقفه أنه كان يراقب حركات قريش في مكة ويبعثها للنبي ﷺ في المدينة ويخبره عن استعداداتها العسكرية.وكان أسلم وأخفى إسلامه وأخبره النبي ﷺ ان بقاءه في مكة خير[٤].

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٦٧، وقال: رواه الطبراني مرسلاً، ورجاله رجال الصحيح، وله طرق وذكر ابن اسحاق عن رجل من اسلم نحوه، الحاكم، المستدرك، ج٣، ص١٩٢–١٩٣، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣٦٠، ومجموع الطرق المرسلة تفيد الحديث قوة وصحة– والله أعلم–.

(٢) انظر: عرابي، رجا عبد الحميد، محمد ﷺ والنصرة بين الأهل والآل، دار الأوائل، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٧٧–١٧٩.

(٣) انظر: أحمد، المسند، حديث ١٥٨٣٦، قال الشيخ شعيب: حديث قوي وهذا اسناد حسن، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٤٤٠–٤٤٨، ابن جرير، التاريخ، ج٢، ص٩٠–٩٣، الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٦، ص٤٢–٤٥، وقال: رواه أحمد الطبراني بنحوه، ورجال احمد رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع، العلي، صحيح السيرة النبوية، ص١٥١–١٥٦.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص٤٠٦.

وكان- رضي الله عنه- بعث إلى النبي ﷺ كتاباً يخبره أن قريشاً تريدا الخروج وذلك في غزوة احد وأخبره أنّهم اجمعوا المسير وهم ثلاثة ألاف، وقادوا مائتي فرس، وفيهم سبعمائة دارع وثلاثة ألاف بعير وأوعبوا من السلاح[١].

وهكذا بقي العباس رضي الله عنه يدافع عن النبي ﷺ وثباته معه في حنين وإمساكه بخطام بغلة النبي ﷺ دليل على ثباته على مواقفه في نصرة النبي ﷺ[٢].

٣- فداء النبي ﷺ بالنفس.

وهو أول فدائي في الإسلام، ومن المعلوم في السيرة نومه في فراش النبي ﷺ في الهجرة[٣]، وكان من الممكن أن يقتل في تلك الليلة غدراً.

ومن أكبر مواقفه- والله اعلم- أنه فدى نفسه برسول الله ﷺ قال ابن اسحاق: (ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله، وصلى معه، وصدق بما جاءه من الله، تعالى: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، رضوان الله عليه، وهو يومئذ ابن عشر سنين) [٤]، وهذا الموقف كان له الأثر البالغ في نفس النبي ﷺ ودعمه نفسياً ومعنوياً، وكان لإسلام علي الأثر الواضح في نشر الدعوة سراً، ورأينا ذلك في خبر إسلام أبي ذر الغفاري- رضي الله عنه- كيف كان علي- رضي الله عنه- يدل الناس سراً على رسول الله ﷺ [٥].

---

(١) المصدر السابق، الواقدي، المغازي والسير، ج١، ص٢٠٤، الصلابي، السيرة النبوية، ص٢٧٣.

(٢) للاستزادة، انظر: عرابي، محمد والنصرة، ص١٢٥-١٧٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٨١.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص١٤٤.

(٥) للاستزادة من مواقف علي رضي الله عنه انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مناقب الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب، ج٣، ص١٣٥٣-١٣٥٩، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي، ج٤، ص١٨٦٧-١٨٧٤، ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٧١ وما بعدها.

٤- تسخير كل الإمكانات في الدفاع عنه ﷺ، الجهاد بالمال والنفس واللسان:

فقد وقف أبو بكر رضي الله عنه مواقف الرجولة والبطولة منذ بزوغ الإسلام، فوقف مع النبي ﷺ ودافع عنه بكل ما أوتي من قوة؛ بالمال والنفس والأهل، والهجرة والتهجير، فأوذي بسبب مواقفه في نصرة النبي ﷺ والمسلمين، وحُثي على رأسه التراب، وضُرب في المسجد الحرام بالنعال، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحمل إلى بيته في ثوبه، وهو ما بين الحياة والموت[١]، فقد روت عائشة -رضي الله عنها- أنه لما اجتمع أصحابه النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً، ألح أبو بكر -رضي الله عنه- على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: (يا أبا بكر إنّا قليل)، فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول اللهﷺ ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله عز وجل والى رسوله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطئ أبو بكر، وضرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزل على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاءت بنو تيم يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر فحملوه، ولا يشكون في موته، ثم بعثوه إلى بيته، فجاءوا المسجد فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، فلما أفاق أبو بكر قال: ما فعل رسول الله ﷺ)[٢].

ويمكننا أن نستخلص قوة أبي بكر في الدفاع عن النبي ﷺ وعن الإسلام، وافتدائه النبيﷺ بنفسه، وشدة خوفه عليه، حتى انه عندما أفاق من إغمائه يسأل عن حال رسول الله ﷺ مباشرة،

---

(١) انظر: يوسف، محمد السيد حمد، التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، دار السلام، مصر، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٢٤٣.

(٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٣٠، ابن كثير، السيرة النبوية، ج١، ص٤٣٩-٤٤١.

فيكشف لنا هذا شدة حب أبي بكر للنبي ﷺ، حتى أنهحلف ألا يأكل ولا يشرب بعد ضربه حتى يرى النبي ﷺ ويطمأن عليه[١].

ويمكننا أن نرى مدى دفاع أبي بكر عن النبي ﷺ ونصرته وإدراك النبي ﷺ لهذا الأمر، عندما حصلت خصومة بين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب فاعتذر منه أبو بكر فلم يقبل ، ثم ندم عمر فبحث عن أبي بكر فوجده عند النبي ﷺ ، وكان ﷺ علم بما حصل فقال : (إن الله بعثني إليكم فقلتم، كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل انتم تاركو لي صاحبي) [٢].

فنرى هنا مدى حبِّ أبي بكر للنبي ﷺ ونصرته له، وحبِّ النبي له، ومواقف كثيرة تدل على عظم مواقفه للإسلام والمسلمين والنبي ﷺ[٣].

ولم يكن **عمر بن الخطاب** بأقل منه مواقف في حماية النبي ﷺ وحماية المسلمين، وهو الذي قال فيه عبد الله بن مسعود: (ما زلنا أعزَّة منذ أسلم عمر بن الخطاب) [٤].

وأخباره في نصرة النبي ﷺ كثيرة وذكرها أهل السير كخبر إسلامه ومجابهته لقريش وحده، وخبر هجرته جهراً وغيرها من المواقف[٥].

---

(١) انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ص١٤٨.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مناقب الصحابة، باب مناقب أبي بكر، حديث ٢٤٦١ وللاستزادة، انظر: مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه، ج٤، ص١٨٤٧-١٨٥٧.

(٣) لا يغيب عنا انه-رضي الله عنه- أدخل ستة من العشرة من المبشرين بالجنة في الإسلام، وأنه كان يشتري العبيد الضعفة من المسلمين كبلال بن رباح رضي الله عنهم، ومواقفه في الغزوات، وبذل المال وغيرها الكثير، حتى استحق وسام (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر) سبق تخريجه.

(٤) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، حديث ٣٤٨١.

(٥) للاستزادة انظر: البخاري، المصدر السابق، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، ج٤، ص١٨٥٧-١٨٦٥، الطبري، محب الدين احمد بن عبد الله، الرياض النظرة في مناقب العشرة، مكتبة الجندي، القاهرة، د. ط، ١٩٧١م، فضل عمر بن الخطاب.

٥. موقف عظيم في نصرته من أعمى:

ومن جميل نصرته ﷺ والذب عن عرضه نذكر قصة رجل أعمى من الصحابة -رضي الله عنهم- فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّ أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجها فلا تنزجر، فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ، فجمع الناس فقال: (انشد رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام)، قال: فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتدلدل، حتى قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها، واتكأت عليه حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ: (ألا اشهدوا أنَّ دمها هدر)[١].

فهذا الصحابي -رضي الله عنه- أعمى متزوج يهودية وتحبه وهي به رفيقة، وله منها ابنان كاللؤلؤتين، وهو يعلم ربما لا يرضى احد بتزويجه لوجود ولدين معه، ولأنه أعمى، ولكن حب النبي ﷺ والدفاع عنه ونصرته أحب إليه من نفسه، وزوجته من أقرب الناس له، ومَنْ هو بحاجتهم لله درهم رضي الله عنهم.

٦. **نصرته بالشعر**: ومن هنا ندب النبي ﷺ الشاعر حسان بن ثابت للذب عنه، وكان غيره من الشعراء كذلك، وقد كان بعض المشركين واليهود يهجون النبيﷺ كعبد الله بن خطل وابن الأشرف وغيرهم[٢]، فقال حينها رسول الله ﷺ: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مقول بين

---

(١) أبو داود، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ، حديث ٤٣٦١، والحديث صححه الألباني، النسائي، السنن، كتاب تحريم الدم، باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ، حديث ٤٠٧٠.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١٩٠، ترجمة حسان بن ثابت.

بصرى وصنعاء، قال رسول الله ﷺ: (كيف تهجوهم وأنا منهم؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي) فقال حسان: والله لأسلنك منها كما تسل الشعرة من العجين، فقال له: (أئت أبا بكر فانه أعلم بأنساب القوم منك) [١].

فكان يمضي إلى أبي بكر ليقفه على أنسابهم وكان يقول له: كف عن فلانة وفلانة، واذكر فلانة وفلانة، فجعل حسان يهجوهم، فلما سمعت قريش شعر حسان، قالوا إنَّ هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة، وفي أخبار أشعاره وقوتها على قريش ووقعها عليهم وعلى غيرهم شيء كثير من نصرة رسول الله ﷺ، حتى قال فيه النبي ﷺ: اهجهم وروح القدس معك[٢]، فكان حسان بن ثابت –رضي الله عنه– المنبر الإعلامي لنصرة النبي ﷺ ، فقد كان كلامه على نفوس أعداء النبي ﷺ أشد من وقع السيوف ونضح النبال[٣].

٧. **الاستبسال في الدفاع عنه في الغزوات:** وأمثلة ذلك كثيرة لا تخفى على الدارسين، ونمثل بمثال واحد للدفاع عنه ﷺ في غزوة أحد، فعن أنس –رضي الله عنه– قال: (لما كان يوم انهزم ناس عن رسول الله ﷺ وأبو طلحة بين يديه مجوِّباً[٤] عليه بحجفة، وكان رامياً شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل، فيقول رسول الله ﷺ: (انثرها

---

(١) البخاري، باب فضائل حسان بن ثابت، كتاب المغازي، باب حديث الافك، حديث ٣٩١٤، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، حديث ٢٤٨٩، ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب الشعر والسجع، حديث ٥٧٨٧.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث ٣٠٤١، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، حديث ٢٤٨٦، أحمد، المسند، حديث ١٨٦٧٣.

(٣) للاستزادة انظر: مسلم، المصدر السابق، فضائل حسان بن ثابت، ابن عبد البر، الاستيعاب، ص١٨٩-١٩٤.

(٤) مجوباً عليه: مترس عليه ليقيه من الكفار، ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٣٦٢.

لأبي طلحة)، ثم يشرف إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي وأنت، لا تشرف إلا يصيبك سهم، نحري دون نحرك) [1].

وفي هذه الأمثلة غيض من فيض صور النصرة والدفاع عن النبي ﷺ، وفي غزوة أحد وَحْدَها وما تبعها من أحداث كثير من أخبارهم رضي الله عنهم، وتحملهم البلاء في نصرته ﷺ ونصرة دينه ما تنوء به الجبال الرواسي الشامخات، فبذلوا الغالي والرخيص لنصرته ﷺ، فنكتفي بها ونحيل على كتب السيرة [2].

المبحث الثالث: دفاع غير المسلمين عن النبي ﷺ.

لقد هيأ الله عز وجل لنبيه ﷺ من يدافع عنه من غير المسلمين قديماً وحديثاً، فلقد رأينا كيف دافع عنه بنو هاشم وبنو عبد المطلب، ودخلوا معه في الشِّعْب وبقوا في ضَنَك العيش والحبس مدة ثلاث سنين، وفي هذا المقام نذكر بعض هذه الصور من دفاع غير المسلمين عن النبي ﷺ قديماً وحديثاً، لبيان عظمة شخصيته ﷺ، وكيف دافع عنه حتى مَنْ خالفَه في العقيدة والدين، وما ذلك إلا بفضل الله ومنَّته ثم بعظيم أخلاقه ﷺ.

١- دفاع بعض المشركين عن النبي ﷺ.

كان النبي ﷺ يدعو إلى الله -عز وجل- والى الدين الجديد، وكان أعداؤه يكيدون له ويسيئون إليه، وفي المقابل كان هناك من يدافع عنه في قومه أمام هذا المد من العداء والإساءة، وكان ممن دافع عنه بعض المشركين من قومهﷺ، وكان من أبرزهم عمه أبو طالب، فقد كانت

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الأنصار، باب مناقي أبي طلحة، حديث ٣٨١١، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء مع الرجال، حديث ١٨١١، أحمد، المسند ١٢٠٤٣.

(٢) للاستزادة انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة أحد وما بعدها، مسلم، الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص١٣-٣٨، الصلابي، السيرة النبوية، دروس وعبر، ص٤٧٠-٥٢٥.

مواقفه في الدفاع عن النبي ﷺ من أروع المواقف، حتى قال النبي ﷺ في تصوير هذا الموقف: (ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب) [1].

وكان من مواقف نصرته للنبي ﷺ أولاً كفالته للنبي ﷺ، وقيامه بالكفالة على أحسن حال، وأكمل وجه، هو وزوجته فاطمة بنت أسد.

وعندما بدأت دعوة الإسلام وجهر بها النبي ﷺ، وأخذت تنمو وتكبر شيئاً فشيئاً ويتكاثر أتباعها، أخذت قريش تعتدي على المسلمين، وتعذبهم –وخاصة الضعفاء– ليفتنوهم عن دينهم.أما رسول الله ﷺ فقد منعه وحماه عمه أبو طالب لمكانته في قريش، وشرفه الرفيع فيها، فقد تزعم بني هاشم بعد وفاة عبد المطلب، فمضى رسول الله ﷺ ينفذ أمر ربه.ولما رأت قريش من رسول الله ﷺ الجِدَّ بالدعوة، خشيت أن يتفاقم خطره عليهم، ويعظم أمره فيهم، فأخذت بسياسة المفاوضات مع عمه أبي طالب، ثم مع النبي ﷺ مباشرة، وكانوا شكوا إلى أبي طالب محمداً ﷺ، وكيف سبَّ آلهتهم وعاب دينهم، وطلبوا منه أن يكفه عن ذلك، وانتهت المفاوضات بأن قال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه.

وتكررت المفاوضات أكثر من مرة، وذلك لعدم حصول رغبتهم المواجهة أولاً، ولشرف بني هاشم في قريش، ولكن بعدها أخذوا في التهديد ، وتوعدوا في بعضها بقتل النبيﷺ، فهددهم أبو

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢ ص٤٢، الطبري، التاريخ، ج١، ص٥٥٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص١٢٢، وأورده ابن حجر في (فتح الباري)، ج٧، ص٢٣٤، والحديث من طريق ابن اسحاق وإسناده صحيح إلى عروة ولكنه مرسل،وله شاهد من حديث عائشة :(ما زالت قريش كاعَّة حتى توفي أبو طالب)،رواه الحاكم، المستدرك،حديث٤٢٤٣ ،وقال : (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

طالب، وقال لهم قولاً غليظاً، وفي ذلك أظهر أبو طالب مدى حبه لابن أخيه محمدﷺ ونصرته له.[1].

وذكر البيهقي أن أبا طالب انشد شعراً حين أجمع لذلك من شعره رسول الله ﷺ والدفاع عنه وعلى ما كان من عداوة قومه له فقال:

والله لـــن يصـــلوا إليـــك بجمعهـــم حتـــى أوســـد فـــي التـــراب دفينـــا

فأمضـــى لأمـرك مـا عليـك غضاضـة أبشـــر وقـــر بـــذاك منـــك عيونـــا

ودعـــوتني وزعمـــت أنـــك ناصـــحي فلقـــد صـــدقت وكنـــت قبـــل أمينـــا

وعرضـــت دينـــاً قـــد عرضـــت بأنـــه مـــن خيـــر أديـــان البريـــة دينـــا

لـــولا الملامـــة أو حـــذاري ســـبه لوجـــدتني ســـمحاً بـــذاك مبينـــا[2].

وفي قصة شِعْب أبي طالب وحَبْسِ بني هاشم فيه (مَنْ أسلم ومن لم يسلم)، نصرةً للنبيﷺ ودفاعاً عن ابنهم الصادق الأمين، فقد كانت هذه من أبرز المواقف من بني هاشم لحمايته ﷺ من كل سوء وعدم تسليمه لقريش لقتله، ولقد مر معنا كم عانى بنو هاشم في هذا الحبس وهذا التضييق هم وأبناؤهم، ولم ينقل عن أحدهم أنه تضايق من هذا الحبس من بني هاشم، فلا يغيب عن المسلم انه ربما تكون حماية بعض الكفار أقوى في بعض الأوقات من حماية بعض المسلمين[3].

---

(١) انظر: البيهقي، دلائل النبوة، ج٢، ص١٨٧، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٥١، السهيلي، الروض الأنف، ج٢، ص٦، والحديث ضعيف لإعضاله، فيعقوب بن عتبة من ثقات أتباع التابعين وقال في إسناده : أنه حُدث أن قريشاً حين قالوا للنبيﷺ مقالتهم فرد عليهم بهذا.

(٢) البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص١٨٨، ابن كثير، السيرة النبوية، ج١، ص٤٦٤، الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٢، ص٣٢٧.

(٣) انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ص١٨٤-١٨٧.

وبعد وفاة أبي طالب سمي ذلك العام بعام الحزن، وبعده خرج النبي ﷺ إلى الطائف بحثاً عن وطن بديل، وهاجر كثير من المسلمين إلى الحبشة.

من هنا نرى كيف استفاد النبي ﷺ من العرف القبلي فتمتع بحماية العشيرة، ومُنع من أي اعتداء، فانتصر وتمتَّع بحريَّةِ التحرك والتفكير والدعوة في ظل هذه الحماية، وفي هذا درسٌ للدعاة إلى الله تعالى، للتعامل مع بيئتهم ومجتمعاتهم، والاستفادة من القوانين والأعراف والتقاليد لخدمة دين الله عز وجل.

وفي خبر قصة إيذاء النبي ﷺ عندما ألقى عقبة بن أبي معيط سلا الجزور على رسول الله ﷺ وهو ساجد عند الكعبة، فدعا عليهم رسول الله ﷺ ثم خرج من المسجد، فلقيه أبو البختري بسوط يتخصر به فلما رأى النبي ﷺ وأنكر وجهه، فقال النبي ﷺ: خلِّ عني، قال: علم الله لا أخلي عنك أو تخبرني ما شأنك، فلقد أصابك شيء، فلما علم النبي ﷺ أنه غير مخلٍّ عنه أخبره، فقال: (إن أبا جهل أمر فطُرح علي فرث) قال أبو البختري: هلم إلى المسجد فأتى النبيﷺ وأبو البختري، فدخلا المسجد، ثم أقبل أبو البختري إلى أبي جهل فقال: يا أبا الحكم أنت الذي أمرت بمحمد ﷺ فطرح عليه الفرث؟ قال: نعم، قال: فرفع السوط فضرب به رأسه، قال: فثار الرجال بعضها إلى بعض، قال: وصاح أبو جهل: ويحكم هي له، إنما أراد محمد أن يلقي بيننا العداوة، وينجو هو وأصحابه)[1].

---

(1) البزَّار، أبو بكر أحمد بن عمرو، البحر الزخار (المسند)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، د. ط ١٩٨٨م، مسند عبد الله بن مسعود، حديث ١٨٥٣، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن احمد، المعجم الاوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د.ط، ١٤١٥هـ، ج١، ص٢٣٢، حديث ٧٦٢، وهذه القصة من طريق الأجلح تفرد بها عن أبي إسحاق السبيعي، ولم ينقلها الحفاظ من تلاميذ أبي إسحاق كشعبة والثوري وإسرائيل، والأجلح صدوق، وثَّقه ابن معين وغيره، وضعّفه النسائي، (ابن حجر، التقريب، ص٦٧، ترجمة ٢٨٥) والحديث من روايات السيرة المتعلقة بنقل حدث لا حكم شرعي، وأهل الحديث يتساهلون في ذلك، فيقبلون مثل هذا. وأبو البختري هو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد.

فنرى هنا كيف دافع أبو البختري عن النبي ﷺ وانتصر له حمية وحباً له، ولا يغيب عنا أن أبا البختري كان ممن سعى في نقض صحيفة المقاطعة، التي أقرتها قريش على بني هاشم، حتى أنه اقتتل هو أبو جهل، حتى ضرب أبا جهل بلحى بعير، فشجه به عندما أراد أن يمنع طعاماً كان يحمله حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد لعمته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله ﷺ في الشِّعب[1].

من هنا ومن خلال ما رأينا من دفاع بعض المشركين عن النبي ﷺ ونصرته ورد الإساءة عنه ﷺ، نرى كيف يكون داخل الصف المشرك بعض الشخصيات تبنى في داخلها بالتربية النبوية، وتتأثر بعظمة شخصية النبي ﷺ وتتفاعل في أعماقها مع المبادئ التي يقدمها الدين الجديد، لكن سيطرة الملأ والكبراء وسطوتهم، كانت تحول دون إبراز هذا التفاعل، وهذا الحب، وهذه التربية وخبر نقض الصحيفة واجتماع بعض المشركين لنقضها دليل على ذلك وأجلى دليل[2].

فهذه بعض الأمثلة على نصرةِ بعضِ أهل الشرك والكفر للنبي ﷺ، ولا يخفى عنا قول ورقة بن نوفل ونيَّته بنصر النبي ﷺ والدفاع عنه في بداية نزول الوحي، وقول هرقل لأبي سفيان عن احترامه للنبي ﷺ، وغيرهما مما ذكره أهل السير، وما ذاك إلا من حفظ الله عز وجل لهذا الدين، وإتمامه حتى يبلغ ما بلغ الليل والنهار، وما يعلم جنود ربك الا هو سبحانه وتعالى.

٢- دفاع بعض المستشرقين:

بالرغم من عداوة أهل الكتاب للنبي ﷺ ومحاولة الإساءة إليه منذ القدم إلا أنه لم يخلُ ذلك من محاولات لنصرته ومدحهﷺ منهم، فمع وجود شريحة واسعة تحاول تشويه صورة النبيﷺ خاصة بين أبناء جلدتهم، هناك شريحة أخرى اقرب إلى الحيادية والموضوعية في بعض دراساتها، فكما

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ث٤-٥، السهيلي، الروض الأنف، ج٢، ص١٣١.

(٢) انظر: الغضبان، محمد منير، التربية القيادية، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ٣٨٤-٣٨٥ بتصرف.

رأينا كيف هيأ الله عز وجل لنبيه ﷺ من يدافع عنه في زمانه من غير المسلمين، لقد هيأ له في زماننا من يدافع عنه ويقول كلمة الحق، بل ومنهم من أسلم بعد تعمُّقه في دراسة حياة النبي ﷺ.

نقف في هذا المقام على ذكر بعض أقوال المستشرقين المنصفين، ونحن لا ننتظر من غيرنا أن يشهد لنبينا ﷺ بالحق أو الصدق، فنحن على يقين وعقيدة بصدقه وحبِّه واتِّباعه، ونصرته والذب عنهﷺ، ولكن إذا جاءت الشهادة من عدو فهي دليل لغيرهم من أبناء جلدتهم، وحتى يقيموا على بعضهم الحجُّة والبرهان، فتكمن الحجة في أقوالهم، ودراساتهم على بعضهم بعضاً، ولاعتبار المستشرقين هم الطبقة المثقفة واسعة الاطلاع في مجتمعاتهم.

لقد تميَّزت شخصية الرسول ﷺ في نظر المستشرقين بمزايا عديدة، وقد درس كل منهم هذه المزايا أو بعضها من وجهة نظره الخاصة، فبعضهم عد محمداً ﷺ قائداً وزعيماً، وبعضهم جعله في مصافِّ المصلحين الاجتماعين، ورائداً من روادهم، وآخرون رأَوْا أنه أحد عباقرة العالم الذين يندر أن يحظى العالم بمثله، ولكن قلة منهم أبرز شخصيته كرسول، وأقل منهم من وصفه بأنه نبي أوحى إليه بالإسلام[1].

وهؤلاء- لا شك- متأثرون بمواقف المسلمين من نبوة الرسول من ناحية، ومقتنعون برسالته حسب الروايات التاريخية من ناحية أخرى، ومقبلون على الإيمان بنبوته والدعوة إلى رسالته في بعض الأحيان من ناحية ثالثة.

---

[1] انظر: حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ص٤٥.

١. لقد وصف (بارتلي سانت هيلر)[١] النبي ﷺ بأنَّه أكثر عرب أهل زمانه ذكاءً، وأشدهم تديُّناً، وأعزمهم رأفة، وأنَّه نالَ سلطانه الكبير بفضل تفوقه، وأنَّ دينَه الذي دعا إلى اعتقاده كان جزيل النعم على جميع الشعوب التي اعتنقته[٢].

٢.ويقول (دوزي) حول إلتزامه بالصدق والتواضع: (لو صحَّ ما قاله القساوسة من أنَّ محمداً نبي منافق كذاب فكيف نعلل انتصاره؟ وما بال فتوحات أتباعه تترى، وتتلو إحداها الأخرى، وما بال انتصارهم على الشعوب لا يقف عند حد، وكيف لا يدل ذلك على معجزة الرسول) [٣].

٣.ويقول (مايكل هارت) صاحب كتاب (المائة الأوائل في العالم) حيث ذكر مئة شخصية أثَّرت على العالم، وكان لها الأثر البالغ في نظره؛ يقول عن سيدنا محمد ﷺ: (إن اختيار المؤلف لمحمد ليكون في رأس القائمة التي تضم الأشخاص الذين كان لهم أعظم تأثير عالمي في مختلف المجالات، إنّ هذا الاختيار ربما أدهش كثيراً من القراء إلى حد أنه قد يثير بعض التساؤلات، ولكن في اعتقاد المؤلف أنّ محمداً كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وابرز في كلا المستويين الديني والدنيوي، لقد أسس محمد ونشر أحد أعظم الأديان في العالم، وأصبح أحد

---

[١] مستشرق ألماني، كان من المستشرقين المعتدلين ، ومن الذين أنصفوا النبي ﷺ في دراساتهم. www.nusrah.com

[٢] الجندي، أنور، الإسلام والثقافة العربية، ص٢٣٦، نقلاً عن حمدان، الرسول في كتابات المستشرقين، ص٤٨.

[٣] حمدان،المرجع السابق، ص٢٣٦. رَينْهَارْت دُوزِي، مستشرق هولندي، وأستاذ العربية في كلية الآداب في جامعة لَيْدَن، اشتهر بدراسة تاريخ بلاد الأمازيغ والأندلس، ولد عام ١٨٢٠ وتوفي عام ١٨٨٣. له مؤلفات عدة، أشهرها (تكملة المعاجم العربية) .http://ar.wikipedia.org

الزعماء العالميين السياسيين العظام، ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته، فإنَّ تأشيره لا يزال قوياً وعارماً) [١].

٤.ويقول (درمنغم): (وكان عنده ذهب وخيل وجمال ونساء وأولاد، وكل ما في هذه الحياة من الزينة، ولكنه لم يغتر بشيء منها، فكان يفضل إسلام رجل على أعظم الغنائم) [٢].

وقد دعا هذا الفكر بعضهم إلى الإسلام مثل: (آتين دينه) الذي تسمى باسم (ناصر الدين) صاحب كتاب (محمد رسول الله) [٣]، و (رينيه جيو) وتسمى باسم (عبد الواحد يحيى)، و(ليوبولد فايس) الذي تسمى بـ (محمد أسد) وغيرهم.

فهذه بعض شهادات المستشرقين وعلماء الغرب في رسول الله ﷺ اقتصرت عليها مخافة الإسهاب[٤]، ومواقفهم هذه تذكرنا بما كان يمر معه ﷺ في مكة مع المشركين وشهادتهم له بالصدق والأمانة، ومن دفاع بعض المشركين عنه ﷺ.

---

(١) هارت، المائة الاوائل في العالم، ص٢١، وقد جعل بعد النبيﷺ في كتابه :إسحاق نيوتن، ثم عيسى عليه السلام، ثم بوذا، ثم كنفوشيوس، وهكذا من الذين أثَّروا في العالم.

(٢) درمنغم، اميل، حياة محمد، ص٣٧٠، ودرمنغم، مستشرق فرنسي، عمل مديراً لمكتبة الجزائر، من مؤلفاته:(محمد والسنة الإسلامية)، ونشر عدداً من الأبحاث في المجلات الشهيرة مثل: (المجلة الإفريقية)، و(حوليات معهد الدراسات الشرقية)، و(نشرة الدراسات العربية).www.hodaalquran.com .

(٣) ترجمة عبد الحليم محمود ومحمد عبد الحليم، ط دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٩٠م.

(٤) للاستزادة انظر: حمدان: الرسول في كتابات المستشرقين، ص٤٥-٩٣، خليل، دراسة في السيرة، ص٨-ص٢٧، أبو سيف، السيد بن أحمد، دفاع علماء الغرب عن الرسول ﷺ، مكتبة الإيمان، المنصورة، د. ط، ٢٠٠٧، ص١٨٧-٢١٦.

المبحث الرابع: أهداف الدفاع عن النبي ﷺ.

رأينا فيها سبق كيف كانت هناك أهداف للإساءة إلى النبي ﷺ، فلقد كان أعداؤه ﷺ يسيرون ضمن خطط مدروسة منظَّمة، وضمن أهداف ووسائل للإساءة إليه ﷺ، وكانوا يعملون ضمن محوَرَيْن رئيسَيْن؛ الأول: وهو القريب، الإساءة إلى النبي ﷺ بالوسائل والصور كافَّة.

الثاني: وهو البعيد، وهو الإساءة للإسلام ومحاولة هدمه، ومحاربة أتباعه وصدهم، ثم صدِّ الناس عنه[1].

وقد تجلَّت هذه الأمور في الصور والوسائل التي ذكرناها سابقاً، قديماً وحديثاً، ففي زمنه ﷺ بدأ العداء ضده ﷺ من قبل المشركين، ثم أهل الكتاب ثم المنافقين، وهكذا امتد العداء على مرِّ السنين؛ وإن كان قد انتقل النبي ﷺ إلى ربّه ورحل عن الدنيا، إلا أنه ما زال دينه وأتباعه يزيدون، وينتشر الإسلام في كل يوم، وهذا الأمر يزعج أعداءه ويغيضهم، عدا عن كرههم الديني والعقَدي.

وفي هذا المطلب سنقف –إن شاء المولى عزّ وجلّ– على أهداف الدفاع عن النبيﷺ وآثارها، والمطلوب من أمته ﷺ في هذا الزمان، خاصة مع غير المسلمين.

ويقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: العمل على تطبيق الإسلام وإظهار صورته الصحيحة.

المطلب الثانيً: تعريف الناس بصورة النبي ﷺ الصحيحة وإزالة الشبهات حوله ﷺ وبيانها.

المطلب الأول : العمل على تطبيق الإسلام وإظهار صورته الصحيحة.

ذكر أهل السِيَر كيف حاولت قريش تشويه صورة النبي ﷺ والمسلمين في الحبشة عندما بعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة بن المغيرة المخزومي إلى الحبشة، وذكروا المسلمين

---

[1] خلف الله ، محمد والقوى المضادة، ص١٣١ وما بعدها.

بسوء، ففي تلك القصة من العِبَر ما فيها، وكذلك في قصة أبي سفيان مع هرقل وحوارهما حول النبي ﷺ.

وفي هذا الزمان نرى كيف أنّ المسلمين ابتعدوا عن دينهم، وأصبحت صورة الدين قاتمة في أعين المجتمعات الأخرى، فنرى المسلمين تَبَعٌ لغيرهم في كل شيء مصداقاً لقول النبيﷺ : (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ) [١].

ويصدق أيضاً في زماننا قوله ﷺ: (يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ، فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ) [٢].

فإذا أرادت الأمة الإسلامية الدفاع عن نبيها ﷺ فتبدأ أولاً بإصلاح نفسها، وتطبيق شريعة الإسلام بفروعها كافَّة، وبيان عدلها وسماحتها، عندها يراها الآخرون[٣] بصورة بيضاء، فالأعمال أقوى وأشد تأثيراً في نشر المبادئ من الأقوال، فقد لا يستوعبها بعض السامعين أو القارئين، أو لا يدركون مقاصدها، وقد تُنسَى كلها أو بعضها.

لقد كان رسول الله ﷺ قدوة بشرية عملية وسط المسلمين وغير المسلمين، فكان له الأثر الكبير في تعرف المسلمين الأُوَل وغيرهم على الإسلام نظرياً وعملياً، فاقتدوا به ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، سواء في أمور العبادة أم المعاملات أم غيرها، بل كان غير المسلمين يعجبون بشخصيته

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث ٣٢٦٩، مسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، حديث ٢٦٦٩.

(٢) أبو داود، السنن، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على أهل الإسلام، حديث ٤٢٩٧، ابن حنبل، المسند، حديث ٢٢٤٥٠، من حديث ثوبان، والحديث حسن الإسناد بمجموع طرقه.

(٣) المقصود بالآخرين (غير المسلمين).

كما في قول قريش فيه ﷺ : (الصادق والأمين، ليس جهول..) وكذلك أقوال غير المسلمين المنصفين في هذا الزمن، وعلى مر كل الأزمان[1].

ولأهمية القدوة العملية في الإسلام حذر الله المؤمنين من أن تخالف أعمالهم أقوالهم التي يدعون إليها، فقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (الصف: ٢-٣) وقال تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤) فالعمل بالإسلام وتطبيق الصورة الصحيحة له تعطي انطباعاً صحيحاً واضحاً مشرقاً عنه.

وكما أن القدوة العملية لها تأثيرها الطيب في مجال الخير والدعوة ونشر الإسلام، والدفاع عن النبي ﷺ، فكذلك لها تأثيرها السيئ عندما تكون قدوة عملية في أعمال السوء والفساد وللأسف نرى هذه القدوات منتشرة في مجتمعاتنا الإسلامية، وفي المجتمعات الأخرى.

ولعل أهم شريحة لها الأثر الأكبر في الساحة الغربية من حيث نشر الإسلام وبيان صورته الصحيحة هي الجاليات الإسلامية في الدول غير الإسلامية، فهناك ما يقارب ثلاثمائة مليون مسلم يعيشون كأقليات في مختلف دول العالم في عصرنا[2].

فعندما كان المسلمون يطبقون الإسلام ويتعاملون به مع غير المسلمين في بلادهم كان الإسلام ينتشر بمجرد تلك المعاملة الصادقة، ففي اندونيسيا انتشر الإسلام فيها عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يذهبون إليها، وتُعَدُّ اندونيسيا الآن من أكبر الدول الإسلامية من حيث عدد

---

(١) انظر: مشهور، مصطفى، القدوة على طريق الدعوة، دار التوزيع والنشر، القاهرة، د. ط، د. ت، ص٣١-٣٢، الغزالي، محمد، جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠٠٣م، ص٧.

(٢) الطرازي، عبد الله، انتشار الإسلام في العالم في ٤٦ دولة أسيوية وافريقية، عالم المعرفة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م، ج١، ص٧.

السكان، فقد بلغ عدد السكان نحو (١٩٥.٢٨٠.٠٠٠) نسمة تقريباً، يشكل المسلمون فيها نسبة ٨٧% من السكان، والباقي من الديانات الأخرى[١].

ومن ينظر إلى معظم الدول الأسيوية والإفريقية يجدها دخلت الإسلام عن طريق التجار وحسن تعاملهم وصدق إسلامهم فحري بالمسلمين العمل على تطبيق الإسلام ونشره بصورة صحيحة[٢].

وقد قسَّم التويجري دور الجاليات الإسلامية في بيان صورة الإسلام وتطبيقه إلى قسمين:

الأول: الفردي؛ الذي يتجسد في السلوك الشخصي الملتزم بأخلاقيات الإسلام التي تحث على حسن المعاشرة، والتعايش مع الناس جميعاً، والاندماج في المحيط الاجتماعي، والسعي في نفع المجتمع والإخلاص في خدمته، بحيث يعطي الفرد المسلم في المحيط الذي يعيش فيه القدوة والمثال للشخصية الإسلامية النافعة للمجتمع بتصرفاته، وبأنماط سلوكه، وتطبيق صورة صحيحة للإسلام والمسلمين في ذلك المجتمع.

الثاني: الجماعي، الذي يتمثل في إقامة علاقة تعاون جماعي في إطار القوانين والأنظمة المحلية لخدمة أهداف سامية في المقدمة منها الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة بكل ما في ذلك من معان ودلالات، دون إخلال بواجب الانضباط بالسلوك واحترام القوانين والأنظمة، وذلك في شكل تأسيس الجمعيات، والأندية والهيئات، والمراكز الثقافية، وإصدار النشرات الإعلامية وربط الصلة بوسائل الإعلام، وبالدوائر ذات التأثير في الرأي العام المحلي والعالمي، وبمشاركة المجتمع الذي يعيش فيه، في كل شأن من شؤونه العامة التي لا تخالف الإسلام، بحيث يندمج

---

(١) الطرازي، المرجع السابق، ص١٣.

(٢) للاستزادة انظر: الطرازي، انتشار الإسلام، ص٢١، ص٢٩- ص٤٣، كالفلبين وتايلند والهند وغيرها من البلدان.

المسلمون، سواء أكانوا من المهاجرين أم من المقيمين أم من السكان الأصليين ممن اهتدوا إلى الإسلام[1].

من هنا نرى مدى أهمية تطبيق الإسلام عملياً وإظهار صورته الصحيحة خاصة من قِبَل الجاليات الإسلامية في كل زمان ومكان، لما لها الأثر البالغ في تلك المجتمعات، فيزيلوا الغشاوة عن صورة الإسلام ونبيه ﷺ في نظر غير المسلمين.

المطلب الثاني: تعريف الناس بصورة النبي ﷺ وإزالة الشبهات حوله.

حاول أعداء النبي ﷺ قديماً وحديثاً، تشويه صورة النبي ﷺ أمام الناس سواء على الصعيد الداخلي في المجتمع المسلم، أم على الصعيد الخارجي في المجتمعات الأخرى، فهم يشيعون داخل المجتمع الأكاذيب والأراجيف كقولهم: (ساحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وزوجه، وقولهم كاهن، شاعر، به جِنَّة، يريد الملك، تَعلَّم من أصحاب الديانات الأخرى..) إلى غيرها من الشبهات التي قيلت فيه قديماً وحديثاً.

وفي خِضَمِّ هذه الإشاعات والشبهات كان النبي ﷺ يقف أمامها موقف النبي الصابر المؤمن، فكان القرآن والوحي يدافع عنه أحياناً ويرد على أعدائه ويكشف زيف كلامهم وشبهاتهم، ويفضح سرائرهم.

وكان الصحابة يدافعون عنه أحياناً بالوسائل والصور كافة، حتى وإنْ وصل الأمر إلى الدفاع بالنفس وبأغلى ما يملك، فكانت صور دفاعهم من أشرف الصور التي تُعبِّر عن حبِّهم لنبينا ﷺ ،رجالاً ونساءً، شيوخاً وأطفالاً -رضي الله عنهم أجمعين-.

---

[1] انظر: التويجري، عبد العزيز بن عثمان، الجاليات والمؤسسات الإسلامية ودورها في إبراز صورة الإسلام، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ابسيسكو، سلا- المغرب، د.ط، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٢٤-٢٦ بتصرف.

وكان ممن دافع عنه بعض المشركين وأهل الكتاب، فكان دفاعهم له الأثر البالغ في نشر الإسلام واحتضان الدعوة، حتى قال النبي ﷺ مبيناً إحدى هذه الصور وأثرها بقوله: (ما أصابت ومن الوسائل التي استخدمها المدافعون عنه ﷺ وكان لها الأثر الواضح في الدفاع عنه تعريف الناس به وإزالة الشبهات حوله ﷺ، فكما رأينا في حوار جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وإجماع الصحابة على عَرْض الإسلام كما جاء رسول الله ﷺبه، وبيان صورة النبي ﷺ في مجتمعه، وكيف هذا المجتمع، ثم مجيء هذا النبي ﷺ ومحاولة إصلاح هذا المجتمع، وإعطاء الناس حقوقها وانتشالها من الظلام والجهل.

وقد كان اختيار النبي ﷺ لجعفر بن أبي طالب للحديث باسم المسلمين الاختيار الصائب، وذلك لعلمه بقدرات جعفر رضي الله عنه في بيان الأمور على وجهها ثم الرد على كل شبهة، وكان اختيار جعفر رضي الله عنه لعدة أمور منها:

١. كان جعفر رضي الله عنه من ألصق الناس بالنبي ﷺ، فقد عاش معه ﷺ في بيت واحد، فهو أخبر الناس بقائد الدعوة وسيد الأمة ﷺ من بين كل المهاجرين إلى الحبشة.
٢. الموقف بين يدي النجاشي (الملك) يحتاج إلى بلاغة وفصاحة، وبنو هاشم قمة قريش نسباً وفضلاً، والله عز وجل اختار قريش من نسل إسماعيل ثم اختار منهم بني هاشم.
٣. كان يجمع صفات السفراء الصالحين للإسلام، من بيان وفصاحة وعلم وسعة إصلاح، ومن خلق، ومحاورة، وسعة حيلة، والمظهر الجذاب[1].

والناظر إلى حديث عمرو بن العاص –رضي الله عنه– للنجاشي يراه يحاول تشويه صورة المسلمين، وأن هذا الرجل الذي جاء بدين جديد يخالف أهله في عقائدهم، وكذلك يخالف النجاشي

---

[1] انظر: خطاب، محمود شيت، سفراء النبي ﷺ، مؤسسة الريان، دار الأندلس الخضراء، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ج٢، ص٢٥٢٠ وما بعدها بتصرف.

في عقيدته، كما تحدث عن اعتقاد المسلمين في عيسى عليه السلام وأنهم يخالفوا النجاشي في عقيدته، ثم في عدم سجودهم للملك، فكان جعفر -رضي الله عنه- في غاية الذكاء وفي قمة المهارة السياسية، والإعلامية، والدعوية، فقد قام بالآتي:

١. عدد عيوب الجاهلية، وعرضها بصورة تُنَفِّر السامع، وركَّز على الصفات الذميمة التي ينفُر منها الإنسان، من ظلم وجَوْر، فانطلق من المبدأ الذي يقول :التخلية قبل التحلية.
٢. عرض شخصية الرسول ﷺ في هذا المجتمع الآسن الملئ بالرذائل وكيف كان بعيداً عن النقائص كلها، وصدقه، وأمانته وعفافه، فهو المؤهل للرسالة.
٣. أبرز جعفر -رضي الله عنه- محاسن الإسلام، التي تتفق مع أخلاقيات دعوات الأنبياء، كنبذ عبادة الأوثان وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وكون النجاشي وبطارقته عارفين في النصرانية، فهم يدركون أن هذه رسالات الأنبياء التي بُعثوا بها من لدن موسى وعيسى عليهما السلام.
٤. بيان ما قامت به قريش بنبيهم ﷺ والمسلمين من اضطهاد وتكذيب، وإشاعة الأكاذيب وعبادة الأوثان حتى أسلم النجاشي بعد هذا الحوار وأمام هذه الصور وبيانها ورد الشبهات عن النبي ﷺ[١].

ومن الأمثلة على رد الشبهات التي لا تغيب عنا قصة إسلام ضماد الازدي -رضي الله عنه- كيف أنّ النبي ﷺ حاوره فأسلم.

وفي قصة حوار أبي سفيان -رضي الله عنه- مع هرقل يتبين لنا أن غير المسلمين على أقسام، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (آل

---

[١] انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ص٢٠٠-٢٠٦ بتصرف.

عمران: ١١٣) والشاهد مما سبق بيان أنه يخطئ مَنْ يظن أن سبب العداوة من جميع أعداء النبيﷺ عدم علمهم به أو بصدق رسالته[١]، فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم في الأغلب فيجب ألا يُغالَى بهذا الأمر، وعدم المغالاة فيه تكون بمراعاة أمرين[٢]:

أحدهما: استحضار أن هناك خمسة طوائف من الغربيين:

١. فكما أن هناك **طائفة أولى** من المستكبرين باطري الحق وغامطي الإسلام، فإنَّ هناك **٢.طائفة ثانية** من الجهلة المغرَّر بهم، أما الطائفة الثانية فلا يعرف أهلها عن الإسلام إلا ما صورته الطائفة الأولى، فهؤلاء المساكين يحب أن يُستَنْقذوا من بني الإسلام، فيعرفوا بنبي الثقلينﷺ وبدين الحق فتُعرض لهم صورته المشرقة في سكينة وهدوء، وتقصير المسلمين في حقهم من أفحش الظلم لهم.

٣.أما **الطائفة الثالثة** فهي بين هؤلاء وهؤلاء وهم المُعرِضون الذين لا يريدون معرفة الحق وتمييزه من الباطل، يصمُّون آذانهم ويستغشون ثيابهم، إما لهوى أو ظلم أو جهل، وهؤلاء ينبغي أن يرغبوا في الإسلام وينبهوا إلى أهمية النظر فيه، قبل أن يلحقوا بالفريق الأول.

٤.وأما **الطائفة الرابعة** فهم المنصفون من الغربيين الذين عرفوا شيئاً من الإسلام فبانت لهم تعاليمه السمحة، وتشريعاته الحكيمة، وعرفوا شيئاً عن نبينا ﷺ فعظموه، فوقفوا موقف أبي طالب بن محمد ﷺ وقاموا مقام غيره ممن حمى بعض أهل الإسلام وذب عنهم[٣].

---

(١) سعيد، محمد رأفت، الإسلام في مواجهة التحديات، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص٥٢-٥٣ بتصرف.

٢ العمر، ظاهرة الإساءة، ص١٣. بتصرف.

(٣) من هؤلاء على سبيل المثال جوسلين سيزاري (الباحثة الفرنسية) روبرت فيسك الصحافي البريطاني، ماركوس بورج أستاذ علوم الدين في جامعة اوريغون الأمريكية، فرانسوا بورجا الباحث الفرنسي المرموق وكذلك كارين ارمسترونج الكاتبة البريطانية والراهبة الكثولويكية سابقاً وصاحبة العديد من المؤلفات عن الإسلام والمسيحية واليهودية ،(www.nusrah.tv/showthread).

ومن هؤلاء الأمير الانجليزي تشارلز وشهادته النادرة التي أسقط فيها صفة التطرف التي حاول الإعلام الغربي أن يربطها بالإسلام إلى جانب دفاع تشارلز عن فضل الحضارة الإسلامية على القارة الأوروبية أن يربطها بالإسلام إلى جانب دفاع تشارلز عن فضل الحضارة الإسلامية على القارة الأوروبية وعلى الحضارة الغربية بصفة عامة([1]).

وأمثال هؤلاء ينبغي أن يعرف لهم فضلهم، وأن يكافئوا عليه، وان يحرص على دعوتهم وهدايتهم، وحري بمثلهم أن يسلموا إذا تعرفوا على الإسلام أكثر.

٥.وأما **الطائفة الخامسة** والأخيرة فهم مسلمو الغرب، فهؤلاء ينبغي أن نكون ردءاً لمحسنهم ، حادبين على مسيئهم، حريصين على هدايته وتوجيهه التوجيه الأمثل.

أما الأمر الثاني الذي تنبغي مراعاته:

فهو معرفة الأسباب الأخرى التي ساعدت تشويه صورة الإسلام والمسلمين، على الرغم من توافر عوامل التعريف بالإسلام وأهله في عصر الفضائيات وثورة الاتصالات.

ولعل أهمها ينحصر في اثنين:

الأول: تقصير بني الإسلام في عرض صورة الإسلام الواضحة النقية.

والثاني: عرض صورة لدينٍ مُشَوَّه والتصريح بأنها صورة الإسلام، أو الإيهام بذلك، عمداً أو خطأ.

ولا شك أنَّ هذين السببين يتداخلان مع ما سبق ذكره، ولا سيَّما الثاني فإنَّ أثر الغرب في هذا ظاهر، كما أن حقد الغربيين له من يدعمه من الأطراف العملية المؤثرة كالعلمانيين والمغترين من المسلمين بالثقافة الغربية والانفتاح.

أما تقصير بني الإسلام في عرض صورة الإسلام الواضحة النقية فيشمل أموراً منها:

([1]) www.nusrah.tv/showthread

- تقصيرهم في عرضه ابتداء.
- وتقصيرهم في تنقية الصورة المشوهة بالشُبَه الغربية أو المستغربة الناطقة بالعربية.
- تقصيرهم في بيان الأخطاء ومعالجتها، على المستوى الداخلي والخارجي، فعندما تزور ممارسات باسم الإسلام خطأ، ثم لا يوضح بجلاء أن الإسلام منها براءٌ داخل الصف المسلم أو خارجه، فإما أن تبقى الصورة مشوهة عند إغفال الاعتراف بالخطأ وتصحيحه في الذهن الغربي، وإما أن تتكرر الأخطاء عند إغفال توعية الصف المسلم وحواره وتعريفه بالخطأ الذي وقع فيه[1].

وأما عرض صورة لدين مشوَّه، والتصريح بأنها صورة الإسلام، أو الإيهام بذلك، عمداً أو خطأ فذلك يشمل أمور أيضاً:

- منها الممارسات التي يعتقد بعض الجهلة أو المتحمسين أو المنهزمين أنها من الإسلام والإسلام منها براء.
- ومنها ما يُزوِّره العلمانيون وأذنابهم، الذين يزعمون (جهلاً أو كذباً) أن الإسلام لا يُعارض ما يَعرِضون وأن معارضته تشدُّد أو تزمُّت.
- ومنه ما يُعرض في وسائل الإعلام المسلمة، أو يُعرض في واقعهم من تعاملات مشينة، أو ممارسات تخالف هدي الإسلام، بغير نكير في أحيان، وبنكير لا يلتفت إليه في أحايين أخرى، فكل هذا مما يوهم الغربيين بأن تلك الصورة المشوهة هي الإسلام.

فلعل ما سبق من أسباب داخلية وخارجية، هي أعظم الأسباب التي قادت إلى تشوِّه صورة الإسلام لدى الغرب.

ويحسن التنبيه إلى أن العلاج الذي نملكه يتعلق

---

[1] العمر، ظاهرة الإساءة، ص١٣-ص١٤.

أولاً: بعلاج المظاهر والأسباب التي للمسلمين فيها يدٌ، كتصحيح واقعهم- مثلاً- وإنكار المنكرات التي ليست من الإسلام في شيء.

ثم ثانياً: بمدافعة الباطل وأهله الناقمين على الإسلام ومجاهدتهم جهاداً كبيراً من أجل إيصال صورة الإسلام للناس بيضاء نقية كما جاءنا به محمد ﷺ.

وهذا يتطلب خطاباً إعلامياً عصرياً نقدياً وموضوعياً، يغزو الأسواق الغربية، ويبتعد عن رتابة الخطاب الإعلامي الغربي والإسلامي الموجود اليوم.

كما أنَّ الحاجة إلى الاتجاه إلى الله ماسة، والاعتماد عليه كبيرة، والدعاء لأهل الضلال من الكفار بمعرفة الحق وإتباعه، وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: كأني انظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدمَوْه وهو يمسح الدمَ عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فأنهم لا يعلمون)[1].

فكما إنَّنا بحاجة إلى دعاء الله سبحانه وتعالى بأن يُهلك الظالمين المستكبرين المعرضين من الكافرين المستهزئين، ونحن أيضاً بحاجة إلى أن نسأله أن يهدي ضالَّهم ويدل حائرهم ولا سيما أولئك النفر الذين لا يزالون ينافحون عن الإسلام ونبيهﷺ.

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث ٣٢١٨

الفصل الرابع: منهج الدفاع عن النبي ﷺ في العصر الحاضر.

رأينا كيف كان الدفاع عن النبي ﷺ في زمنه، فقد دافع الله عنه بالقرآن وبالمعجزات، ودافع هو عن نفسهﷺ، وكذلك دافع عنه الصحابة والمشركون من قومهﷺ، فكان لكلٍّ منهم وسيلةٌ في دفاعه، فعلى الصعيد الفردي؛ نجدهم دافعوا عنهﷺ بتوفير الحماية والنصرة له، ومنهم من نصرهﷺ بالقتال والانتقام ممن آذاه، ومن جهة أخرى: الدفاع عنه باللسان؛ بالشعر والخطابة، فيخطب .

وعلى الصعيد الجماعي دافع عنه قومه، وكذلك أهل الحبشة في توفير الحماية لأتباعه، وبعهدهم أهل المدينة ،فقامت دولة الإسلام وانتصر النبيﷺ.

فكان منهجهم واضحاً جلياً للدفاع عنهﷺ أمام تلك الإساءات، وكان لهذه الأساليب النفع والصدارة في زمانها، وكانت لها ضوابط تضبطها حتى لا تفضي إلى محرم، أو تجلب مفسدة أعظم، كضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي زماننا تطوَّرت أساليب الإنسان في التعبير ونشر الأفكار والمبادئ، فجاءت في صور مختلفة، وأصبح من السهل الوصول إلى ملايين الناس في لحظة واحدة، والسيطرة على طريقة تفكيرهم، ونشر الشائعات دون محاسبة، فعادت الإساءة إلى النبيﷺ بصور عدة، ومن أطراف مختلفة، فكان لا بدَّ لأمَّتِه من الدفاع عنهﷺ أمام هذه الإساءات، وبيان الصورة الحقيقية له في نظر مخالفيه، حتى ينتشر الإسلام وتقوم الحجة على مخالفيه، وفي هذا الفصل نقف على منهج الدفاع عنه في زماننا، وعلى مشاريع مقترحة يمكن أن تتبناها الدول والأفراد للدفاع عنهﷺ.

المبحث الأول: ضوابط الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم.

يعد الدفاع عن النبي ﷺ من حقوق النبي على أمته، فقد جعل الله –عزّ وجلّ– لنبيه حقوقاً على أمته؛ كإتباعه، ونصرته، واحترامه وتوقيره، فنصرته ﷺ والدفاع عنه من الأمور الواجبة على أمته، ولهذا الأمر ضوابط شرعية مطلوبة؛ حتى لا تتعاظم المفاسد، وحتى لا يعتدي الناس

على بعضهم بعضاً من خلال عدم فهم هذه الضوابط، و لجعل مشاعر حب النبي مضبوطة بضوابط شرعية تمكّن كلّ مسلم من الدفاع عنه ﷺ والقيام بواجبه.

والناظر إلى هذه المسألة يجدها تندرج تحت مسمى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالإساءة إليه من المنكرات العظمى، ولها أحكام خاصة، وكذلك للنهي عن المنكر ضوابط ودرجات ينبغي الوقوف عندها انطلاقا من قوله ﷺ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)[1].

قال ابن الأثير : (المنكر ضد المعروف، و كل ما قبّحه الشرع و حرّمه و كرهه فهو منكر)[2]. و الناظر إلى ضوابط الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في الشريعة الإسلامية يجدها تتحدد بأمور: كالعلم، والقدرة، و اللين، الحكمة وعدم سبّ المخطئين، ولهذا نهى الله –جلّ وعلا– عن سب آلهة المشركين، فقال تعالى: (وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ (الأنعام: ١٠٨) .

ومن أهم ضوابط الدفاع عن النبي ﷺ، والتصدي للإساءة إليه ما يأتي:

١.العلم:

وذلك بأن يكون المدافع عن النبي ﷺ عالماً بحكم الإساءة إليه ﷺ وأحكامها، وأنَّ هذه الفعلة يعاقب عليه الشرع والقانون، فالمسلم المسيء له أحكام، ولغير المسلم أحكام أخرى، و كذلك العلم بالقوانين التي تجّرم هذه الفعلة، كما في القوانين الخاصة بكل دولة، وكذلك في القوانين على

---

١ مسلم، صحيح مسلم، كتب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث ١٨٦، الترمذي، الجامع، كتاب الفتن، باب النهي عن المنكر باليد أو باللسان أ بالقلب، حديث ٢١٧٢، أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب الخطبة يوم العيد، حديث ١١٤٢، النسائي، السنن، كتاب الإيمان وشرائعه، باب تفاضل أهل الإيمان، حديث٥٠٠٨، ابن ماجه، السنن، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في صلاة العيدين، حديث١٢٧٥.

٢ ابن الأثير، النهاية، ج٢، ص٧٩٤، مادة نكر.

الصعيد الدولي، فعلى سبيل المثال جاء في قانون حقوق الإنسان الدولي–العهد الدولي الخاص بالحقوق السياسية و المدنية –(الذي يحظر بالقانون أية دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية التي تشكل تحريضاً على التمييز أو العداوة أو العنف)[1]، وغيرها من القوانين التي تجرم الإساءة و صاحبها، وكذلك العلم بمراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطها، حتى لا يقع بمحظور شرعي.

٢. **القدرة:**

والقدرة هي " التي تمكن صاحبها من الفعل و تركه بالإرادة"[2]، و نقصد بالقدرة: أن يكون المدافع قادر على الدفاع عن النبي ﷺ أمام الإساءة الموجهة، وذلك ضمن مراتب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر الثلاث:

١- اليد

٢- اللسان

٣- القلب.

فأقل مراتب الإنكار الدفاع هي بالقلب، وكلٌّ مسلم قادرٌ عليها، فهي واجبة على كل مسلم باتفاق العلماء[3]، أما النهي عن المنكر باليد واللسان فتقدّر بقدرها، وهل تجلب مفسدة أكبر، وكذلك تأتي القدرة على الدفاع باليد من خلال الوقوف أمام المسيء بعدة أساليب، كالنصح أولاً ثم بيان عاقبة الأمر وتجريمه في الشرع والقانون، و يكون هذا الأمر بالقدرة على البيان والوعظ، خاصة مع غير المسلمين، و كذلك الرد بالكتابة واللسان، وبرفع دعوى قانونية، وكل ذلك لا

---

(١) المادة ٢٠ من العهد، وهي باللغة العربية على الموقع. www. Hrinfo.org.

(٢) المناوي، التعاريف، ص٥٧٥.

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ج١، ص٢٢٠، ابن حجر، فتح الباري، ج١٣، ص٥٣.

يستطيعه كل أحد من المسلمين، فتقدّر الاستطاعة بقدرها قال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

٣- اللين و الرفق:

وذلك لقوله النبي ﷺ: (إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ)[١]، وقوله ﷺ : (يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِى عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِى عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِى عَلَى مَا سِوَاهُ)[٢]

فينبغي على المسلم أن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر بلين و رفق، وأن لا يعنّف و لا يكسر و لا يحرق، كما يحصل في بعض البلاد كردود أفعال، مثل حرق للسفارات أو المحلات التجارية، فالمسلم عندما ينهى عن الإساءة إلى النبي ﷺ بعنف ربما يعود ذلك بنتائج أسوأ عليه وعلى الاسلام، وكذلك على صورة النبي ﷺ ، فقد حث الله –عزوجل– على مجادلة أهل الكتاب بالأحسن من القول: (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

وقوله –سبحانه– لنبيهﷺ مبيناً فضيلة اللين، وعاقبة الفضاضة: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

فما نراه من أفعال بعض المسلمين من التخريب ينافي أوامر الشرع.

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب الرفق، حديث٦٧٦٧.

(٢) مسلم، المصدر السابق، حديث ٦٧٦٦.

٤- عدم الوقوع في مفسدة أعظم.

إنّ تقدير المصالح والمضار من الأمور المطلوبة شرعاً، خاصة عند النهي عن المنكر، فقد قدّم الاسلام بعض الضرورات الخمس على بعضها، فقدّم حفظ النفس على حفظ الدين قال الغزالي: (وأما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب، فكل من علم أنَّه يضرب ضرباً مؤلماً يتأذى به في الحِسْبَة- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- لم تلزمه الحِسبة وإن كان يستحب له ذلك ... وإذا فهم هذا في الإيلام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر، وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تُنهب داره ويخرب بيته وتُسلب ثيابه، فهذا أيضاً يُسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب، إذ لا بأس بأن يفدي دينه بدنياه) [١].

فالدفاع عن النبي ﷺ يعّد من ضرورة الدين، فلو أنّ مسلماً كان في بلد غير مسلم، فقام أحد الكفار بالإساءة إلى النبي بأي وسيلة، فأراد هذا المسلم الإنكار بيده أو بلسانه، وهو على يقين أن هذا الإنكار سوف يؤدي إلى إزهاق نفسه في هذا البلدة لعدة أسباب، فالشرع في هذه الحالة يقدم حفظ ضرورة النفس على ضرورة الدين، وفي هذا قال ابن تيمية معلقاً على النهي عن المنكر والمفاسد المترتبة عليه: (والمقصود تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستلزما من الفساد أكثر مما فيه من الصلاح لم يكن مشروعاً) [٢].

وهكذا في كل فعل، وخاصة في البلاد غير الإسلامية التي تُعادي النبي ﷺ بشكل رسمي، وتحمي من تسيء إليه، فينبغي اللجوء إلى القانون في مثل هذه الحالات لحفظ الحقوق والنفس، والحكمة في التعامل مع هذه النماذج.

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص٢٩٣.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ، ص٣٣٠ .

المبحث الثاني : تبني الدول الإسلامية بشكل رسمي الدفاع عن النبي ﷺ في أُطر رسمية.

تنوَّعت أساليب الدفاع عن النبي ﷺ قديماً وحديثاً، واختلف المدافعون عنه ﷺ كلٌّ على حسب طاقته وأسلوبه ومنهجه، فكانت هناك الجماعة تدافع عنه، وكان الأفراد يدافعون عنه، وكان الوحي كذلك، حتى إنَّ المخالفين له ﷺ بعضهم من دافع عنه، فكان تأثير كلِّ واحدٍ من هؤلاء يختلف؛ من حيث التأثير في المجتمع، ومن حيث انتشار الإسلام وحمايته، وكذلك على نفسية النبيﷺ.

وكان ممن دافع عنه بشكل رسمي جماعي في زمانه ﷺ عشيرته، فكان لها الأثر البالغ في حمايته ونصرته ومر معنا قصة الشِّعْب ونُصرة بني هاشم له ﷺ.ثم جاء بعدها نصرة دولة الحبشة له ولدعوته ﷺ ولأتباعه، فانتشر المسلمون واستقروا، ودخل حاكم تلك البلاد في الإسلام بسبب دعوة المسلمين وتوفيق الله عز وجل.ثم جاءت بعد ذلك النصرة من المدينة المنورة، حيث تبنَّت المدينة المنورة ممثلة بالأنصار الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٧٤).أي الذين آووا رسول الله ﷺ والمهاجرين معه، ونصروهم وحموا دعوته، ونصروا دين الله عز وجل، أولئك هم أهل الإيمان حقاً، لهم مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم طيب مبارك في الدنيا والآخرة، بسبب إيمانهم ونصرهم لرسول الله ﷺ[1].

وفي حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– في بيعة العقبة الثانية ما يدل على النصرة الرسمية والدفاع الجماعي وحماية الدعوة، وبَعْد هذا الموقف أصبح الإسلام في دولة

---

[1] الطبري، جامع البيان، ج١٤، ص٨٨، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٩٩.

مستقلة، وجماعة واحدة، فعن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما– قال: (مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي المواسم بمنى يقول: **من يؤويني من ينصرني** حتى أبلِّغ رسالة ربي وله الجنة، حتى أن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر –كذا قال– فيأتيه قومه فيقولون أحذر غلام قريش لا يفتنك ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله إليه من يثرب **فآويناه وصدقناه**، ... وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة قال فقمنا إليه فبايعناه...)[١].

فلقد صدق هؤلاء الأنصار عهدهم مع الله ورسوله ﷺ، فمنهم من قضى نحبه، ولقي ربه شهيداً، ومنهم من بقي حتى ساهم في قيادة الدولة المسلمة، وشارك في أحداثها الجسام بعد وفاة النبي ﷺ، وعندما نراجع تراجم أصحاب العقبة الثانية من الأنصار في كتب السِيَر والتراجم، نجد أنّ هؤلاء الثلاثة والسبعين قد استشهد قرابة ثلثهم على عهد النبي ﷺ وبعده، ونجد أنه قد حضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ قرابة النصف، فثلاثة وثلاثون منهم كانوا بجوار الرسول ﷺ في جميع غزواته، وأما الذين حضروا غزوة بدر فكانوا قرابة سبعين[٢].

من هنا نرى مدى تأثير الدفاع الرسمي الجماعي من الدولة كيف له التأثير القوي، فقوة الدولة وهيبتها أقوى من العشيرة، والعشيرة أقوى من الفرد، ولكلٍّ دوره.

وفي زماننا تنوَّعت وتفاوتت ردود الأفعال مقابل الإساءة إلى النبي ﷺ فعندما أثارت الدنمارك موضوع الإساءة إلى النبي ﷺ ثم توالت الدول الغربية بشتى الوسائل للإساءة إلى النبيﷺ، كان لبعض الدول مواقف رسمية، ولكنها ليست كالمطلوب والمرجو من الدول الإسلامية.

---

[١] ابن حنبل، المسند ،حديث ١٤٤٩٦، ابن حبان ،صحيح ابن حبان،كتاب إخباره عن مناقب الصحابة، حديث ٧٠١٢ ،الحاكم ،المستدرك ،كتاب النكاح، حديث ٢٧١٨، والحديث إسناده حسن بمجموع طرقه–والله أعلم–.

[٢] انظر: الصلابي، السيرة النبوية، ص٢٥٠، الغضبان، التربية القيادية، ج٢، ص١٤٠.

فالدول الإسلامية والدول الغربية كانت قد تعاهدت ووقعت على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[١]، أو العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية[٢]. فقد جاء في الإعلان العالمي ما نصه: (الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطِّراد مراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسية واحترامها) [٣].

ثم قرر الإعلان أن من الحريات (الدين) في غير موضع، ومن ذلك نص المادة الثامنة عشر: (لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين) وجاء في العهد الدولي الخاص بالحقوق السياسية والمدنية ما نصه: (تحظر بالقانون أية دعوة إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية تشكل تحريضاً، أو التمييز أو العداوة أو العنف).

فهل احترمت الدول الغربية ذلك؟ أم هل قامت الدول الإسلامية برفع دعوة بذلك بشكل رسمي باسم دولة إسلامية أو دول إسلامية، نرى هنا مدى التقصير الذي حصل بشكل رسمي، فما كان من الدول الإسلامية إلا بعض الردود الضعيفة –على تباين في المواقف وأثرها على النحو الآتي:

أولاً: الاستنكار والشجب وطلب الاعتذار.

وصدر هذا من عدة دول إسلامية؛ وهي:

١. **تركيا:** كان موقف تركيا من أحسن المواقف التي اتخذت بشكل رسمي؛ حيث أجبرت الدنمارك على الاعتذار رسمياً، بل ووضعت الدول الأوروبية في موقف محرج، وأظهرت القوة للمسلمين وحبهم لنبيهم ﷺ.

---

(١) الذي اعتمد بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢١٧ ألف (د–س) تاريخ ١٩٤٨/١١/١٠م www.state.gove/g/drl .

(٢) اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٢٠٠ ألف (د–٢١) تاريخ ١٩٧٦/٣/١٦م وفقاً لأحكام المادة ٤٩ www.un.org/arabic/abutun/numanr .

(٣) المادة ٢٠ من العهد المذكور.

حيث قام رئيس الوزراء التركي (رجب طيب أردوغان) خلال قمة حلف الناتو في مدينة "ستراسبورغ" الفرنسية يوم السبت الموافق ٤/٤/٢٠١٠م، باستخدام حق الفيتو ضد اختيار رئيس الوزراء الدنماركي (اندرياس فوغ راسموسين) أميناً عاماً جديداً للناتو خلفاً للدبلوماسي الهولندي (ياب ديهوب شيفر) الذي سيترك منصبه.وعزا هذا الموقف إلى رفض (راسموسين) الاعتذار عن نشر صور كاريكاتورية مسيئة للنبي محمد ﷺ في صحيفة دنماركية في أيلول عام ٢٠٠٥ والتي أدت إلى احتجاجات واسعة في أنحاء العالم الإسلامي.

وهنا وجد الناتو نفسه في موقف حرج للغاية ، حيث إنّ فوز (راسموسين) بالمنصب يحتاج إلى إجماع كافة الدول الأعضاء في الحلف وعددها ٢٦ دولة، وتركيا وهى العضو المسلم الوحيد في الحلف استخدمت الفيتو، فيما أيدت بقية الدول وعلى رأسها واشنطن وباريس ولندن ترشيح (راسموسين) من بين المرشحين الآخرين للمنصب، ولحل تلك الأزمة، تدخل عدد من زعماء الناتو لإقناع أردوغان بالتراجع عن الفيتو إلا أنّه أكد تمسكه بموقفه، وخاطبهم قائلا :"من يحميه إذا دخل أفغانستان المسلمة مثلا ، ستكون هناك مشكلة". وأمام هذا لم يجد الرئيس الأمريكي (باراك أوباما) من خيار سوى عقد صفقة مع أردوغان تتراجع خلالها تركيا عن استخدام الفيتو، مقابل تعهدات من الناتو بالتعامل مع العالم الإسلامي على أساس من الاحترام المتبادل، بجانب تقديم (راسموسين) اعتذاراً علنياً للمسلمين عن الرسوم المسيئة خلال الاجتماع الوزاري المشترك الخاص بحوار الحضارات والعلاقة بين الغرب والإسلام الذي يعقد في اسطنبول ، هذا بالإضافة إلى أن يكون مساعد الأمين العام للناتو من تركيا وأن يكون مبعوثه إلى أفغانستان شخصية تركية أيضا[١].

---

(١) www.moheet.com/show_news.aspx وكل ما سبق مأخوذ من موقع مفكرة الاسلام.

٢- السعودية

استدعت السعودية سفيرها لدى الدنمارك وبررت هذا الإجراء بعدم اتخاذ كوبنهاغن إجراءات كافية ضد الصحيفة التي نشرت رسوما تسيء للنبي محمد ﷺ. وقال مسئول بالخارجية السعودية إنّ ما وصفه بعدم اكتراث الحكومة الدنماركية لإساءة صحفها للرسول ﷺ أدى لتعقيد الأمر فتم استدعاء السفير (محمد الحجيلان) للتشاور.وأعربت الرياض عن أسفها واحتجاجها على موقف الحكومة الدنماركية من موضوع الإساءة للإسلام والمسلمين.

يأتي ذلك بعد أن حثَّ مفتي السعودية الشيخ (عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ) الدنمارك على معاقبة صحيفة (جيلاندس بوستن) التي نشرت نحو ١٢ رسماً مسيئاً للنبيﷺ في/أيلول ٢٠٠٥م، ودعا بيان المفتي السعودي الحكومة الدنماركية إلى إجبار الصحيفة على الاعتذار عن هذه الجريمة الشنعاء وفرض عقوبات رادعة على كل من شارك فيها [١].

٣- ماليزيا:

وفي ماليزيا ذكرت وزارة الخارجية الماليزية أنها وجَّهت دعوة للسويد من أجل اتخاذ تدابير ضد الصحف التي أعادت نشر رسم كاريكاتوري مسيء للنبي الكريمﷺ، وكانت الصحف السويدية قد أعادت نشر الرسم الكاريكاتوري للرسام السويدي (لارس فيلكس) رغم أن هذا الرسم كان سببًا في محاولة لاغتيال ذلك الرسام كشفتها الشرطة،وقال وزير خارجية ماليزيا (انيفة امان) في بيان: (ماليزيا تدين بشدة إعادة نشر ثلاث صحف سويدية الرسم الكاريكاتوري للنبي محمد ﷺ).

---

(١) www.aljazeera.net

وأضاف الوزير أن ماليزيا قلقة من عدم مراعاة ما تمثله هذه الأعمال الخسيسة من حساسية لدى العالم الإسلامي حتى لو كان ذلك باسم حرية التعبير.وحذَّر البيان من" أن هذه الأعمال اللامسئولة تعتبر استفزازًا وإهانة وهي غير مقبولة."[١].

٤ – أفغانستان

انتقد رئيس أفغانستان (حامد كرزاي) الرسومات الكاريكاتورية المسيئة لنبي الإسلام ﷺ، والتي نشرتها صُحف أوروبية وسبَّبَت موجةً من الغضب العارم في أرجاء العالم الإسلامي.

وأخبر كرزاي محطة CNN: (إن الرسوم الكاريكاتورية التي نشرتها في البداية صحيفة دنماركية وتابعتها في النشر صحف أوروبية مهينة تذكي مشاعر الغضب في أفغانستان).وأخبر الرئيس الأفغاني المحطة الأمريكية: (نحن كمسلمين في جميع أنحاء العالم غاضبون من تلك الرسومات التي تظهر في الصحافة الأوروبية، ونشعر باستياء بالغ).وطلب (كرزاي) من الحكومات الغربية اتخاذ إجراءات صارمة ضدّ نشر مثل هذه الرسوم والصور، وناشد الصحف الغربية عدم التردد في طرد المحررين الذين ينشرونها، وأيد السفير السعودي في أمريكا هذه التصريحات (لكرزاي)[٢].

٥ – الأردن

قررت وزارة الخارجية الأردنية استدعاء سفير الدنمارك في الأردن إلى مقر الوزارة، وتسليمه مذكرة رسمية، تتضمن استنكار الأردن، واحتجاجه إزاء ما قامت به بعض الصحف الدنماركية؛ من نشر إساءات للدين الإسلامي وللنبيﷺ.

---

(١) http://nosra.islammemo.cc/index تفاصيل الخبر على الموقع.

(٢) http://nosra.islammemo.cc/index.aspx

وجاء هذا الاستدعاء استجابة لطلب تقدمت به لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الأردني إلى الحكومة الأردنية[١].

٦- **فلسطين.**

شجبت السلطة الفلسطينية قيام صحيفة دنماركية بنشر رسوم تسئ للنبيﷺ، معتبرة أنَّ هذا الفعل يعدُّ جريمةً كبرى وتطاولاً على الرسول ﷺ ويثير الضغائن والفتن والكراهية.

وأشار "يوسف جمعة سلامة" وزير الأوقاف والشؤون الدينية في تصريح له إلى أنه أجرى اتصالاً هاتفياً مع رئيس الجالية الإسلامية في الدنمارك أطلعه من خلالها على حالة الغليان والغضب الشعبي والرسمي في الشارع الفلسطيني نتيجة لهذا الفعل المسيء للإسلام والمسلمين في كافة أرجاء المعمورة، وقال بأن رئيس الجالية الإسلامية في الدنمارك يُجري اتصالات واسعة مع الحكومة الدنماركية في هذه الأثناء لتوضيح حجم الاستياء في العالم الإسلامي من هذا الفعل المسيء للرسول "محمد" ﷺ [٢].

وندد برفض رئيس الوزراء الدنماركي (أندرس فوغ راسموسن) بتقديم الاعتذار للمسلمين أو تحميل الصحيفة التي نشرت الصور المسيئة على الاعتذار متعللاً بحرية الإعلام والتعبير، وطالب الحكومة الدنماركية باتخاذ إجراءات حاسمة وقانونية ومحاسبة من قاموا بهذا الفعل الآثم وتقديم الاعتذار إلى مليار ونصف المليار مسلم في العالم.

---

(١) http://nosra.islammemo.cc/index.aspx

٢ http://nosra.islammemo.cc/index.aspx

ثانياً: حجب المواقع الالكترونية.

وتعدُّ هذه الخطوة من الخطوات المهمة ، فهي تعد وسيلة للضغط الإعلامي، وخاصة أنها الوسيلة الإعلامية الأكثر انتشاراً بعد التلفاز، والتي يحسن معظم الناس استخدامها، ووسيلةً للضغط الاقتصادي، فالدول الغربية هي التي تزوِّد العالم بالانترنت، وللاشتراكات في هذه الخدمة مردودٌ مالي ضخم، فعندما تقف هذه الخدمة فهي تؤثر على اقتصادهم.

ومن الدول التي حجبت هذه الخدمة بسبب الإساءة للنبي ﷺ.

١ –بنجلادش.

قررت الحكومة حجب موقع (فيسبوك)على شبكة الإنترنت بسبب قضية الرسوم الكاريكاتورية للنبي محمد ﷺ ، وصور "مقيتة" لقادة هذا البلد المسلم نشرت على موقع التواصل الاجتماعي.وصرح الرئيس الانتقالي للَّجنة (محمود ديلوار) أنّ القرار اتخذ بعدما "جرح الموقع المشاعر الدينية للأغلبية المسلمة من سكان البلاد"[١].

٢ – الباكستان.

حجبت السلطات الباكستانية عن مواطنيها(٨٠٠) موقع الكتروني على شبكة الانترنت، لمشاركتها في توزيع رسوم مسيئة لسيدنا محمد ﷺوكانت باكستان قد أعلنت أنها حظرت موقع (يوتيوب) لتبادل أشرطة الفيديو غداة قرار مماثل طال موقع (فيسبوك) بسبب مسابقة أطلقها مستخدم غربي حول رسومات للنبي ﷺ.

---

[١] http://nosra.islammemo.cc/index.aspx

وكان أحد مستخدمي موقع (فيسبوك) الاجتماعي على الانترنت قد نظَّم مسابقة بعنوان: "يوم رسوم محمد" ودعا إلى إرسال رسوم تمثل الرسول ﷺ إلى صفحته على الموقع. وقال (خرام مهران) المتحدث باسم الهيئة الحكومية الباكستانية للاتصالات "منعنا الدخول إلى (يوتيوب) بسبب وجود محتويات رهيبة" على صلة برسومات للنبي محمد ﷺ. وأثارت المسابقة غضباً عارماً في الأوساط الإسلامية ما دفع السلطات لحجب الموقع الشهير.وكانت محكمة باكستانية قررت فرض حظر على موقع (فيسبوك)، على خلفية مسابقة للرسوم مسيئة للرسول ﷺ. وأصدرت المحكمة توجيهاتها إلى هيئة الاتصالات الباكستانية بحظر هذا الموقع مؤقتاً. كما أمرت المحكمة وزارة الخارجية الباكستانية بالاحتجاج على الساحة الدولية على المسابقة التي ينظمها الموقع للرسوم المسيئة للرسول ﷺ . وأصدرت تلك المحكمة القرار بناء على طلب من حركة "المحامين الإسلاميين" الذين رفعوا دعوى لحظر الموقع[١].

ثالثاً: إغلاق السفارات لبعض الدول التي ساهمت في الإساءة للنبيﷺ.

تعدُّ هذه الخطوة من أجرأ الخطوات السياسية الرسمية، فهي بمثابة وقف التعاون والعمل مع هذه الدول، ووقف التعامل بصوَرِه كافة، وقام بهذا الأمر ليبيا فقط، فقد أقدمت ليبيا على إغلاق سفارتها في العاصمة الدنماركية (كوبنهاغن) احتجاجاً على السخرية بالرسول ﷺ، وقال رئيس الوزراء الليبي (شكري غانم): (إنّ بلاده تعتبر أن تلك الرسوم المسيئة "إهانة شديدة واستفزازا للمشاعر المقدسة للمسلمين تجاه رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام)[٢].

---

(١) http://nosra.islammemo.cc/index.aspx

(٢) http://nosra.islammemo.cc/index.aspx

رابعاً: المقاطعة الاقتصادية والتعاون مع الدول التي أساءت للنبيﷺ.

وتعدُّ هذه الوسيلة الأكثر انتشاراً بين بلاد المسلمين، وكان لها الأثر البالغ على تلك الدول، ففي (كوبنهاغن) أعلنت شركة آرلا فودز –أكبر الشركات المصدرة– أنَّ المنتجات الدنماركية مهددة بحملة المقاطعة، وصرح المتحدث باسم الشركة بأن أصحاب المحال التجارية يقومون بسحب منتجاتها من أماكن العرض والعزوف عن استيراد المزيد منها لأن المستهلكين لا يريدون الشراء[١].

أ. السعودية.

تصدر المجموعة الدنماركية السويدية إلى السعودية سنوياً بما قيمته ملياري كورون دنماركي (٢٦٨ مليون يورو) معظمها منتجات الزبدة والأجبان[٢]. فقد قامت مراكز التسوق في السعودية بسحب المنتجات الدنماركية من مراكزها، وبيّنوا أن هذه الخطوة ولو كانت متواضعة تعرّف هؤلاء المجرمين الذين يسيئون للرسولﷺ والإسلام بأن الأمة الإسلامية لن تسكت على الإساءة لنبيهاﷺ [٣].

ب.ولاية كانو النيجيرية.

في إطار حملة الدفاع عن النبي ﷺ انضمت ولاية كانو النيجيرية إلى هذه الحملة، حيث ألغت الولاية عقداً تجارياً لتزويد حافلات الركاب قيمتها أكثر من ٢٥ مليون دولار، والتي وقعتها مع شركة دنماركية؛ حسب ما نشرته إحدى الصحف النيجيرية "ذي بونش" The Punch. وفي حديث له مع الصحافيين قال مسؤول الإعلام والعلاقات العامة بمكتب والي الولاية (سليمان ياء سليمان) بأن هذه الخطوة جاءت تطبيقا لقرار مجلس برلمان الولاية.

وأضاف بان المجلس اتخذ قراراً آخر وهو رفض عروض الشركات الدنماركية لعقد بناء مولد الطاقة الكهربائية الخاصة بالولاية والتي تبلغ قيمته أكثر من ٦٠ مليون دولار أمريكي.

---

١ http://nosra.islammemo.cc/index.aspx

(٢) www.aljazeera.net

(٣) http://nosra.islammemo.cc/index.aspx

وإظهاراً لمدى غضب مواطني هذه الولاية على هذا العمل الإجرامي المشين والذي يتمثل في الاستهزاء بشخصية النبي المصطفى ﷺ، قام رؤساء اللجان الفرعية للبرلمان برئاسة رئيس البرلمان (بلارابي غاني) بإحراق علمي الدولتين: الدنمارك والنرويج.

وقال الأستاذ غاني: (لقد قمنا بإلغاء كافة الصفقات التي تم عقدها مع الشركات الدنمركية وطلبنا من جميع أهالي ولاية كانو مقاطعة المنتجات الدنمركية) ، وأضاف رئيس البرلمان: (لولا بُعد المسافة بين ولاية كانو ودولة دنمارك، لسجَّل المسلمون الكانويين غضبَهم وعدمَ ارتياحهم لهذه المنشورة الآثمة "بأسلوب آخر).

هذا وتجدر الإشارة إلى أن ولاية (كانو) من أكبر الولايات النيجيرية مساحةً وسكاناً، فأكثر من ٩٥ % من سكانها مسلمون.وهي من الولايات التي تتخذ الشريعة الإسلامية قانوناً لها، وتتميز هذه الولاية تحت قيادة (إبراهيم شيكراء) عن غيرها بأسلوب صادق وبشفافية نادرة في محاربة الفساد الإداري والمالي الذي استشرى بشكل مخيف في كيان هذه الدولة ذات الأغلبية المسلمة[١].

وقد توسع أسلوب المقاطعة في كثير من البلدان الإسلامية على مستوى الشعوب والأفراد، حتى عم معظم البلاد الإسلامية على مستوى الشعوب، ولكنَّه لم يأخذ المستوى الرسمي فيها.

المبحث الثالث: الجهود غير الرسمية.

تنوعت أساليب الدفاع عن النبي ﷺ، وتنوع المدافعون، ذكرت سابقاً الجهود الرسمية من الحكومات والدول الإسلامية في الدفاع عن النبي ﷺ، وفي هذا المقام أذكر الجهود غير الرسمية في الدفاع عنه ﷺ، ولكن أشير إلى أن الأساليب ربما تشبه الأساليب القديمة، كالشعر وبيان

---

(١) موقع مفكرة الإسلام http://nosra.islammemo.cc/index.aspx

الشبهات، ومواجهة الهجمة بوسائل الإعلام، وتختلف في زماننا من حيث الوسيلة ويمكن التقسيم بشكل عام إلى ما يأتي[1]:

١. الوسائل الإعلامية الشفوية.

(كالخطابة، والندوة، والخطبة، والمناظرة والحوار وغيرها من الوسائل)

٢. الوسائل الإعلامية المكتوبة والمرئية.

(الكتاب،والبحث، والبيان، والرسالة، والصحافة، والمجلات، والتلفاز، ومواقع الانترنت، والراديو) وغيرها من الوسائل.

فمن خلال هذه الأمور تختلف وسائل الدفاع وأساليبها، وقد أخذ كثير من الأفراد دورهم بشكل شخصي في الدفاع عن النبي ﷺ أو بشكل منظمة أو هيئة خاصة، فكان لكل دوره في مواجهة الإساءة إلى النبي ﷺ.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإعلام له دور كبير في الدفاع عن النبي ﷺ من قبل المسلمين، فالعالم أشبه بقرية صغيرة في زماننا بفضل الله عز وجل ومن ثم فضل وسائل الإعلام، فعلى المسلمين استغلال هذا المنبر جيداً بشتى وسائله، فقد يستطيع المرء الدخول إلى كل بيت، وإلى كل عقل بسبب هذه الوسيلة والتغيير للأحسن من خلالها.

وقد حاولت كثير من وسائل الإعلام الغربية التأثير على مشاهديها من خلال برامج التلفاز، ومواقع الانترنت، والراديو، فبعضهم شكل له جمهور له ثقله ووزنه من حيث الكثرة والتأثير، وما فعلته الدنمارك في الصحف وسار بعدها الدول الأخرى إلا شاهد على ذلك، من هنا كان حريٌ على المسلمين العمل بجد وأخذ زمام المبادرة في هذا الميدان، فمعظم القنوات الإسلامية هي باللغة

---

[1] انظر: أبو فارس، أسس في الدعوة ووسائل نشرها، ص٨٤-٨٧ و ص٩٩-١٠٠.

العربية أو بلغه تخاطب المسلمين في كل بلد تبث القناة لأهله، فلا توجد قنوات تخاطب غير المسلمين بلغتهم، وكذلك الراديو، أما الانترنت فقد توسع الأمر.

ويمكن تقسيم الجهات غير الرسمية إلى ما يأتي:

- المنظمات والهيئات.
- الشعوب والجماهير.
- العلماء والدعاة.
- المواقع الالكترونية.
- المؤتمرات .
- الشعراء.

فقد كان لكل مما ذكرنا دور في نصرة النبي ﷺ والدفاع عنه ورد الإساءة عنه ﷺ، ولا يخفى على كل ناظر أن شعوب المسلمين كانت لهم ردود أفعالٍ أقوى من ردود الحكومات، ويرجع ذلك لأسباب عدة تختلف من دولة إلى أخرى.

وسأتناول بالتفصيل دور المنظمات والهيئات، ودور الشعوب في الدفاع عن النبي ﷺ ، وقد مر ذكر كثير من المواقع الالكترونية فلا داعي لاعادة ذكرها هنا ، وسأكتفي بالإشارة إلى بعض الأمثلة طلبا للاختصار على النحو الآتي:

المطلب الأول :المنظمات والهيئات:

أولاً: اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية[1].

تنوعت الهيئات والمنظمات الإسلامية في ردها ودفاعها عن النبي ﷺ، فمنها من قام بإصدار بيانات استنكار وشجب، ومنها ما قام بالدعوة للمقاطعة، ففي بيان جاء من (اللجنة الأوروبية) فيه:

(تناقلت وكالات الأنباء العالمية تصريحات مسيئة للعقيدة الإسلامية ونبي المسلمين محمد ﷺ جاءت على لسان بابا الفاتيكان مستشهداً بها أثناء إلقائه محاضرة في ألمانيا، نحن في(اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية) ندين هذه التصريحات التي تتنافى مع جوهر العقيدة التي جاء بها السيد المسيح عليه الصلاة والسلام والتي تدعو للتسامح ، ونعتبر ما صدر عنه لم يكن زلة لسان لا يقصدها ، ولا اقتباس لتقديم مثال لا أكثر ، وإنما هي تصريحات تنبئ عن موروث تاريخ عميق من سوء الفهم المتعمد عن الإسلام وعقيدته ونبيه، وهي تظهر بين حين وآخر في أشكال شتى، وأماكن مختلفة، ومن أشخاص تجمعهم رابطة الكراهية والتحامل غير المبرر على الإسلام، وإن تناءت بينهم البلدان، واختلفت بينهم اللغات.

وتؤكد اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية وهي تعبر عن موقفها مما صدر عن بابا الفاتيكان أنها تلتزم لغة العقل والمنطق في إبداء رأيها وإظهار موقفها من هذه التصريحات، وهي في ذات الوقت تعبر عن رفضها كل أشكال العنف وجميع من يدعو إليه كوسيلة للتعبير عن الرأي)[2].

---

[1] هي لجنة مكونة من مجموعة من علماء الشريعة المسلمين في أوروبا قامت للدفاع عن النبي ﷺ للاستزادة انظر موقع اللجنة على شبكة الانترنت :www.islamudeni.net .

[2] www.muslm.net ، ٦/٧ / ٢٠٠٨م .

ويأتي هذا البيان من اللجنة كوسيلة للضغط وبيان الحق في المجتمع الذي يعيشون فيه، وهم أعلم من غيرهم بنفوس القوم، فهم يعايشونهم ويخالطونهم، فيأتي كلامهم عن معرفة ودراية .

ثانياً: (منظمة المؤتمر الإسلامي)[1]

عقدت منظمة المؤتمر الإسلامي قمة استثنائية للدفاع عن النبي ﷺ وقدمت في القمة عدة توصيات، وجاء في بيانها : (نددت القمة الاستثنائية لمنظمة المؤتمر الإسلامي الخميس -١٢-٢٠٠٥م بالإساءة للإسلام والمسلمين في وسائل إعلام بعض الدول الغربية، وشددت على مسئولية الحكومات تجاه ضمان الاحترام الكامل لجميع الأديان، وعدم جواز استغلال حرية التعبير كذريعة للإساءة إلى الأديان)[2].

وتبنت القمة في ختام أعمالها وثيقتي "بلاغ مكة" و"الخطة العشرية" إلى جانب البيان الختامي للقمة، وكانت القمة قد بدأت فعاليتها بحضور قادة وممثلي ٥٧ بلدا أعضاء بالمنظمة.

وذكرت وكالة الأنباء الفرنسية أن وثائق القمة تؤكد على محاربة التطرف في العالم الإسلامي، وتدعو إلى نشر قيم التسامح والاعتدال والوسطية، وتفعيل دور منظمة المؤتمر الإسلامي في التصدي لقضايا التنمية والإنماء في الدول الإسلامية، بالإضافة إلى إشاعة صورة مشرقة للإسلام والمسلمين في العالم.

---

[1] **منظمة المؤتمر الإسلامي** تجمع سبعاً وخمسين دولة،تسعى لدمج الجهود والتكلم بصوت واحد لحماية وضمان تقدم مواطنيهم وجميع مسلمي العالم البالغ عددهم ما بين ١,٣ مليار إلى ١,٥ مليار نسمة ، وهي منظمة دولية ذات عضوية دائمة في الأمم المتحدة ، تأسست المنظمة إذ عقد أول اجتماع بين زعماء عالم الإسلام، بعيد حريق الأقصى ٢١-٠٨-١٩٦٩م ، حيث طرح وقتها مبادئ الدفاع عن شرف وكرامة المسلمين المتمثلة في القدس وقبة الصخرة وغيرها من المستجدات، وذلك كمحاولة لإيجاد قاسم مشترك بين جميع فئات المسلمين بعد ستة أشهر من الاجتماع الأول تبنى المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء الخارجية، في جدة، إنشاء أمانة عامة للمنظمة، كي يضمن الاتصال بين الدول الأعضاء وتنسيق العمل. عين وقتها أمين عام واختيرت جدة مقرا مؤقتا للمنظمة، بانتظار تحرير القدس، حيث سيكون المقر الدائم، للاستزادة انظر :www. wikipedia.org/wiki.

[2] http://nosra.islammemo.cc

وندد بتنامي ظاهرة العداء للإسلام والمسلمين في الغرب، والتي كان أبرز صورها نشر رسوم كاريكاتورية مسيئة للرسولﷺ في صحيفة الحزب الحاكم بالدانمرك.

وقال البيان:

أ- إن المنظمة تعرب عن قلقها إزاء تنامي الكراهية ضد الإسلام والمسلمين بالعالم، والإساءة إلى الرسول في وسائل إعلام بعض البلدان.

ب- وشدد على مسئولية جميع الحكومات تجاه ضمان الاحترام الكامل لجميع الأديان والرموز الدينية، وعدم جواز استغلال حرية التعبير كذريعة للإساءة إلى الأديان.

ت- ودعت القمة إلى ضرورة العمل الجماعي لإبراز حقيقة الإسلام وقيمه السامية، والتصدي لمحاولة تشويه صورته وقيمه وتدنيس الأماكن الإسلامية، والعمل الفعال مع الدول والمؤسسات والمنظمات الإقليمية والدولية لحثها على تجريم هذه الظاهرة، باعتبارها شكلا من أشكال العنصرية.[١]

وقامت غيرها من المنظمات الإسلامية بعدة فعاليات وردود أفعالٍ للدفاع عن النبي ﷺ، كدور من أدوار الدفاع والنصرة للنبي ﷺ ، فكتفي بهذين المثالين في دفاع المنظمات والهيئات.

المطلب الثاني: الشعوب والجماهير:

ما زال المسلمون يدافعون عن دينهم ونبيهم، ففي كل زمان نرى كيف يكون حب المسلمين لنبيهمﷺ ،فكما كان الصحابة يحبون نبيناﷺ، جاء من بعدهم كذلك، وفي زماننا عندما أساء أعداء

[١] http://nosra.islammemo.cc/onenewasp

الاسـلام للنبـيﷺ لـم يقـف المسـلمون صـامتون أمـام هـذا العـدوان ، فقامـت الشـعوب والجمـاهير الإسلامية بعدة أمور للدفاع عن النبيﷺ منها[1]:

- الآلاف يتظاهرون في باكستان وتركيا ضد الرسومات المسيئة للنبيﷺ .
- ٥٠٠٠ طفلٍ يتظاهرون بكراتشي مطالبين 'بشنق' رسامي الصور المسيئة للنبي ﷺ .
- ٢٥ ألف شخص يتظاهرون في كراتشي تنديدًا بالرسوم المسيئة للنبي ﷺ .
- تظاهرة لمسلمي ألمانيا أمام السفارة الدانماركية.
- أحزاب مغربية تنظم وقفة احتجاجية على الإساءة للإسلام والنبي ﷺ .
- تظاهرة حاشدة بباريس احتجاجًا على الجريمة الدنماركية.
- محامو تونس ينددون بالإساءة للإسلام والنبي ﷺ.
- إضراب للمحامين اليمنيين احتجاجًا على الرسوم المسيئة للإسلام والنبيﷺ.
- مئات المسلمين بإسبانيا يتظاهرون تنديدًا بالرسوم المسيئة للرسول ﷺ.
- مسلمو إندونيسيا: الإساءة للنبي ﷺ حلقة في الحرب على الإسلام.
- لاعبو المنتخب المصري يحتجون على الرسوم المسيئة للإسلام.
- تظاهرات في هولندا وفنزويلا ضد نشر الرسوم المسيئة للنبي ﷺ.
- مسلمو ولاية مكسيكية يوجهون خطابًا للصحيفة المسيئة للرسول ﷺ.
- مئات الأردنيات يعتصمن أمام القنصلية الدانماركية في عمان.
- تظاهرة في الصومال ضد الصحف الدانماركية.
- الآلاف يتظاهرون ببروكسل ونيويورك تنديدًا بالرسوم المسيئة للرسول ﷺ.
- إغلاق السفارة الدانماركية في إندونيسيا بسبب التظاهرات.

---

[1] للاستزادة والتفصيل لكل حدث ؛ انظر الموقع السابق ، قسم قافلة النصرة– الشعوب والجماهير.

- تظاهرة بباريس للاحتجاج على نشر الصور المسيئة للنبي ﷺ.
- المرشدون السياحيون المصريون يقاطعون سياح الدانمارك والنرويج.
- مسلمو تايلاند يتظاهرون ضد الجريمة الدانماركية.
- مسلمو مالي يتظاهرون احتجاجًا على الرسوم المسيئة للنبيﷺ.
- مظاهرات في لندن احتجاجا على نشر رسوم تسيء للرسول ﷺ.
- متظاهرون يحرقون قنصلية الدانمارك في بيروت.
- الجالية الإسلامية في أوروبا تستنكر تطاول صحيفة دانمركية على شخص سيدنا محمدﷺ .
- استنكار جمعيات النفع العام والنقابات العمالية بالكويت للإساءة الدنماركية.

ونختم أخيراً بدعوة أقامتها جماهير في الأردن وفيما يلي نص الدعوة :

محكمة بداية جزاء- جنح عمان
مذكرة تبليغ ظنين/ بالنشر
رقم الدعوى: ٥-٤/ (١٣٥٢-٢٠١١)- سجل عام الهيئة/ القاضي: نذير علي عبد اللطيف شحادة

اسم الظنين:

١. كورت فستر غورت Westergaard Kurt رسام الكاركتير في صحيفة اليولاندبوستن (Jyllands-poten)
٢. كارستين جستي (Carsten Juste)
٣. فلامينج روس (Flamming Rose)
٤. صحيفة (اليولاندبوستن) (Jyllands-poten)
٥. ليسبيث كنيدسين (Lisbeth Knudfden)
٦. ليسبيث كنيدسين
٧. صحيفة بيرلينقسكي تيديني
٨. توقير سييدينفادين صحيفة بوليتكن
٩. سيمون اندرسون
١٠. صحيفة نيهيدسافيسين
١١. ارني جينسن
١٢. ارني يولليوم
١٣. صحيفة بي تي
١٤. صحيفة اكسترا ابلاديت
١٥. جاكوب هوبير
١٦. صحيفة ميترو اكسبرس
١٧. هينريك باي
١٨. صحيفة يوربان
١٩. تورسن بيجيرري راسموسسين
٢٠. صحيفة ٢٤ تيمر

التهمة:

١. إطالة اللسان على أرباب الشرائع من الأنبياء خلافاً للمادة (٢٧٣) من قانون العقوبات.
٢. نشر مطبوعات ومخطوطات ورسوم من شأنها تؤدي إلى اهانة الشعور الديني لدى المسلمين خلافاً للمادة (١/٢٧٨) من قانون العقوبات.
٣. الذم والقدح بواسطة المطبوعات خلافاً للمادة (٤/١٨٩) من قانون العقوبات.
٤. تحقير وقدح وذم الديانة الإسلامية والإساءة إليها إلى
النبي محمد صلى الله عليه وسلم
بالكتابة والرسم والصور واهانة الشعور الديمني لدى المسلمين واثارة النعرات المذهبية والعنصرية
خلافا للمادة (٣٨/أ، ب، ج) من قانون المطبوعات والنشر رقم (٨) لسنة ١٩٩٨ وتعديلاته.
٥. مخلافة أحكام المادة (٣٨) من قانون المعاملات الالكترونية رقم (٨٥) لسنة ٢٠٠١ والمتمثلة بمعاقبة كل من يرتكب فعلاً يشكل بموجب التشريعات النافذة بواسطة استخدام الوسائل الالكترونية.

يقتضي حضوركم يوم الاثنين الموافق ٢٠١١/٤/٢٥ الساعة ٩:٠٠ للنظر في الدعوى رقم اعلاه التي اقامها عليكم الحق العام والمشتكى: د. زكريا محمد عيد الشيخ وآخرون.
فاذا لم تحضروا وترسلوا وكيلاً عنكم تطبق عليكم الأحكام المنصوص عليها في قانون محاكم الصلح وقانون أصول المحاكمات الجزائية[1].

---

[1] جريد الغد، الأحد ١٣/ جمادى الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١/٤/١٧م.

وقد باشرت المحكمة عقد أولى جلساتها بتاريخ ٢٠١١/٥/١٠م.

من هنا نرى مدى دفاع الشعوب المسلمة عن نبيها ﷺ في كافة أنحاء الأرض، وإن كان يدل هذا على شيء فإنما يدل على صدق الشعوب ومحبتها لنبيها ﷺ –وإن كانت المحبة تعني أمورا سبق ذكرها في حقوقهﷺ – فالأطفال كان لهم دور، والنساء والرجال كذلك، والمسلمون بشتى أجناسهم ومستوياتهم كان لهم دور في حملة النصرة للنبي ﷺ، فيجب على كل مسلم معرفة دوره في نصرة نبيه ﷺ؛ ثم العمل بواجبه حتى لا يبقى عليه حجة بعدم نصرة نبيهﷺ.

المبحث الرابع: مشاريع عملية مقترحة للدفاع عنهﷺ.

بعد هذا الحديث عن الإساءة إلى النبي ﷺ في زمانه وزماننا، وأساليب الإساءة ووسائلها، ثم تأثيرها على الإسلام والمسلمين، وعلى المجتمعات غير المسلمة، ثم الحديث عن الدفاع عنه ﷺ وأساليبها ووسائلها، لا بد من تقديم بعض المقترحات لمشاريع تقوم بالدفاع عنه ﷺ للتعامل مع هذه الإساءة بالشكل المطلوب، فهو عداء منظم ومدروس في كثير من الأحيان، فهو بحاجة إلى وسائل مدروسة ومنظمة للوقوف أمامه، فالعداء والهجوم المنظم لا يواجهه إلا دفاع منظم ومدروس.

فالأمة الإسلامية مطالبة باتخاذ مجموعة من الخطوات والتدابير العملية الفعالة لتغيير واقع الإساءة إلى النبي ﷺ وخاصة في المجتمعات غير المسلمة، ثم التصدي للهجمة الإعلامية والفكرية التي تستهدف إهانته ﷺ.

وهذه بعض الوسائل المقترحة في الدفاع عن النبيﷺ.

المطلب الأول: تبني منهج الحوار والمناظرة للدفاع عن النبي ﷺ.

لقد أمر الله عز وجل في القرآن الكريم بالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، وبالحسنى فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

فالحوار سبيل الإقناع، ومفتاح القلوب وأسلوب للتواصل والتفاهم، ووسيلة للتعارف والتآلف، ومنهج الدعوة والإصلاح، ومسلك للتربية والتعليم، وسنن الأنبياء عليهم السلام أقوامهم لإقامة الحجج عليهم، ودفع الشبه عنهم.

وكم استخدم القرآن الكريم أسلوب الحوار لإقناع الخصم، وبيان الشبهات وردها، سواء في العقيدة في الله ورسله، أم بغيرها والناظر إلى سورة الأنعام على سبيل المثال يجد في السورة زاداً للدعاة ومنهجاً للمحاورين،

قال البقاعي: (وهي كلها في حجاج المشركين وغيرهم من المبتدعة والقدرية وأهل الملل الزائغة، وكلها مبنى أصول الدين، لاشتمالها على التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب الملحدين) [1].

فلقد كشفت السورة كثيراً من شبهات أهل الجاهلية وما هم عليه، من زيغ وضلال ومخالفات، فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: (إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فأقرأ ما بعد المائة من سورة الأنعام) [2].

---

[1] البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ–١٩٩٥م، ج٢، ص٥٧٨.

[2] الطبري، جامع البيان، ج٩، ص٥٩٢، البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب قصة زمزم وجهل العرب، حديث ٣٣٣٤.

أما عن معنى الحوار: فالحوار لغة: من الحَوْر، وهو الرجوع والقوم يتحاورون أي يتراجعون إلى الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة[١].

أما اصطلاحاً فهو: مراجعة الكلام بين طرفين مختلفين، مع تقديم الحجج والبراهين لإقناع احدهما برأي الآخر، وتقريب وجهات النظر[٢].

قال تعالى في سورة الكهف: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ (الكهف: ٣٧).

قال القرطبي: (أي يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور التجاوب)[٣].

أما الجدال؛ فهو من الجَدْل، وهو شدة الفتل، وجَدَلتُ الحَبْلَ أجدله جدلاً، إذا شددت فتله وفتلته فتلاً محكماً.

قال ابن منظور: (الجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة، المناظرة والمخاصمة) [٤].

أما اصطلاحاً فقد عرَّفه الجرجاني بقوله: (القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، أو هو: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة) [٥].

لقد ورد لفظ الجَدَل في نصوص القرآن والسنة على نوعين متباينين:

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢١٧، مادة حور.

(٢) انظر: المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مسميات التعاريف، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، ص٢٩٩.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٤٠٣.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص١٠٣، مادة جَدَل.

(٥) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ص١٠١.

الأول: الجدل المذموم، وهو الذي يدور في طلب المغالبة لا الحق، أو الذي فيه نوع من الخصومة والتعصب، ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ (غافر: ٤-٥).

وقوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧ ﴾ (البقرة: ١٩٧).

فقوله (ولا جدال) نهي عن الجدل لما يفضي إليه من خصومة ومشاحنات، لكن هذا لا يمنع من الحوار الهادئ، والتعارف والتآلف في هذه الفريضة الكبرى الكريمة التي تجمع المسلمين.

وفي الحديث عن أبي إمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) [1].

الثاني: الجدل المحمود، وهو الذي يكون في طلب الحق بالأسلوب الحسن بعيداً عن الخصومة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وأما المناظرة فهي في اللغة تدور حول النظر والتأمل والنظير الشبيه والمثيل، قال ابن منظور: "والتَّناظُرُ التَّراوُضُ في الأَمر، ونَظِيرُك الذي يُراوِضُك وتُناظِرُهُ وناظَرَه من المُناظَرَة، والنَّظِيرُ المِثْلُ، وقيل المثل في كل شيء، وفلان نَظِيرُك أي مِثْلُك؛ لأَنه إذا نَظَر إليهما النَّاظِرُ رآهما سواءً ، ونَظِيرُ الشيء مِثْلُه...، ويقال: ناظَرْت فلاناً أَي صِرْتُ نظيراً له في المخاطبة،

---

[1] الترمذي، الجامع، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الزخرف (الآية ٥٨)، حديث ٣٢٥٣، قال: هذا حديث حسن صحيح، ابن ماجه، السنن، كتاب الإيمان وكتاب العلم، باب اجتناب البدع والجدل، حديث٤٨، ابن حنبل، المسند، حديث ٢١٦٦٠.

وناظَرْتُ فلاناً بفلان أي جعلته نَظِيراً له...، والمُناظَرَةُ: أَن تُناظِرَ أَخاك في أَمر إِذا نَظَرْتُما فيه معاً كيف تأْتيانه والمَنْظَرُ والمَنْظَرَةُ ما نظرت إِليه فأَعجبك أَو ساءك"[1].

واصطلاحاً: " دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة."[2].

فالمناظرة تفيد النظر والتفكر في الأمور والبحث عن الحق عن طريق المحاورة مع الآخرين، وهي محاورة بين طرفين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الآخر، فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه.

والناظر إلى سيرة رسول الله ﷺ يرى كم كان يستخدم النبي ﷺ وأصحابه الحوار في الدفاع عنه ﷺ وعن الإسلام مثل: (حوارهﷺ مع قريش، حواره ﷺ مع أهل الكتاب، حوارهﷺ مع ضماد الأزدي، حواره ﷺ مع عمرو بن عبسة، حواره ﷺ مع الحصين والد عمران بن الحصين؛ حيث كان حواره ﷺ في عبادة الأوثان وعددها ودفع الشبهات حتى أسلم الحصين، وحوار جعفر مع النجاشي وما ترتب عليه ذلك الحوار التاريخي، وحوار هرقل مع أبي سفيان ، وغيرها من الأمثلة في السيرة الكثير).

فعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ)[3] ففي هذا الحديث أمرٌ بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله.وهذا الواجب قد فرَّط فيه كثيرٌ من الدعاة والمصلحين، ففي الوقت الذي نجد فيه دعاة التقريب بين

---

(1) ابن منظور، لسان العرب ج٥، ص٢١٧، مادة نظر.

(2) الجرجاني، التعريفات، ص٢٩٨.

(3) أبو داود، السنن، من حديث أنس – رضي الله عنه– ، كتاب الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو، حديث٢٥٠٤، ابن حنبل، المسند، حديث ١٢٥٧٧، الحاكم، المستدرك، حديث٢٣٨٤ وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، الدارمي، السنن حديث ٢٤٣١، وقال محققه حسين سليم أسد :(إسناده صحيح)، والحديث حسن بمجموع طرقه– والله أعلم–.

الأديان ودعاة الحداثة ينشطون لذلك ويعقدون الندوات والمؤتمرات، تارة باسم التعاون وأخرى باسم التسامح والتعايش، وثالثة لتحاشي النزاعات وصدام الحضارات على حد زعمهم، وغير ذلك من موضوعاتٍ؛ نجد في الوقت نفسه تقاعساً كبيراً وعزوفاً من دعاة الحق عن هذا النوع من الجهاد [١].

ومن أهداف الحوار ومقاصده: إقامة الحجة، وكشف الشبهات والرد على الأباطيل، ولإظهار الحق وإزهاق الباطل، وتبديد ما عليه المشركون من أوهامٍ وضلالات كما أن الحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس فهو السبيل إلى دعوة الحق، **وفيه تقريب وجهات النظر،** وتضييق هوة الخلاف، ونزع فتيل الخلافات والعداوة بين الأمم والشعوب، سيما في هذا الزمان الذي كثرت فيه المشكلات واحتدمت النزاعات وتعدّى الناس على الإسلام وعلى نبينا ﷺ فعلى المسلمين العمل على إنشاء قنوات للحوار للدفاع عن النبي ﷺ كما كان في زمانه ﷺ، فالقرآن حاور وجادل ، وكذلك النبي ﷺ، ومن ثَمَّ أصحابه ﷺ، وقد برع المسلمون في أدب المحاورة، والتاريخ الإسلامي شاهد بذلك[٢].

وإن المتأمل في حال عصرنا هذا وما فيه من هجمة بل هجمات من كل اتجاه على الإسلام وعلى نبيهﷺ، حيث تكالب الأعداء وتداعت الأمم على ديننا وكثرت السهام من كل ناحية من غير المسلمين على اختلاف مذاهبهم، وغيرهم من الفرق والمذاهب الضالة وسائر المضلين والمنافقين والمستغربين والمستشرقين، وأدعياء التحرر ودعاة التحلل وغيرهم يدرك أنه يتحتَّمُ على الداعية أن يكون له دوره في مواجهة كل هذه التيارات وفي صد تلك السهام المصوبة على ديننا الحنيف وعلى نبينا ﷺ. قال ابن تيمية –رحمه الله–: (فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة

---

(١) الصمداني، الشريف محمد بن حسين، رؤية شرعية في الجدال والحوار مع أهل الكتاب، ص٣ (من موقع الإسلام http://www.al-islam.com).

٢ العقيل، عبد الله، أدب الحوار ،مركز الإعلام العربي، مصر،ط٢ ،١٤٢٩–٢٠٠٨م، ص ٧–١٠، بتصرف وزيادة.

تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفَّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين) [1].

فالداعية بحاجة إلى فن الحوار وأصوله، فمعرفة ذلك لا غنى عنه لمن يسلك طريق الدعوة، إذ الدعوة إلى الله تعالى مبنية على الحوار وقائمةٌ عليه، وميادين الدعوة ومساراتها متعددة ومتنوعة، ومن المتطلبات الضرورية للداعية حاجته إلى فهم أصول الجدال، والحوار، والمناظرة؛ فإنّ كثيراً من الناس بدافع المحبة والعاطفة للإسلام يفسد أكثر مما يصلح، إما بالسبِّ والشتم للمقابل، أو بعدم التمكن من التحاور لسرعة غضبه وعدم تمكنه، وقد يكون البعض من الدعاة صيداً ثميناً لأحد أعداء الإسلام يريد أن يفسد عليه دينه، وذلك بإثارته، والتشغيب عليه، وجره إلى شبهات ينهزم أمامها في أول جولة، إن لم تتزعزع ثوابته، وتختلط عليه الأمور [2].

فبالحوار تنتصر قوة الحجة والبرهان دون خسائر بشرية أو مادية، فلا يحتاج إلى إعداد الجيوش وتجهيزها، وإن كانت لغة القوة لا يستغنى عنها في الدفاع عن الأنفس والأرواح واستعادة الحقوق: قال أبو تمام:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... في حدِّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ.

وقال ابن الرومي:

كذا قضى الله للأقلام مُذْ بُرِيَتْ... إنَّ السيوفَ لها مُذْ أُرهِفَتْ خَدَمُ

وقيل: إذَا لم يكنْ إلا الأسِنَّةُ مركبًا فما حيلةُ المضطرِ إلا ركوبُها

من هنا كان الجهاد لتأمين طريق الدعوة وتهيئة أجواء الحوار الهادف، وإزالة كل سلطان وطغيان يقف عقبةً في طريق الحقِّ، وتحرير الشعوب من أكابر المجرمين الذين يستبدون

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، درء التعارض العقل والنقل، تحقيق : محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية – الرياض، د.ط ، هـ١٣٩١، ج١، ص٢٠٧.

(٢) انظر: زيدان، أصول الدعوة، ص٤٧٨، العقيل، أدب الحوار، ص١٠.

ويستعبدون المستضعفين بالقسر والقهر قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢٣– ١٢٤)

فيجب على الأمة الإسلامية العمل على تبني أسلوب الحوار كمنهج للدفاع عن النبيﷺ، وذلك إتباعا لمنهج القرآن، وإتباعا لمنهج النبي ﷺ في الدفاع عنه ﷺ وعن الإسلام، والبحث عن إنشاء قنوات للحوار وبيان الشبهات التي أثيرت حوله ﷺ وحول الإسلام قديماً وحديثاً، خاصة باللغات الأخرى ، وعلى المسلمين ألا ينتظروا المبادرة من غيرهم لهذا الأمر، فعليهم البحث وإيصال الحقيقة بشتى الوسائل وألا ننسى قوله تعالى﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٣)، وألا نقف أمام تعنُّت الجاهلين والمفسدين، وكل ذلك دفاعا عن الإسلام وعن حبيب رب العالمين وسيد ولد آدم والمرسلينﷺ.

المطلب الثاني: الجامعات والمعاهد والمراكز العلمية[١] :

انطلاقا من النصوص الكريمة التي تحثُّ على الدفاع عن النبيﷺ ينبغي أن تكون مواقف المسلمين مبنية على أسس علمية مدروسة ومخطط لها، وأن تدار مثل تلك الأزمات بمنطق العقل والحكمة، وهذا الأمر يعول فيه بالدرجة الأولى على الجامعات والمعاهد والمراكز العلمية، فهي الصرح العلمي الأكاديمي المتخصص في كل دولة، ومنها يتخرج كل مثقف ومتعلم، بل ينبغي أن تكون الجامعات هي المرجع الأساس في كل ما تواجه الأمة من تحديات، وهذا يدل عليه فقه ديننا وفقه واقعنا.

---

[١] استفدت هذا التفصيل في دور الجامعات من الدكتور المشرف على الرسالة، فجزاه الله عني كلَّ خير.

وهذه مقترحات في منهج التصدي للإساءة للرسول ﷺ من خلال الجامعات والمعاهد والمراكز العلمية، أجملها فيما يأتي:

أولا. مقترحات عامة:

١.التخطيط واستشراف المستقبل لكل خطوة نخطوها في هذا الأمر، وقد علَّمنا النبي ﷺ أن نستشرف المستقبل وان نخطط لكل أمور حياتنا: الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والصحية، وغيرها، وقال بعضهم: إذا لم تكن لديك خطة ستكون ضمن خطط الآخرين.

والإساءة للنبي ﷺ نوع من الحرب على الإسلام والمسلمين، نواجَه بها بصور وأساليب ووسائل متعددة، ومن ثقافات متعددة، فحتى نُواجِه مِثلَ هذه الحمْلات الثقافية أو الحرب الفكرية لا بدَّ أن نستعدَّ لها، ونخططَ لها على مستويات متعددة .وخير من يقوم بالتخطيط هم أساتذة الجامعات، وإشراك الطلبة في رسائلهم وأبحاثهم في هذا المجال.

٢.التنسيق مع الدوائر والمؤسسات الأخرى: الحكومية والشعبية، والاستفادة من دعمهم في هذا المجال، فاليد الواحدة لا تصفق، وبالتالي فالجامعات في وطننا العربي تحتاج إلى دعم مادي ومعنوي؛ للقيام بدورها الحقيقي والفعَّال خارج حدود الجامعة.

٣.توفر الإرادة لدى الجامعة: إدارة وأساتذة، للقيام بدور فاعل وحقيقي في التصدي للإساءة للنبي ﷺ، فبعض الأساتذة لا تتوافر لدية القناعة بأنه ما جرى من إساءة يستأهل الرد عليه، بل يرى أولئك بأنَّ عدم الردّ على ما حصل وتركه هو الأولى.

٤.ينبغي أن تكون اللغة التي نتحدث بها في هذا العصر هي لغة العصر وليس لغة الماضي، ونقصد بذلك أن نعرف مداخل قلوب الناس وحاجاتهم وثقافاتهم، وواقعهم، وما يناسبهم وما لا يناسبهم، ومستواهم العلمي، والتقرب من كلِّ ما يُقرِّبنا إليهم .

٥.أن تكون هناك مؤسّسيّة في العمل، أو من خلال جهة تدعم كل ما فيه تصدي للإساءة للنبي ﷺ، بحيث نضمن وجود دعم كاف ومثمر، كما نضمن الشرعية والقوة لذلك الجهد والعمل، وهذا تنبع أهميته من وجودنا في عالم لا يعترف إلا بالمؤسسية أو العمل المنظم المدعوم من جهة رسمية أو حكومية أو جهة شعبية لها صفة قانونية، والجامعات لا شك خير من يُعتَرَف به في مثل هذه الأعمال.وكثير من الجهات العالمية كان يقدم لها بعض الباحثين أبحاثا لهم أو أفكارا أو إبداعات فترفض تلك الجامعات الاعتراف بذلك العمل الفردي إلا أن يكون مدعوما من جهة رسمية أو علمية كالجامعات، وهذا أصبح لا يخفى على أحد.

ثانيا.مقترحات خاصة:

١. هناك شبه تُثار حول الإسلام عامّة، وحول شخصية النبي ﷺ وسيرته العطرة خاصّة، ونجد أنَّ من غير المتخصصين يقوم بالردِّ والدفاع عن النبي ﷺ بنية حسنة دون أن يستند إلى حجج راجحة وواضحة في الجواب أو الرد على تلك الشبه، مع الافتقاد إلى منهج علمي ينبغي أن يتناسب مع طبيعة تلك الشبهة وثقافة مَن أثَارها، ولذا فإنّ خير من يتصدى لتلك الإساءة من الشبه حول شخص النبي الكريم هم العلماء الذين وصفهم النبي بأنهم ورثة الأنبياء، وينبغي أن يكون هناك دعم مادي ومعنوي من إدارة الأقسام والكليات والجامعات لهذا الأمر، من تكليف طلبة الدراسات العليا، والأساتذة المتخصصين، الذين لهم صلة بهذا الأمر، حسب تخصصهم وثقافتهم، بجمع تلك الشبه وكل ما فيه إساءة للنبي الكريم؛ لدحضه وكشف زيفه بأسلوب منهجي رصين يناسب حجم الشبهة .

٢. عمل دراسات تقوم بإظهار عظمة النبي الكريم ﷺ سواء في رسائل علمية متقدمة أم من خلال أبحاث للطلبة في مساقاتهم، ويتم تحكيمها ونشرها على نفقة المجلة أو الجامعة .

٣. طرح مساقات أو مقررات أو تخصصات عن الأديان عامة لدراستها والتخصص فيها لتخريج دعاة من المسلمين متمكنين قادرين على دعوة الآخر بالحكمة والموعظة الحسنة.

٤. طرح مقررات أو مواد عامة أو متخصصة تُدَرَّس من خلالها شخصية النبي ﷺ من حيث النبي ﷺ وعلاقته مع المسلمين، والنبي ﷺ وعلاقته مع غير المسلمين. حيث يمكن أن تدرَّس هذه الموضوعات باللغات المختلفة لغير المسلمين أو مع العناية بأخلاقه ﷺ، وعنايته بحقوق الإنسان التي يهتم بها الغرب اليوم ويجعل لهذه المسألة أهمية كبيرة في التعامل مع الدول.

٥. إيفاد بعض الطلبة المتفوقين في الدراسات الإسلامية والعربية إلى جامعات غربية لدراسة لغة ذلك البلد، بحيث يكون عندنا من الباحثين المتخصصين من يتقن كل واحد منهم لغة بلد معين، ومن تعلم لغة قومهم أمن شرّهم ، وأيضا كان قادراً على التواصل معهم.

٦. عقد محاضرات وندوات ومؤتمرات وورش عمل تتناول في محاور متعددة شخصية النبي الكريم ﷺ مع التركيز على الجانب الإنساني والعام فيه، ويكون ذلك تحت رعاية إدارة الجامعات أو المعاهد العلمية، ولا ضير من التنسيق مع مؤسسات أخرى داعمة، فإذا كان الدعم سخيا ووافيا، كان صداه إيجابيا ومؤثِّراً. كما يمكن الاستعانة بذوي السمعة والمكانة من العلماء والدعاة والإعلاميين من أصحاب الشهرة مما يكفل أن يكون لكلامهم اثر في نفوس الناس.

* وأيضاً ينبغي أن لا تنسى اللجان المنظمة لتلك الندوات والمؤتمرات دعوة أساتذة جامعيين غربيين للمشاركة في هذه المؤتمرات.ونذكر في هذا المجال ما قامت به كلية الشريعة في جامعة اليرموك بعقد مؤتمر قبل سنوات حول التجديد في الفكر الإسلامي وتم مخاطبة جامعات غربية ومراكز

إسلامية في أمريكا وأوروبا واستجاب بعض الباحثين لهذا المؤتمر، وقامت الكلية بتوفير مترجمين من عدة لغات للمؤتمر.

٧.أن يخصص في صناديق البحث العلمي نصيب لهذا الأمر، من خلال تشجيع الباحثين والأساتذة والطلبة على الكتابة والبحث في مجالات السيرة النبوية جميعها.

٨. عمل مسابقات حول السيرة النبوية وشخصية النبي ﷺ تحت رعاية الجامعات تُخَاطَب بها جهات متعددة من الأدباء والعلماء والفنانين، ووضع محددات وضوابط لكل عمل مع التشديد على الالتزام بها،مع إعلان الجوائز السخية على تلك الأعمال، ويمكن أن تكون الأعمال كما يأتي:

- تأليف كتب للكبار والأطفال، وتحدد شروطها وعدد صفحاتها لكل مرحلة عمرية.

- عمل أناشيد دينية للكبار والصغار وتحدد عدد أبياتها.

- إطلاق مسابقة حول الشعر لنصرة النبي ﷺ على نمط "شاعر المليون".

- عمل مسابقات مكتوبة حول سيرة النبي ﷺ توزع على الطلبة للإجابة عنها ويمكن أن يكون ذلك في شهر رمضان.

٩. الحرص على المشاركة في مؤتمرات حوار الأديان أو عقدها في الجامعات، ويتم ترشيح أساتذة متخصصين في هذا المجال وخاصة مقارنة الأديان أو الدعوة.

١٠. تخصيص ساعة أو أكثر في إذاعة الجامعة أو تلفازها –إن وجد– للتعريف بسيرة النبي ﷺ للمسلمين وغير المسلمين كل بلغته، وعندنا بحمد الله في جامعة اليرموك إذاعة للجامعة لا تتوانى

في التنسيق مع أساتذة الكلية وإدارتها لتوعية الطلبة وتثقيفهم في مجالات متعددة تمسّ واقعهم وحياتهم، وتبث الإذاعة (٢٤) ساعة، ولها موقع على الانترنت على موقع الجامعة.

١١. تخصيص عمود في صحف الجامعة ومجلاتها للكتابة حول النبي ﷺ وسيرته العطرة بأسلوب جذّاب لا يكرر ما هو موجود في الكتب.وهذا يحتاج إلى مبادرة إدارة التحرير في الصحيفة إلى مخاطبة الأساتذة للكتابة من جهة، كما يحتاج أيضا إلى مبادرة من الكلية إلى توجيه الأساتذة في هذا الشأن وتخصيص صفحة دينية أو أعمدة في الصحيفة تتناول الشؤون الدينية ومنها سيرة النبي ﷺ وما يثار حولها بلغة عصرية محترمة.وبحمد الله يوجد في جامعة اليرموك قسم للصحافة والإعلام يبادر دائما إلى تكليف الطلبة بكتابة مقالات في الصحيفة في بعض المساقات التطبيقية وكثيرا ما يكون للمقالات الدينية نصيب في هذا الأمر كما نرى.

١٢. تنسيق إدارة الكلية أو الجامعة مع القنوات الفضائية المحلية والعربية والأجنبية للتعريف بالإسلام وسيرة النبي ﷺ بأسلوب يناسب جميع الثقافات والطبقات، وهذا يحتاج إلى إقناع إدارات الفضائيات بهذا الأمر، وكذلك إدارات الجامعات، كما يحتاج أيضا ذلك إلى تحفيز الأساتذة في الجامعات – كل حسب تخصصه– بمختلف الوسائل والأساليب للمشاركة في حلقات تلفزيونية حول النبي ﷺ والدفاع عنه بمختلف الأساليب، حتى نواجه الهجمة الإعلامية في بعض الدول على النبي ﷺ، حيث يتم تصويره والمسلمين على أنَّهم إرهابيين.

١٣. من الأمور الهامة التي ينبغي على الجامعات الاعتناء بها إنشاء مراكز بحث متخصصة في السيرة النبوية من جهة ، ومن جهة أخرى إنشاء مراكز متخصصة بالاستشراق والدراسات الغربية. لنجاري الجامعات الغربية المتقدّمة في هذا المجال .

١٤. هناك مراكز في بعض الجامعات تسمى بمراكز خدمة مجتمع، كما في جامعة اليرموك الذي من أعماله ونشاطاته عقد دورات تأهيلية في كثير من الأمور، فيقترح عقد دورات تأهيلية في القضايا الإسلامية المعاصرة، وأيضا في السيرة النبوية، وكيفية الدفاع عنها بأرقى السبل وبأسلوب عصري وقانوني ودبلوماسي، وكيفية مواجهة من يسيء للإسلام والنبي ﷺ ، وهذا ينفع طلبة العلم وموظفي السفارات ومن يعمل في السلك الدبلوماسي وغيرهم من أصحاب العلاقة، والذي يعطي هذه الدورات أساتذة متخصصون في هذا المجال، خاضوا دورات تدريبية وورش عمل في هذا المجال.

١٥. التنسيق مع المراكز الإسلامية الموجودة في الدول الغربية لتوعية الشباب المسلم هناك، وعقد محاضرات وندوات لغير المسلمين للتعريف بالإسلام وبسيرة النبي ﷺ.

١٦. من المساهمات التي يجدر بالجامعات الانتباه إليها أن تقوم بتقديم منح دراسية لأبناء المسلمين وغير المسلمين من يعيش في أوروبا وأمريكا، كما يفعلون –هم– هذا لصالحهم، وإذا كانت ميزانية الجامعات لا تكفي فيمكن الاستعانة بالشركات والمؤسسات الحكومية والخاصة لدعم هذا الجانب، ونجزم بأنّ كثيراً من أهل الخير من رجال الأعمال –وهم كثر بحمد الله– عندهم الاستعداد لتقديم تلك المنح، وقد عايشنا تجارب لبعض رجال الأعمال في الأردن ممن قدم مساعدات ومنح لطلبة مسلمين أجانب من نيجيريا وغيرها للدراسة في كلية الشريعة في جامعة اليرموك طيلة أربع سنوات والتكفل برسوم دراستهم وكتبهم ومعيشتهم بشكل محترم.

وبالتالي سيكون لنا سفراء شعبيين في تلك الدول ينشرون حضارتنا وسماحة ديننا كما حصل من قبل حين ساهم تجار المسلمين بأخلاقهم وطيب تعاملهم مع غير المسلمين بنشر الإسلام في بعض الدول كاندونيسيا وغيرها.

١٧.إنشاء معارض تشتمل على كتب وأشرطة مرئية ومسموعة تعرّف بالإسلام وبسيرة النبي ﷺ .ويتم استغلال المناسبات الدينية والمؤتمرات وغيرها من المناسبات الهامة لعقد تلك المعارض، كما ينبغي على الجامعات أن تتجاوز حدود الجامعة إلى المجتمع المحلي والوطني والدولي، ولا ندري ما الذي يمنع جامعاتنا من إقامة معارض في الدول الغربية تبرز سماحة ديننا وسيرة نبينا وثقافتنا الإسلامية، وخاصة إذا توفر الدعم الرسمي لهذا الأمر؟ وليس من الحكمة في شيء أن ننتظر الآخر ليأتي إلينا ليرى حضارتنا ويسمع ثقافتنا.

١٨. من الأمور التي يمكن أن تساهم فيها الجامعات في التصدي لظاهرة الإساءة للنبي ﷺ العمل على طبع ونشر الكتب والدراسات التي عنيت بسيرة النبي ﷺ والذبّ عنه، والقيام بترجمتها من خلال مراكز وأقسام الترجمة المتوافرة في تلك الجامعات ومنح الأساتذة الذين يقومون بتلك الجهود مكافآت مالية مجزية، أو حساب ذلك لهم في الترقية في الرتبة، حتى يكون الجهد جديّاً، ورصيناً، ومُحْكَمَاً.كما ندعو أيضا إلى التركيز على الأبحاث الدينية التي تخاطب العقل مثل الأبحاث التي تتعلق بالإعجاز العلمي الوارد في القرآن والسنة ، وترجمتها إلى اللغات الحية في العالم .

ومما يجدر الاهتمام بنشره وترجمته ما يوجد من بشارات في الكتب المقدسة بشَّرت بنبينا ﷺ ، وبجميع الأنبياء والرسل، وأنَّهم إِخْوَة. وأنَّه لا يصح إيمان احد إلا بالإيمان بهم جميعا، وأنهم جاؤوا ينشرون المحبة والسلام في هذا العالم.

١٩. العمل على إنشاء كراسي أو تمويلها من قبل الجامعات لدراسات السيرة النبوية في الجامعات الغربية، كما يفعلون هم في دراساتهم في جامعاتنا، وهذا لا ريب من الأمور الجيدة والمثمرة على المدى الطويل ويحتاج إلى جهود كبيرة من الجامعات ودعم مالي جيد، ومتابعة حثيثة.

٢٠.التعاون مع المؤسسات التعليمية الأخرى غير الجامعات: من وزارات التربية والتعليم، والمعاهد العلمية، لوضع مقررات أو مواد أو حصص للسيرة النبوية في المدارس، والمساهمة في تأليف كتب أو دروس في السيرة في كتب التربية الإسلامية لطلبة المدارس.

٢١. تخصيص ركن في المكتبات الجامعية يحوي مصنفات وأبحاث تتناول كل ما له علاقة بالنبي ﷺ، ويتم دعم هذا الركن بشكل مستمر، كما يمكن إهداء الجامعات الغربية بعض المؤلفات التي تتناول سيرة النبي ﷺ بشكل منهجي وصحيح مما يصحح المفاهيم الخاطئة عن النبي ﷺ.

٢٢.عمل موسوعة للسيرة النبوية وترجمتها إلى اللغات العالمية، وأيضاً عمل موسوعة عن النبي ﷺ . كما يمكن عمل موسوعات عن المستشرقين المعاصرين تكون إضافة إلى ما كتب من الموسوعات المطبوعة كموسوعة عبد الرحمن بدوي ونجيب العقيقي وصلاح الدين المنجد.

٢٣. إنشاء مؤتمرات طلابية أو جامعية لنصرة النبي ﷺ،بحيث تكون اللجان الطلابية هي التي تنظم المؤتمر وتستقبل فيه الأبحاث من قبل طلبة العالم الإسلامي والغربي. وهذا لو تم لكان فيه من الفائدة والتأثير ما يفوق بعض مؤتمرات الأساتذة، وسيكون له صدى إعلاميٌ جيِّد .

٢٤.هناك في جامعاتنا "نوادي" كثيرة مثل: "نادي الحوار والفكر" وغيره فلو تم تخصيص جزء من نشاطات مثل هذه النوادي لنصرة النبي ﷺ، أو يتم إنشاء ناد جديد باسم "نادي نصرة النبي ﷺ " ، ويوضع له أسس وقواعد وأقسام.

٢٥.تظهر بين الفينة والأخرى أفعال مسيئة للنبي ﷺ، ولا يكون لبعض الجامعات دور أو جهد في التصدي لها، وعلى الأقل أن يتم إصدار بيان لإنكار مثل تلك الأفعال باسم الجامعة، ويرسل البيان إلى الصحف العامة أو إلى تلك الجهة التي أساءت لنبينا ﷺ.

٢٦.للانترنت دور كبير في الاتصال مع الشعوب، فينبغي أن ينتبه إلى هذا الدور بشكل كبير لأمرين:

أ. يغطي مساحة كبيرة من الناس لكثرة من يكتفي بالانترنت للمعرفة والعلم.

ب- لسهولة الحصول على المعلومة من قبل الناس، فليست مثل المؤتمرات التي تتطلب الإعداد المادي والإداري وغير ذلك من الأمور وتدعى إليها شريحة معينة من الناس، أما الانترنت فيخاطب من خلالها كل الجهات بشكل ميسر وسهل وغير مكلف. ويكون ذلك من خلال مساهمة الجامعة في إنشاء موقع متخصص لنصرة النبي ﷺ أو التعريف به، أو من خلال تخصيص مساحة في موقعها الدائم للتعريف بالنبي ﷺ أو تسمية بعض أركان الموقع باسمه ﷺ.

٢٧.إنشاء رابطة للعلماء تجمع أساتذة الجامعات وعلمائها من مختلف التخصصات، ويكون من نشاطاتها التعريف بالإسلام وبسيرة النبي ﷺ والتصدي للهجمة عليه ولمن يثيرون الشبه حوله، ويمكن تسميتها بـ "رابطة العلماء لنصرة النبي ﷺ".

٢٨.إرشاد الأساتذة في الجامعات ليخصصوا مساحة في محاضراتهم العامة حول التعريف بالنبي ﷺ ونصرته، وأيضا تخصيص مساحة مقبولة من محاضراتهم ولو بكلمة واحدة للتعريف بنبينا وبسنته ونصرته ﷺ، وهو الذي قال : "بلغوا عنّي ولو آية".

٢٩. أن تقوم الجامعات بتتبع ما يُدَرَّس فيها من مواد، وما يعطى من قبل بعض الأساتذة للطلاب، وكان بعض الطلاب يشتكي من بعض المدرسين الذين يسيئون إلى النبي ﷺ وصحابته الكرام، حتى في بعض المواد العلمية كالفيزياء والكيمياء، ولا ندري ما علاقة هذه المساقات بالحديث عن الصحابة والنبي ﷺ. كما أنَّ بعض من يُدَرِّس الحضارة الإسلامية يسيء إليها متعمداً أو جاهلاً، وهذا ينبغي أن يتعاون فيه الطلبة مع إدارة الجامعة، من خلال إرشاد الطلبة إلى هذا الأمر، وعلى الجامعات إيقاع العقوبة المناسبة لمن سوّلت له نفسه مثل ذلك، أو تصحيح هذا الأمر بما تراه مناسباً.

٣٠. استغلال وجود قسم للفنون في الجامعات في التعريف بنبينا ﷺ ونصرته والتصدي له من خلال عمل مسرحيات منضبطة، أو رسوم تنشر محاسن الإسلام وفضائله، واستغلال جميع التخصصات الفنية في القسم من تمثيل ومسرح وتصميم وغيرها لهذا الأمر.

ولا يخفى ارتباط هذا الموضوع بقناعة الأساتذة في أقسام الفنون من جهة وقناعة أساتذة الشريعة من جهة أخرى، وإصدار فتاوى تجيز مثل هذا العمل مع وجود ضوابط وشروط، خاصة في ظل وجود فتاوى تحرم التمثيل حتى مع وجود ضوابط، وتحرم الغناء الديني مطلقا حتى مع وجود ضوابط، مع أنّه أصبح لا يخفى على كثير منا أثر الغناء الديني في دخول كثيرين في الإسلام، ولقد سمعنا على بعض الفضائيات أنَّ عدد من دخل الإسلام بسبب

سماع أغاني دينية- وأغلبها مع موسيقى- في إحصاءات حديثة يتجاوز الملايين، مما يجعل بحث هذا الموضوع من الأهمية بمكان.

٣١. استحداث أقسام جديدة في الدراسات الإسلامية يكون لها دور فاعل في واقع الناس والمجتمعات، مثل: أقسام الإعلام الإسلامي، والدراسات المعاصرة حول السنة وغيرها، وقد قامت كلية الشريعة في جامعة اليرموك بإنشاء تخصص "الإعلام الإسلامي" في قسم الدراسات الإسلامية، يمنح درجة البكالوريوس، كما استحدث قسم أصول الدين مساقا للبكالوريوس والدراسات العليا باسم: "السنة في الدراسات المعاصرة"، يتم تدريس المساق ضمن خطة تتناسب مع كل مرحلة على جهتين: أ- الدراسات الإيجابية حول السنة. ب- الدراسات السلبية حول السنة. ومما يتضمنه هذا المساق ما يكتب حول النبي ﷺ من قبل المسلمين المعتدلين، والمستغربين، ومن قبل غير المسلمين من المستشرقين والحداثيين، وغيرهم.

فهذه بعض المقترحات في دور الجامعات عرضتها، عسى أن تجد صدى لدى إدارة الجامعات، ومتأملين دراستها، وبيان ما يمكن تطبيقه منها على ارض الواقع بما يتناسب وسياسات الجامعات والدول من جهة، وبما يتناسب مع ميزانية الجامعة من جهة أخرى، سائلين المولى عزّ وجل أن يوفق الجميع لخدمة الإسلام ورسوله ﷺ .

المطلب الثالث: وقف النبي ﷺ [1].

وقف بقيمة ١.٥ مليار يورو (يورو من كل مسلم لنصرة نبي الله ﷺ).

إنَّ الأمة الإسلامية في حاجة إلى مشروع متكامل لمواجهة تنام الإساءة إلى النبي ﷺ في العالم الغربي، والتصدي لحملات تشويه الصورة الذهنية عن نبي الإسلام ﷺ لدى كثير من غير المسلمين، بسبب الحملات الإعلامية المسيئة، وتكاتف بعض المستشرقين والمفكرين الغربيين من ذوي الميول المعادية للإسلام على تشويه صورة النبي ﷺ في كتاباتهم وأبحاثهم.

إنّ فكرة وقف النبيﷺ يمكن أن تكون الإطار الذي يجمع هذه الجهود من أجل القيام بحملة عالمية مستمرة لتقديم صورة صادقة وحقيقية ومنصفة عن دين الإسلام، وعن سيرة خير ولد آدمﷺ، والمبعوث رحمة للعالمين من خلال مشروعات عالمية متميزة.

مشروع (وقف النبيﷺ) هو وقف مقترح بقيمة ١.٥ مليار يورو، مقسمة إلى ١.٥ مليار سهم بقيمة يورو واحد لكل سهم، وهو وقف يهدف إلى حثِّ كل مسلم على وجه الأرض بالمساهمة بقيمة لا تقل عن يورو واحد من أجل قيام هذا الوقف، الذي سيخصص للقيام بمجموعة من المشروعات العالمية الهامة الهادفة إلى نصرة نبي الإسلامﷺ في وجه حملات التشويه والإساءة غير المنصفة عن خَيْرِ خَلْقِ الله صلوات الله وسلامه عليه.

تجمع أهداف الوقف بين تصحيح الصورة المشوهة عن النبيﷺ بين غير المسلمين، وتقديم صورة صحيحة وصادقة وإيجابية عن نبينا محمد ﷺ، من خلال العديد من البرامج العلمية والإعلامية والفكرية، وكذلك التصدي لأية إساءة توجه للنبيﷺ من أي جهة إعلامية أو دينية أو فكرية، وأخيراً المساهمة في الحث على سن تشريعات دولية تكفل حماية رموز الأديان من التشويه والإساءة لها.

---

[1] استفدت هذا المشروع من: خفاجي، لماذا يكرهونه، ص ١١٠ بتصرف .

من المقترح أيضاً أن يتبنى مشروع (وقف النبيﷺ) عدداً من المشروعات الطموحة في المجالات الإعلامية والفكرية والبحثية، تركز هذه المشروعات على الجوانب الايجابية والإبداعية في الدفاع عن النبيﷺ، واستخدام أحدث ما وصل إليه التقدم البشري من تقنيات ووسائل علمية وإعلامية في تحقيق ذلك، مع الإلتزام بالمنهج الدعوي الرصين؛ الذي أجمعت عليه الأمة في حسن تقديم دينها، والوسطية في التعامل مع قضاياها، والعدل مع البشرية والحرص على صالح الإنسان.

ومن المقترح أن يكون لـ (وقف النبيﷺ) مجلس أمناء من علماء الأمة ومفكريها وإعلامييها، إضافة إلى نخبة من أهل الحل والعقد من رجال الأعمال وقيادات المجتمع المدني الإسلامي، إضافة إلى الشخصيات الرسمية والدولية، كما ستكون للمشروع لجنة تنفيذية فاعلة من خيرة أبناء الأمة الإسلامية في مختلف مجالات اهتمام وأنشطة الوقف يبدأ الوقف، فور الإعلان عنه وتكوين مجلس الأمناء واللجنة التنفيذية له، في دعوة المسلمين من كافة أقطار الأرض إلى المساهمة في قيام الوقف بحد أدنى يورو لكل مسلم لنصرة النبيﷺ.

نأمل أن يكون هذا الوقف بادرة خير لجمع جهود الأمة حول مشروع فعال ايجابي، للتعريف بدينها وحفظ كرامة نبيها، والتحول من الدفاع السلبي عن الإسلام ورموزه ونبيهﷺ إلى تقديم برامج ايجابية وعملية معاصرة ومتنوعة للتعريف بالإسلام، وإتاحة الفرصة للبشرية لتتعرف بشكل صحيح ونصف على خير البشر نبي هذه الأمة رسولنا ﷺ.

ويمكن تقسيمه إلى:

١- جائزة المصطفى العالمية: جائزة سنوية ذات قيمة مالية ومعنوية عالية، تمنح في كل عام لشخصية إسلامية وأخرى غير إسلامية، تمنح الجائزة للشخصية التي تمتاز بالأخلاق الكريمة التي تحاكي وتقترب من أخلاق خير البشر.

٢- مسابقة سنوية بحثية عالمية، حول جانب من جوانب حياة الرسول ﷺ، تكون المسابقة بعدد من اللغات العالمية الهامة، وذات جوائز قيمة توزع في مهرجان عالمي يخصص لذلك.

٣- إنشاء المركز الدولي لدراسات السيرة: ليكون مركزاً فكرياً وبحثياً عالمياً يعني بالسيرة وتعريف غير المسلمين بالإسلام ونبي الأمة.

٤- رعاية ودعم عدد من الكراسي الأكاديمية في مجموعة من الجامعات العالمية الهامة حول الدراسات في السيرة والتعريف بنبي الإسلام.

٥- تكوين آليات للضغط الدولي المستمر؛ من اجل سن تشريعات وقوانين دولية تمنع الإساءة إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام رأسهم نبي الأمةﷺ.

٦- أساليب الدفاع عن النبيﷺ: وضع برامج عملية لتفعيل أساليب متعددة إعلامية وشعبية، للرد على أية وسائل إعلامية أو فكرية تمس بالإسلام أو القرآن أو نبي الأمة، من خلال وسائل ضغط سياسي واقتصادي وشعبي، تجتمع عليها الأمة أفراداً ومؤسسات ودولاً إسلامية.

٧- المؤتمر العالمي للسيرة النبوية: بحيث يكون مؤتمراً عالمياً سنوياً يعقد في إحدى الدول غير المسلمة، ويخصص للحديث عن علوم السيرة وحياة المصطفى.

٨- إطلاق موقع (المصطفى) الالكتروني: ليكون واجهة إعلامية اليكترونية متعددة اللغات، للتعريف بالنبي من خلال شبكة الانترنت.

٩- تنظيم حملات صحفية وإعلامية عالمية إعلانات وكتابات مدفوعة بشكل مستمر في المجلات والصحف، والمواقع الالكترونية، والقنوات الفضائية عن سيرة وأخلاق نبي الإسلامﷺ.

١٠- استكتاب مجموعة من المستشرقين والمفكرين والباحثين الغربيين لتقديم كتب ودراسات ومقالات منصفة عن النبي ﷺ.

١١- إصدار مجلة عالمية باللغة الانجليزية وغيرها من اللغات الحيّة بعنوان (الإسلام) لتكون منبراً إعلامياً للتعريف بالإسلام ونبيهﷺ وأمته.

١٢- مكتبة المصطفى: وهي مجموعة من الكتب والأشرطة والأقراص تهدى إلى ١٠.٠٠٠ مكتبة عامة في جميع أنحاء العالم، وتحتوي على كتب عن حياة النبيﷺ وصفاته وسيرته، وأفلاماً وثائقية بلغات متعددة حول نفس الموضوع.

١٣- قافلة شباب الإسلام: وهو برنامج للحوار والتعارف بين شباب الإسلام، وبين مجموعات شبابية من مختلف أنحاء العالم، تهدف إلى التعريف بالإسلام والعالم الإسلامي، وتبادل الأفكار والحوار حول مستقبل الأديان ودورها في حاضر أفضل للبشرية.

١٤- الندوات والحلقات النقاشية: تبني عدد من الندوات وورش العمل والحلقات النقاشية المختلفة في جميع أنحاء العالم، بالتعاون مع المنظمات الدولية ومؤسسات المجتمع المدني للتأكيد على القيم والأخلاق الكريمة التي تمثلت في شخصية النبيﷺ.

١٥- التعاون مع المؤسسات الإسلامية والعربية الدولية: من أجل تحقيق أفضل نتائج من البرامج والمشروعات المشتركة، وتقديم صورة مشرفة عن توحيد الجهود والتكامل بينها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

المطلب الرابع: إنشاء قنوات تلفازية بعدة لغات.

يعدُّ التلفاز الوسيلة الإعلامية الأشهر والأولى للوصول إلى الناس، فما يميزها سهولة الحصول عليها، وسهولة التعرض لها، فيمكن استخدامها للوصول إلى الجماهير والناس.

منذ فترة قصيرة تقريباً بدأت عدة قنوات إسلامية بالظهور (قناة اقرأ، والرسالة، والمجد، والناس، والرحمة، ودليل)، وغيرها من القنوات وقامت هذه القنوات بخدمة الإسلام والمسلمين، ولكن في جانب النصرة للنبي ﷺ لم تكن بالمستوى المطلوب؛ وإن كانت فهي تخاطب المسلمين (هي

قنوات تخاطب باللغة العربية) ولا يوجد قناة تبث باللغة الانجليزية على سبيل المثال غير قناة (Islam channel) وهي قناة لها ميزانيتها الضخمة، ففي لقاء[1] قامت به قناة اقرأ مع صاحب هذه القناة (سليمان الشدي) تحدث عن دور القناة في إيضاح رسالة الإسلام والدفاع عن النبيﷺ باللغة الانجليزية، ومن أحد مشاريعها فيلم عن الإسلام وصورته المشرقة (كانت تكلفته ما يقارب عشرة ملايين دولار) كان له الأثر الواضح على المجتمع البريطاني حيث تبث القناة من هناك.

ويمكننا استخلاص المميزات الأساسية للتلفاز، وكيفية الإفادة منها بما يأتي:

١. يعد التلفاز من أقرب الوسائل للاتصال الشخصي، وذلك لاستغراق حاستي السمع والبصر، فهو يستخدم الصوت والصورة والحركة معاً، وهذا يشد المشاهد، ويجذب انتباهه، ويمكننا عدها من ايجابيات التلفاز إن استخدمت بالشكل الصحيح[2].

٢. وجود التلفاز في المنزل يسهّل على صاحبه الاتصال بالعالم الخارجي لتلقي المعلومات.

٣. بث الثقافة الجماهيرية، ونعني بالثقافة الجماهيرية (رفع المستوى الفكري والروحي والسلوكي لفئات الشعب كافة، بحيث يجد كل فرد ما ينمي قدراته واستعداداته، وبث هذه الثقافة يحتاج إلى وسائل إعلام تصل إلى مختلف الفئات وهنا يأتي دور التلفاز الذي أصبح متاحاً للجميع.

٤. يعد التلفاز الأداة الإعلامية الأولى من حيث الكثافة والانتشار، ومن حيث المتابعة والمشاهدة من كافة الشرائع، مما يسهل الوصول إلى شرائح المجتمع وفي المجتمعات كافة[3].

---

(١) تاريخ٢٠١١/٢/١٢م، برنامج (ضع بصمتك) مقدمه د. محمد العريفي.

(٢) الغلاييني، محمد موفق، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، دار المنارة، جدة، د. ط، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص١٣٧.

(٣) حجازي، عبد الرحمن، الإعلام الإسلامي بين الواقع والمأمول، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص١٢٥-١٢٦ بتصرف.

من هنا كان من المقترح إنشاء شبكة تلفزيونية تسمى (شبكة المصطفى) أو غيرها من الأسماء، تتبناها دولة أو هيئة أو أي جهة إسلامية معتدلة، تقوم بمخاطبة غير المسلمين بالدرجة الأولى وبعدة لغات حيث تنتج عدداً من البرامج للدفاع عن الإسلام، وعن النبيﷺ وإظهار الصورة الصحيحة أمام هذا الجمهور، فتكون قناة عالمية وتصل إلى معظم أنحاء الأرض، وتقوم بإنتاج عدد من الأفلام الوثائقية والسينمائية والتلفزيونية العالمية، عن حياة النبي ﷺ وسيرته ودعوته وجهاده، يراعى أن تكون هذه الأفلام على مستوى عالٍ من الجودة والإنتاج، وبعدد من اللغات.

وتقوم باستقطاب عدد من الإعلاميين والمفكرين البارزين، فنحن نرى انه عند موضوع دنيوي يمس شيئاً من أمور الدنيا يستقطب ويستضاف رؤساء دول ومنظمات ومفكرين وغيرهم، فمن الأَحْرَى أن يُستقطب هؤلاء (بعدة وسائل رسمية أو غير رسمية) للحديث عن الإسلام وصورته وعن نبينا ﷺ فلا يوجد شيء أحب على المسلم من عقيدته ونبيه ﷺ.

ونحن نرى كيف أصبحت بعض الشبكات العربية لها حضورها في العالم، ولها تأثيرها ودورها في صناعة الأحداث، فإن استطاعت الأمة الإسلامية العمل على إيجاد شبكة تلفزيونية تختص بالتعريف بالإسلام ونبيه ﷺ بعدة لغات، ولها انتشار واسع، حينها يتغير الواقع وتتضح صورة الإسلام، وصورة نبيه ﷺ المشرقة، عندها يمكن للإعلام أن يقف أمام هذه الشبهات وهذه الأحداث.

الخاتمة:

الحمد لله أولا وآخره، وبعد هذا التطواف والترحال نحطُّ هنا لبيان أهم النتائج التي توصَّلت إليها هذه الرسالة على النحو الآتي:

١) للأنبياء مكانة عالية عند الله –عزَّوجلّ–، ومن ينتقص منهم أو يسبهم أو يشتمهم يدخل تحت مسمّى الكفر والردة.

٢) الدفاع عن النبي ﷺ أمام كل إساءة توجه إليه تعد من الواجبات الشرعية على أمتهﷺ، وهي فرض عين على كل مسلم.

٣) تعدُّ الإساءة إلى النبيﷺ من سنن الله عزوجل التي يبتلي بها الأنبياء والرسل ومَن سار على نهجهم من الدعاة المصلحين.

٤) تعدد أصناف المسيئين للنبي في كل زمان ومكان، من حيث الأساليب والوسائل وتشابهت في الدوافع.

٥) كان للإساءة إلى النبيﷺ آثار سيئة على المجتمع الإسلامي والمجتمعات الأخرى، كالأثر الاجتماعي الاقتصادي والأثر الاجتماعي والسياسي.

٦) الدفاع عن النبيﷺ تعددت أصنافه وأشكاله؛ فدافع الله عزوجل عنه في زمانه بالقرآن والمعجزات، وكذلك دافع هو عن نفسهﷺ، ودافع عنه الصحابة وبعض المشركين المنصفين، وبعض المستشرقين في الوقت الحاضر.

٧) يجب على الأمَّة الإسلامية أن تتبنى الإسلام منهج حياة ودستور قيم؛ لتتجلى صورة الإسلام ونبيهﷺ على وجه صحيح مشرق.

٨) للدفاع عن النبيﷺ ضوابط شرعيَّة ينبغي مراعاتها.

٩) إنّ تبنِّي الدول الإسلامية الدفاع عن النبيﷺ بشكل رسمي له أثر كبير وأقوى على الصعيد العالمي.

قائمة المصادر والمراجع :

- ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الآجري، محمد بن الحسين، الشريعة،تحقيق: محمد بن الحسن، دار الكتب العلمية- بيروت،ط١ ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- الأشقر، عمر سليمان، الرسل والرسالات، دار النفائس، عمان، ط١٤، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م، ص٢١٦.
- الأصبهاني، إسماعيل بن محمد، الحجة في بيان المحجة، دار الراية، الرياض، د. ط، ١٤١٩هـ-١٩٩٠م.
- _____، إسماعيل بن محمد، دلائل النبوة، تحقيق: محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ط١، د.ت.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد بن الراغب، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، د.ط، د. ت.
- _____، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته،المكتب الإسلامي- بيروت،ط٣ ١٤٠٨هـ،١٩٨٨م.
- إمام، إبراهيم، الإعلام والاتصال بالجماهير، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د. ط، ١٩٨٠م.
- إميل، درمنغم، حياة محمد، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، د. ط، ١٩٨٨م.

- الباقلّاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: سيد أحمد صقر، دار المعارف القاهرة، د.ط، د. ت،
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩م.
- _____، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ومكتبة اليمامة، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
- بروكلمان– كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٧٧م.
- البزَّار، أبو بكر أحمد بن عمرو، البحر الزخار (المسند)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، د. ط ١٩٨٨م
- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ–١٩٩٥م.
- البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية، دار الفكر، بيروت– دمشق، ط١١، ١٤١٢هـ–١٩٩١م.
- _____، مقال بعنوان (من هو عدو الإسلام الأول) البلاغ: www.balagh.com
- بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة الإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، د.ط، ١٩٧٨م .
- البيهقي، ابو بكر أحمد بن حسين بن علي، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.
- الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

- تسيهر، جولد، العقيدة والشريعة، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة، مصر، ط٢، د. ت.
- التل، عبد الله، جذور البلاء، دار الإرشاد، عمان، د. ط، ١٩٧٠م.
- التويجري، عبد العزيز بن عثمان، الجاليات والمؤسسات الإسلامية ودورها في إبراز صورة الإسلامي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، سلا- المغرب، د. ط، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي ناصر وعيد العزيز العسكر وحمدان محمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.
- _____، درء التعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض ،د.ط، ١٣٩١هـ.
- _____، الفتاوى الكبرى، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٦هـ.
- _____، مجموعة الفتاوى، تحقيق: أبو الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- _____، النبوة والنبوات، دار ابن الجوزي، القاهرة، تحقيق: د. محمد يسري، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م،
- جارالله، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، ١٤٠٧هـ.
- الجبري، عبد المتعال محمد، السيرة النبوية وكيف حرَّفها المستشرقون، دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- الجمبلاطي، علي، وأبو الفتوح التوانسي، محمد نبي الإنسانية، القاهرة، دار نهضة مصر، د. ط، ١٩٧٣م.
- الجهني، مانع، وآخرون ،الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب الفكرية، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، ط٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- ابن حبان، محمد البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
- حجازي، عبد الرحمن، الإعلام الإسلامي بين الواقع والمأمول، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- الحلبي، علي برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٤٠٠هـ.
- حمدان، نذير، الرسول في كتابات المستشرقين، دار المنارة، جدة، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- حمزة، عبد اللطيف، الإعلام في صدر الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ط، ١٩٦٩م.
- حُميد، عبد بن حُميد، المنتخب من مسند عبد من حميد ،تحقيق: صبحي السامرائي، مكتبة السنة، القاهرة، ، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الحميدي، عبد العزيز، التاريخ الإسلامي- مواقف وعبر، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- الحميدي ،عبد الله بن الزبير، مسند الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة،د.ط ، د.ت.
- ابن حنبل، أحمد الشيباني، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د. ط، د. ت.
- حوَّى، سعيد، الأساس في السنة وفقها، دار السلام، مصر، د. ط، د. ت.
- _____، الرسول ﷺ، دار عمار، بيروت، عمان، د.ط، ١٤٠٨هـ.
- خان، وحيد الدين، الإسلام يتحدى، ترجمة: ظفر الإسلام خان، دار قتيبة، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م.
- خطاب، محمود شيت، سفراء النبي ﷺ، مؤسسة الريان، دار الأندلس الخضراء، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- خفاجي، باسم، لماذا يكرهونه: الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام، المركز العربي للدراسات الإنسانية، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- خلف الله ، محمد أحمد، محمد والقوى المضادة، مكتبة الانجلو مصرية،د.ط، ١٩٧٣م.
- خليل، عماد الدين، دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٥، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، السنن، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- داود، عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدس، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ط٣، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد محي الدين، د.ط، د.ت.
- دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، دار القلم، القاهرة، ط١٠، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- الدمياطي، أحمد بن محمد، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الدوسري، عبد الرحمن، النفاق آثاره ومفهومه، مكتبة دار الأرقم، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- دينيه، نصر الدين، محمد رسول الله، مقدمة عبد الحليم محمود، ترجمة: عبد الحليم محمود، محمد عبد الحليم محمود، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، د.ت.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق، د.ط، د.ت.
- _____، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان للنشر، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط١٠، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- ابن رشد، محمد بن احمد القرطبي، البيان والتحصيل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الزركشي، محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٣٩١هـ.
- زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

- السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقين، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٧٩م.
- ابن سعد، محمد أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
- سعيد، محمد رأفت، الإسلام في مواجهة التحديات، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- السويكيت، محنة المسلمين في العهد المكي، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- السيد، محمد بن مصطفى، الإتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن، المنتدى الإسلامي، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م،.
- أبو سيف، السيد بن أحمد، دفاع علماء الغرب عن الرسول ﷺ، مكتبة الإيمان، المنصورة، د. ط، ٢٠٠٧م.
- شايب، لخضر، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- شبير، محمد بن عثمان، صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية، دار النفائس، عمان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٤م.
- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، مكتبة أخبار اليوم، القاهرة، د. ط، ١٩٩١م.
- الشعراوي، محمد متولي، خصوم الإسلام والرد عليهم، دار القلم، بيروت، د. ط، ٢٠٠٠م.
- الشهرستاني، محمد عبد الكريم، الملك والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، المصنف، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

- الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، رابطة العالم الإسلامي، ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- صالح، سعد الدين السيد، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- أبو صعليك، محمد، فقه الابتلاء، دار البيارق، عمان- بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- الصلّابي، علي محمد، السيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل أحداث)، دار المعرفة، بيروت، ط١٠، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم، الدعاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- _____، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د. ط، ١٤١٥هـ.
- _____، المعجم الصغير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- _____، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.
- الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله، الرياض النظرة في مناقب العشرة، مكتبة الجندي، القاهرة، د. ط، ١٩٧١م.
- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- _____، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،تحقيق:أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة-دمشق، ط١ ٢٠٠٠م.
- الطرازي، عبد الله، انتشار الإسلام في العالم في ٤٦ دولة أسيوية وافريقية، عالم المعرفة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.

- ابن عابدين، محمد بن أمين، رد المحتار على الرد المختار، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٠٠م.
- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث – القاهرة–د.ط– ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
- العالم، جلال، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، دار السلام، مصر، د.ط، ١٩٩٨م.
- عبد الرازق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، المصنف: حبيب الرحمن الأعظمي، الكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- عرابي، رجا عبد الحميد، محمد ﷺ والنصرة بين الأهل والآل، دار الأوائل، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م.
- العقيل، عبد الله ،أدب الحوار، مركز الإعلام العربي، مصر، ط٢، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.
- العلي، إبراهيم، صحيح السيرة النبوية، دار النفائس، عمان، ط٨، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٧م.
- عياض، القاضي عياض بن موسى، إكمال المعلم شرح مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء المنصورة، د. ط، ١٩٩٨م.
- غراب، أحمد عبد الحميد، رؤية إسلامية للاستشراق، دار الأصالة، الرياض، ط١، ١٩٨٨م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين للإمام، دار المعرفة، بيروت، د.ط،١٩٧٠م.

- الغزالي، محمد، جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج، مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ٢٠٠٣م.
- غشيَّان، ثامر بن ناصر، رسالة خاتم النبيين وطرق إثباتها، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- الغضبان، محمد منير، التربية القيادية، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- _____، فقه السيرة النبوية، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مكة المكرمة، د. ط، د.ت.
- الغلاييني، محمد موفق، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، دار المنارة، جدة، د. ط، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- الفوزان، صالح بن فوزان وآخرون، حقوق النبيﷺ بين الإجلال والإخلال، مجلة البيان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة: د. ط، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.
- القحطاني، قذلة بنت محمد، الحق الواضح المبين في الذب عن عرض الصادق الأمين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- القرضاوي، يوسف، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة د.ط،٢٠٠٤م.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق،القاهرة، ط١٥، ١٤٠٨هـ-١٩٨٩م.

- ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، بدائع التفسير، دار ابن الجوزي، الدمام، د. ط، ١٩٩٣م.
- ـــــــ، مدارج السالكين، مكتبة الإيمان، المنصورة، د. ط، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- ـــــــ، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق: شعيب الارنؤوط، عبد القادر الارنؤوط، ط١٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- ـــــــ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، د. ط، د. ت.
- قلعه جي، محمد رواس، قراءة سياسة للسيرة النبوية، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د. ط، د. ت.
- ـــــــ، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ـــــــ، السيرة النبوية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٦هـ-١٩٧١م.
- كحيل، عبد الوهاب، الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول ﷺ في مكة، عالم الكتب: بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الكُلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول اللهﷺ والثلاثة الخلفاء، تحقيق: محمد كمال الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد، السنن، دار الفكر، بيروت، د.ط، د. ت.
- ابن المبارك، عبد الله، الزهد، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، د.ط، د.ت.
- المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، دار الوفاء، المنصورة، ط١٧، ٢٠٠٦م.

- مرعي، هدى عبد الكريم، الأدلة على صدق النبوة المحمدية ورد الشبهات عنها، إشراف محمد قطب، دار الفرقان، عمان، د.ط، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،د.ط ،د.ت.
- مشهور، مصطفى، القدوة على طريق الدعوة، دار التوزيع والنشر، القاهرة، د. ط، د.ت.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مسميات التعاريف، تحقيق دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ و١٩٩٣م
- _____، أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم، دمشق، ط٩، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- النسائي، أحمد بن شعيب، المجتبى من السنن،مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- النعيم، عبد الله محمد، الاستشراق في السيرة النبوية، دراسة تاريخية لآراء وات، بروكلمان، فلهاوزن مقارنة بالرؤية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- نوفل، أحمد، الإشاعة، دار الفرقان، عمان، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

- هارت، مايكل، المائة الأوائل في تاريخ البشرية، ترجمة خالد أسعد، احمد سبانو، دار قتيبة، ط٧، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- ـ،السيرة النبوية، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٤م.
- الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن، إظهار الحق، دار الإفتاء والشؤون السعودية، الرياض، ط٣، د.ط ،د.ت.
- الهيثمي، نور الدين على بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤١٢هـ.
- الواحدي، أبو الحسن بن أحمد، أسباب النزول، مكتبة الإيمان، مصر، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- الواقدي، محمد بن عمر، المغازي والسير، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت: د. ط، د. ت.
- أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي، المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤-١٩٨٤م.
- يوسف، محمد السيد حمد، التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، دار السلام، مصر، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

مواقع الإنترنت والمجلات:

- http://nosra.islammemo.cc
- www.aljazeera.net
- www.Islammemo.com

- www.lahanlin.com .
- www.moheet.com/show_news.aspx
- www.muslm.net
- www.wikipedia.org/wiki.
- www.islamudeni.net
- www.balagh.com
- www.rasoulallah.net –
- www.mohamedrasoulolah.com –
- www.islamhouse.com–
- www.islamtoday.net
- WWW .almoslim.net
- www.saaid.net
- http://www.al-islam.com
- الصمداني، الشريف محمد بن حسين، رؤية شرعية في الجدال والحوار مع أهل الكتاب، (من موقع الإسلام http://www.al-islam.com).
- صحيفة الغد، الأحد ١٣/ جمادى الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١/٤/١٧م.
- مجلة التضامن الإسلامي، ج١٠، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

Abstract

(Offending Prophet Mohammad - Peace Upon Him – and the approach to confront it , analytical study)

This content of the study contains an introduction embedding the study literature and four chapters .

In the introductory chapter , I discussed the prophets' - Peace Upon Them - imposingness and the judgment of offending them ; many sections are embedded and their denotations are revealed by the study , as imposingness of prophets within the holly Qur'an and Sunneh , judgment of offending them and scholars' opinions related to this issue and the virtues of the prophet - Peace Upon Him – and his royalties among Muslims .

The First Chapter embedded approaches followed by categories of offensives of Prophet (polytheists. Jewish , hypocrite) during his age , prophets' attitude towards offensives , contemporary orientalist offensiveness , the study embedded motives of offensiveness of Prophet – Peace Upon Him - as envy, fearing of Islam domination and spreading out and denial of his prophecy .

In the Second Chapter the study reveals the negative aftermaths of offending Prophet – Peace Upon Him – within & outside Muslim society as social , economical and political rerated .

The Third Chapter embedded categories of defenders of the Prophet – Peace Upon Him , as Allah - Almighty- , companions (Sahaba) , some polytheists during his age and some , contemporary orientalist .

The Fourth Chapter embedded approach must be followed to defend Prophet – Peace Upon Him – nowadays , regulations of defend him , adopting dialogue approach with non Muslims , Islamic States officially adoption to defend him - Peace Upon Him – , public efforts related and researchers' writings at all levels .

The study concluded proposing some practical projects to defend the Prophet - Peace Upon Him –

The researcher followed extrapolative approach, analytical and deductive approach .

The study's conclusion embedded consequences the researcher reached.

Praise be to Allah, Lord of the Worlds